توفير فرصة التعليم للجميع

منذ أن أطلقت جامعة القدس المفتوحة خدماتها في الوطن عام 1991، وهي ترفع شعارًا طالما آمنت به وجسدته على أرض الواقع، وهو: "لن يحرم طالب من التعليم لسبب مادي". وتحت هذا الشعار، عملت طواقم الجامعة بجد وإخلاص لإجراء مسوحات اجتماعية تنصف غير المقتدرين من أبنائنا الطلبة الذين اختاروا "القدس المفتوحة" لإكمال تعليمهم، فقدمت المنح الطلابية المختلفة، وأنفقت ملايين الدنانير على الفئات الطلابية المحتاجة.

إن فلسفة التعليم المفتوح التي انتهجتها الجامعة وأثبتت التجارب العالمية فاعليتها في نشر التعليم والمعرفة، لا تفرق بين صغير وكبير، ولا بين غني وفقير، ولا بين عامل وربة منزل وجريح وأسير محرر، ولا بين من أنعم الله عليه بالصحة ومن كان من ذوي الاحتياجات الخاصة، فالكل تحت قبة التعليم سواء، ومن حق أبناء شعبنا الذين يجابهون أعتى احتلال عرفته البشرية أن يتسلحوا بالعلم. وقد وجدت الجامعة نفسها حاضنة لكل الراغبين في إكمال تعليمهم، أيًا كانت ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، لذلك عملت على تسهيل عملية التحاق الطلبة بالعملية التعليمية من خلال تحديد رسوم وأقساط دراسية رمزية تكون في متناول الغالبية العظمى من أبناء شعبنا الذين يمرون في ظروف اقتصادية قاهرة لأسباب عدة أبرزها الاحتلال الإسرائيلي الذي يسرق ليل نهار مقدرات شعبنا وموارد بلادنا.

إننا في "القدس المفتوحة"، وإن كنّا نمر في ظروف مالية صعبة، غير أننا لم نحد عن تحقيق هدفين أساسيين، متحدين الصعاب كافة ومتسلحين بإرادة شعبنا لتقويض المستحيل، وهما: توفير فرصة التعليم للجميع بأقل التكاليف، والاستمرار في تشييد المباني الخاصة بالجامعة في المحافظات الفلسطينية كافة بهدف توفير بيئة تتواءم والتعليم المفتوح.

إن الجامعة، وانطلاقًا من مسؤولياتها الاجتماعية والأخلاقية، ترفض أن يتحول التعليم إلى سلعة يشتريها الأغنياء فقط، ومن هنا نستغرب لجوء جامعات محلية وعربية إلى العمل بنظام التعليم الموازي الذي يخالف مبادئ تربوية أساسية على رأسها "تساوي الفرص"، وغض الطرف عن الكفاءة التي ينبغي أن تمثل العنصر الأبرز عند قبول الطلبة، ولهذا نرى أنه في ظل تنافس بعض الجامعات على التعليم الموازي، فإننا نؤكد مرة أخرى أن التعليم المفتوح بات يُشكل خيارًا اقتصاديًا ليس على المستوى الفلسطيني فحسب، بل على المستوى العالمي كذلك.

إن مجلة "ينابيع" في عددها الرابع تتطرق إلى قضايا تربوية واجتماعية مهمة ليس من باب وضع العصي في الدواليب، ولكن بهدف تسليط الضوء على بقع مظلمة، آملين أن يسهم تناولها إعلاميًا في إنارة الدرب وتصويب المسار بهدف الارتقاء بالواقع التعليمي والتربوي والاجتماعي في فلسطين.

أوجه كل الشكر للقائمين على المجلة التي أثبتت كفاءتها ومستواها المتقدم، وكلنا آذان صاغية كي ندرس اقتراحات القراء للتطوير، وبخاصة أننا نتطلع في "القدس المفتوحة" إلى إنشاء كلية إعلام عصرية تلبي احتياجات السوق.

والله ولي التوفيق،

أ. د. يونس عمرو

رئيس الجامعة

أكد في لقاء مع "ينابيع" أن الجامعة منفتحة لاستحداث تخصصات عصرية تلبي احتياجات المجتمع

سمارة: "القدس المفتوحة" ستتمكن من امتلاك مبانٍ في فروعها التعليمية كافة مع حلول عام ٢٠١٦

- إجراءات لخفض النفقات العامة في الجامعة لكنها لن تمس نوعية التعليم وبخاصة البحث العلمي
- لا حلّ للمشاكل الاقتصادية التي تعاني منها دولة فلسطين إلاّ من خلال رعاية الإبداع والمبدعين

رام الله- ينابيع: توقع رئيس مجلس أمناء الجامعة رئيس المجلس الأعلى للإبداع والتميز المهندس عدنان سمارة أن الجامعة ستتمكن من توفير أبنية مملوكة لها في فروعها التعليمية كافة، بما فيها مبنى الإدارة العامة مع حلول عام 2016.

وأعلن سمارة في لقاء خاص بـ "ينابيع" عن إجراءات تقشفية لخفض النفقات العامة في الجامعة لمعالجة العجز المالي في الموازنة، لكنه استبعد أن تمسّ هذه الإجراءات العملية التعليمية، وبخاصة قضايا البحث العلمي التي اعتبرها واجهة الجامعة الحضارية في أي تقييم داخلي أو خارجي.

فرع رام الله التعليمي

وأشار إلى أن الجامعة حريصة على طرح تخصصات عصرية تلبي احتياجات المجتمع، شـريطة توافقها مع فلسـفة التعليم المفتوح، منوهًـا إلى أن الجامعة اسـتحدثت مؤخرًا تخصصـي الإدارة الصحية والإعلام الرقمي.

ونـوه إلى أن مجلس أمنـاء الجامعة ومجلـس الجامعة حريصان على دعم البحـث العلمي، لذلك، صدرت قرارات أكثر من مرة لمضاعفة الموازنـات المخصصة للبحث العلمي، لافتًا إلـى أن مجلس الأمناء قرر إلغاء الرسـوم التي يدفعها الباحثون نظير تحكيم أبحاثهم ونشرها في مجلات الجامعة العلمية، في لفتة لتشـجيع الباحثين وتحفيزهم على العطاء.

وأكد المهندس سـمارة، بصفته رئيسًـا للمجلس الأعلى للإبداع والتميز، حرص المجلس، وكذلك الرئيس محمود عباس "أبو مازن"، على رعاية الإبـداع والمبدعين، معربًا عن قناعته بأنـه لن يكون هناك حل للمشـاكل الاقتصادية والمالية التي تعاني منها دولة فلسـطين إلا بتفجير الطاقات الإبداعية.

وفيما يلي نص اللقاء:

شوط باتجاه امتلاك أبنية خاصة بالجامعة

- **لقد قطعت الجامعة شـوطًا في بناء عـدة أبنية خاصة بها. هل لـك أن تطلعنا على آخـر التطورات على هـذا الصعيد؟ ومتى تتوقعـون أن تسـتطيع الجامعة امتلاك مبـانٍ خاصة بها في الفروع التعليمية كافة؟**

بالنسـبة لفـرع قلقيلية، فقد حصلـت الجامعة علـى منحة من الصنـدوق العربي للإنمـاء الاقتصادي والاجتماعـي بقيمة 350 ألف دولار للمسـاهمة في تشـطيب المبنـى وتجهيزه، وقد طـرح العطاء للمرحلة الأولى للتشـطيب. وبالنسـبة لفرع جنين، فقد تم عمل وثائق وجداول كميات المرحلة الأولى من المشـروع (عظم) بمسـاحة 1350 مترًا مربعًا بمبلغ 500 ألف دولار من الصندوق العربي للإنماء عبر البنك الإسلامي للتنمية في جدة، والتنفيذ تحت إشراف المجلس الاقتصادي الفلسـطيني للتنمية والإعمار (بكدار). وتم الانتهـاء من بناء العظم، وننتظر الاسـتلام، ونحن في إعداد وثائق عطاء أعمال التشطيب لهذه المرحلة بقيمة 500 ألف دولار من المصدر التمويلي نفسه.

وبالنسـبة لفـرع طولكـرم، فقد تبرعـت البلديـة بقطعة أرض مسـاحتها 5 دونمات تقع في المنطقة "ج"، وقد تم الانتهاء من إعداد التصاميم والوثائق، وحصلت الجامعة على منحة من الصندوق العربي للإنماء الاقتصـادي والاجتماعي بقيمة 980 ألـف دولار ضمن برنامج دعم الشـعب الفلسطيني للمساهمة في إنشاء المبنى بموجب خطاب التفاهم الصادر من الصندوق العربي للإنماء.

وبالنسـبة لفرع نابلس، فقد تم إنجاز مرحلة العظم والدخول في مرحلة التشطيب، والكلفة الاجمالية للمشروع تصل إلى نحو 3,6 مليون دولار، منها 2,7 مليـون دولار منحة من وزارة المالية التي ما زلنا ننتظر أن تقوم بالوفاء بالتزاماتها لتمكيننا من إكمال المشروع.

وبالنسـبة لفرع رام الله والبيرة، فقد تم تنفيـذ المرحلة الأولى- مبنى كلية مسقط الأكاديمي، واسـتلام المشروع بمساحة 2258 مترًا مربعًـا، ويتم البحث حاليًا عن تمويل المرحلة الثانية من البناء، وخاطبنا الهيئة العمانية من أجل تمويل إنشـاء مبنى مسـقط الأكاديمي (2) ومبنى مسقط الأكاديمي (3).

وفيما يتعلـق بفرع دورا، فقـد أنهينا مرحلة إعـداد التصاميم ووثائـق العطاء للمشـروع، وجـرت مخاطبة عدة جهـات تمويلية من ضمنها الهيئة العمانية للأعمال الخيرية. وبالنسبة لفرع سلفيت، فقد تم طرح عطاء التصميم وأحيل إلى مكتب هندسي وهو قيد التصميم والتدقيق. وبالنسـبة لفـرع يطا، فقد تم طرح عطـاء التصميم وإعداد وثائق العطاء الذي ما زال قيد التقييم الفني والمالي.

مبنى فرع بيت لحم

وبالنسبة لفرع طوباس، فقد تم التبرع من أحد رجال الأعمال بقطعة أرض من ملكيته الخاصة، والعمل جارٍ حاليًا لإفراز حصة الجامعة وإخراج سند تسجيل (كوشان) خاص بالجامعة، وقد تعهدت بلدية طوباس بتجهيز البنية التحتية (طرق، ومياه، وكهرباء) لقطعة أرض الجامعة بعد استكمال ترخيص مبنى الجامعة من الجهات الرسمية.

وبالنسبة لفرع أريحا، تسعى الجامعة إلى تخصيص أرض لها من سلطة الأراضي، التي طلبت بدورها توجيه رسالة إلى فخامة رئيس دولة فلسطين بهذا الخصوص، وقد وجهنا الرسالة بالفعل.

وبخصوص فرع الوسطى، فقد تم الانتهاء من أعمال السور والدهان وتركيب الشبابيك والأبواب من الطابق الأرضي بمساحة 814 مترًا مربعًا وبكلفة 300 ألف يورو بتمويل من بنك التنمية الألماني، وبدأ العمل في مشروع إنشاء وتشطيب الطابق الأول من المبنى بمساحة 814 مترًا مربعًا وبكلفة نحو 215 ألف دولار بتمويل ذاتي من الجامعة، ويتوقع الانتهاء قريبًا من العمل.

وبالنسبة لفرع خان يونس، فقد أنهينا أعمال العظم للمبنى، ومن المتوقع الانتهاء من التشطيب وتسليم المبنى قريبًا، وهو بتمويل من الهلال الأحمر القطري، وبكلفة إجمالية 850 ألف دولار، ومساحة الطابق الأول والأرضي 2500 متر مربع.

وفيما يتعلق بفرع رفح، فقد تم الانتهاء من أعمال العظم للطابق الأرضي والأول، وبتمويل من مجلس التعاون الخليجي بكلفة إجمالية 864 ألف دولار، وبمساحة 2500 متر مربع، ومن المتوقع الانتهاء من أعمال التشطيب قريبًا.

وبالنسبة لفرع شمال غزة، فقد تم الانتهاء من إنشاء وتشطيب الطابق الثاني، وهو بمساحة 900 متر مربع بكلفة 200 ألف دولار وبتمويل ذاتي من الجامعة. وتم الانتهاء من إنشاء وتشطيب الطابق الثالث بمساحة إجمالية 930 مترًا مربعًا بكلفة 260 ألف دولار وبتمويل من مؤسسة قطر الخيرية.

وبالمجمل، أتوقع أن تتمكن الجامعة من إنجاز أبنيتها المملوكة لها في فروعها التعليمية كافة مع حلول عام 2016.

جهود كبيرة لافتتاح كلية دراسات عليا

- **لقد بذلت الجامعة جهودًا كبيرة من أجل افتتاح كلية للدراسات العليا لتلبية احتياجات طلبتها الخريجين. ووزارة التعليم العالي ما زالت تتحفظ حتى اللحظة على منح "القدس المفتوحة" التراخيص اللازمة. أين وصلنا بهذا الخصوص، لا سيما أن هناك تدخلاً من قبل المستوى السياسي؟**

هذا الموضوع بالنسبة لنا أكثر من جدي، وقد بذلنا جهودًا وسنبذل كل ما نستطيع في سبيل تحقيق هذا الهدف، فنحن نعتبر افتتاح كلية الدراسات العليا هدفًا أساسيًا وحيويًا للجامعة، فطلبتنا يضطرون للتوجه إلى الجامعات الأخرى لإكمال دراستهم العليا، وبطبيعة الحال، الجامعات الأخرى تعطي الأولوية لطلبتها، ولذلك فطلبتنا مظلومون من هذه الناحية. والحقيقة أننا لم نحلّ المشكلة لغاية الآن مع وزارة التعليم العالي، والسبب في ذلك أن الوزارة حتى الآن قصرت في إنجاز نظام خاص بالتعليم المفتوح، ومع ذلك وافقنا على افتتاح كلية دراسات عليا تعمل وفق نظام التعليم التقليدي، وقطعنا مع الوزارة مرحلة معينة، وما زال الموضوع يراوح لدى هيئة الاعتماد والجودة في الوزارة. وحجة الوزارة تتمثل في أنه لا يجوز للقدس المفتوحة افتتاح كلية للدراسات العليا تعمل وفق نظام التعليم التقليدي، لأنها تمنح شهادة البكالوريوس وفق نظام التعليم المفتوح. نحن نضغط بكل الإمكانيات المتاحة، وقد أدخلنا المستوى السياسي لحل المشكلة، ونحن لدينا علاقات جيدة مع الوزارة ونعمل معهم لوضع نظام خاص للتعليم المفتوح في فلسطين.

- **هل هناك أفق أن تنجح الجامعة في إنجاز هذا الموضوع خلال العام الحالي؟**

لدينـــا أمل كبير، ونحـــن نعتبر هذا الموضوع، ســـواء في مجلس الأمناء أو في مجلس الجامعة، موضوعًا ذا أولوية كبرى.

مساعٍ للحصول على اعتراف الأردن

- **ماذا بخصوص الجهود الرامية للحصول على اعتراف من الأردن بشهادة "القدس المفتوحة"؟**

لم يكن لدى الأردن في الماضـــي نظام خاص بالتعليم المفتوح، لكنهم أقروا مؤخرًا هذا النظام، وأرسلوا إلينا النموذج الخاص للاعتراف بجامعة القـــدس المفتوحة، وقمنا أكثر من مـــرة بتعبئة الطلب، ونظرًا للظروف التي مرت بهـــا الأردن فلم يبت لحد الآن بطلبنا، وبصورة عامة، نحن نســـير في هذا الموضوع بشكل جدي، وقد اتفقنا مع المسؤولين في الأردن لإرسال وفد من وزارة التعليم العالي الأردنية لزيارة الجامعة والاطلاع عن كثب على تفاصيل العملية التعليمية فيها، وبعد أن زارنا مؤخرًا الأمين العام لاتحاد الجامعات العربية الدكتور سلطان أبو عرابي العدوان وأبدى إعجابه بالمستوى الذي وصلت إليه الجامعة، وقد أصبح من كبار المناصرين لدعم مســـعى "القـــدس المفتوحة" للحصول على الاعتـــراف الأردني، وهو يتدخل لـــدى وزارة التعليم العالي في الأردن لإنجاز هذا الموضوع، ونحن متفائلون.

خطة تقشفية للحد من العجز المالي

- **لقد ناقشـــتم فـــي الاجتماع الـــدوري الثلاثين لمجلـــس أمناء الجامعة موضوع الأزمة المالية، وأعلنتم عن خطة تقشفية للحد من العجز في الموازنة، والبالغ خمســـة ملايين دينار أردني. ما أبرز معالم الخطة التقشـــفية التي تحدثتم عنها، وما تأثيرها على سير العملية التعليمية في الجامعة؟**

في الحقيقـــة، لا يوجد لهذه الخطة انعكاس على نوعية التعليم فـــي الجامعة، و"القـــدس المفتوحة" مـــن أكثر الجامعـــات في الوطن اســـتقرارًا على الصعيـــد المالي، فنحن ندفع ما علينـــا من التزامات بما فيها الرواتب واستحقاق نهاية الخدمة، والإجراءات التقشفية لا يوجد لها انعكاس، سواء على الموظف أو على نوعية التعليم المقدم للطالب، ولكن نحن مصـــرون على تجاوز هذا العجز فـــي الموازنة، ولدينا أربعة مسارات لحل هذه المشكلة:

المســـار الأول: الذي تلجـــأ إليه الجامعات الأخرى هو رفع رســـوم الساعات الدراسية، وهذا الخيار بالنسبة لنا في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعيشها شعبنا يظل مستبعدًا.

المســـار الثاني: محاولة ترشـــيد الإنفاق في الجامعة، أي بمعنى ترشـــيد التعيينات، وبخاصة الإدارية منها، والاستفادة مما هو موجود لدينا في تغطية الاحتياجات الأساسية، فكثير من العاملين في الكادر الإداري مؤهلـــون لتدريس بعض المواد فـــي المنهاج المقرر. من جهة ثانية، سيتم تكليف أعضاء الهيئة التدريسية سواء كانوا متفرغين أو موظفي عقود بالقيام بعملية المراقبة على الامتحانات.

المسار الثالث: نســـعى إلى تقليص صرف بدل المهمات والمنح الطلابية، فالمنح الطلابية في الجامعة كبيرة جدًا ويجب ترشيدها بما لا يؤثر على الفئات المحتاجة.

المسار الرابع: نحن ندرس استجلاب مساعدات من الدول العربية والصديقة ومن مؤسسات القطاع الخاص، ونحاول أن نعتمد في بعض النشاطات، كما هو الحال في الأبنية، على التمويل الخارجي، نحن نريد أن ننشـــط أنفسنا للحصول على منح ومساعدات من الخارج لتغطية ما لدينا من عجز مالي.

وأشـــير في هذا الســـياق إلى أن الموضوع الوحيد الذي لا يمكن المس به هو البحث العلمي، كونه الواجهة الحقيقية لمستوى الجامعة وشهادة التقييم الحقيقية لها، فكلما أبدعت الجامعة في مجال البحث العلمي، كان تقييمها أعلى، سواء داخليًا أو خارجيًا.

فرع نابلس قيد الإنشاء

فرع الوسطى

رعاية الإبداع والمبدعين

- **لقد حصلتم مؤخرًا على ثقة الرئيس محمود عباس بتعيينكم رئيسًا للمجلس الأعلى للإبداع والتميز، ما خططكم في هذا المجلس لتطوير البحث العلمي على مستوى فلسطين؟**

نحن لا نريد أن نتدخل في قضايا البحث العلمي، لأن كثيرًا من المؤسسات في الوطن تعنى بهذا الموضوع، والمجلس الأعلى للإبداع والتميز سيأخذ زبدة البحث العلمي، ويقوم بتسويقه على عدة جهات، أولاً إذا كان طالبًا مبدعًا، فيجب أن نرعاه، ونحلّ المشاكل التي تعترضه حتى يكمل ابداعه، وثانيًا إذا كان لدى الشخص مشروع إبداعي، فعلينا أن نفتش له عن جهة معينة، إما من خلال دولة فلسطين، أو من خلال القطاع الخاص، لمساعدته في تسويق فكرته، ونحن في المجلس، وكذلك السيد الرئيس محمود عباس، الذي يتابع هذا الموضوع شخصيًا، مقتنعون أنه لا يوجد حل للمشاكل المالية لدولة فلسطين إلا من خلال رعاية الإبداع والمبدعين، ففكرة إبداعية واحدة قد تحل مشكلة الوطن المالية، نريد أن نستلهم تجربة بيل غيتس الذي بنى إمبراطورية مالية ليكون عندنا مبدع شبيه على المستوى الفلسطيني، فنحن نعتقد أنه من الإبداع والمبدعين والمؤسسات الإبداعية، ومن المشاريع الإبداعية، نستطيع أن نطور الاقتصاد الفلسطيني ونحلّ المشكلة المالية.

من جهة ثانية، نريد أن ننشر ثقافة الإبداع في فلسطين من خلال المدارس والجامعات والمؤسسات الخاصة.

كم كبير من المبدعين في فلسطين

- **هل ترون أن البيئة الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين ملائمة لتفجير طاقات إبداعية يمكن تقديمها على المستويين العربي والعالمي؟**

أنا أستكشف كل يوم كمًا هائلاً من المبدعين في المجتمع الفلسطيني، بالإضافة إلى وجود كمّ كبير من براءات الاختراع المسجلة، ونحن سنقوم بمراجعة كل هذه المشاريع الموجودة، وخاصة براءات الاختراع، ونرى منها ما يصلح اقتصاديًا ويمكن تطبيقه على الأرض، ونقوم بالتفتيش له عن جهة راعية تستفيد منه، فنساعد المبدع على إخراج مشروعه إلى حيز الوجود، كما نحقق الفائدة المرجوة للجميع، سواء على المستوى الشخصي أو الوطني أو المؤسساتي.

كيف سينعكس توليكم هذا المنصب على الجامعة؟

نحن لسنا منحازين للجامعة في هذا المنصب، لكننا نعتبر الجامعة القاعدة التي سنعتمد عليها لإخراج هذا المشروع المهم والحيوي الذي نعتقد أنه يستطيع إذا وفقنا به أن يحل المشكلة الاقتصادية الفلسطينية، أنا أعتبر الجامعة الأساس الذي يمكن أن ننطلق منه ونعتمد عليه، بحكم تمدد الجامعة وانتشارها وكبرها، ولكن مثّلنا في مجلس إدارة الابداع والتميز كل الجامعات بالتساوي، بما فيها جامعة القدس المفتوحة، وبالتأكيد احتكاكي بالطلبة المبدعين الموجودين في الجامعة يوفر فرصة أسهل للوصول إلى جهة داعمة للإبداع، وعندما تكون لدينا فكرة، سنعتمد على الجامعة في تنفيذها، وعند تنفيذها، سينعكس ذلك إيجابًا على الجامعة وطلبتها.

علاقات متميزة مع الجامعات العربية والعالمية

- **كيف تقيم مستوى العلاقات بين "القدس المفتوحة" وشقيقاتها المحلية والعربية والعالمية؟**

توجد للقدس المفتوحة علاقات متميزة مع الجامعات كافة، لأننا نكمل بعضنا، و"القدس المفتوحة" لها أهداف واضحة ومحددة، والنظام التعليمي الذي نعمل به لا ينافس الجامعات الأخرى في استهداف الطلبة.

نحن نستهدف الفئات التي لم تستطع الالتحاق بالجامعات التقليدية بسبب ظروفها، وكذلك نستهدف الفئات التي لا تستطيع الدوام يوميًا في الجامعة، مثل ربات البيوت والموظفين، بالإضافة إلى الأسرى المحررين أو الملتحقين بالأجهزة الأمنية، الذين لا يستطيعون التفرغ لدوام يومي، لذلك نجد نسبة الإناث في الجامعة تزيد على 65%، خاصة من اللواتي لديهن واجبات إما في العمل أو المنزل، فنظام التعليم المفتوح يخدم هذه الفئات. وعودة إلى سؤالك، أعتقد أن لنا علاقات متميزة مع الجامعات الفلسطينية ومع الجامعات العربية، فنحن أعضاء في اتحاد الجامعات العربية ولنا علاقات وطيدة واتفاقيات توأمة مع العديد من الجامعات العربية وبخاصة في الأردن ومصر، وبدأنا منذ فترة نشق طريقنا إلى العالم، ولدينا علاقات ووقعنا أكثر من اتفاقية مع جامعات في الصين والبرازيل وفرنسا وماليزيا وغيرها، ونريد للجامعة أن تدخل إلى معترك الجامعات العالمية، وأن ندخل ضمن التقييمات العالمية، ولا تقتصر علاقاتنا مع الجامعات الفلسطينية أو العربية، لذلك أولينا البحث العلمي عناية فائقة، ومجلس الجامعة عمل مشكورًا خطة إستراتيجية لثلاث سنوات، وهي محددة الزمن والكلفة، ونحن سائرون لتطبيقها بحذافيرها.

خطة لدعم البحث العلمي

- **ما أوجه التميز في هذه الخطة الثلاثية؟**

كما قلت سابقًا، نحن نعتبر البحث العلمي المقياس الحقيقي لأداء الجامعة، ومن هنا، فنحن كمجلس أمناء ضاعفنا أكثر من مرة حصة البحث العلمي من الموازنة، ونقول لإخواننا في مجلس الجامعة إن هذا الموضوع لا يوجد عليه ترشيد، ويجب أن ينفذ كما هو موجود في الخطة الإستراتيجية التي أعدتها الجامعة، ولتشجيع الباحثين على النشر، قررنا في آخر اجتماع في مجلس الأمناء إلغاء الرسوم التي نتلقاها من الباحثين نظير تحكيم أبحاثهم ونشرها في مجلاتنا العلمية.

استحداث تخصصات عصرية

- **هناك طلبات متزايدة سواء من قبل المجتمع المحلي أو من طلبة الجامعة بضرورة أن تقوم إدارة "القدس المفتوحة" باستحداث مزيد من تخصصات العصر التي تلبي احتياجات السوق. ماذا تقول بهذا الخصوص؟**

"القدس المفتوحة" استطاعت أن تطرح التخصصات الأكثر احتياجًا للمجتمع الفلسطيني، ونحن منفتحون جدًا في هذا الموضوع، لقد قمنا مؤخرًا بإدراج تخصص الإدارة الصحية بالتعاون مع وزارة الصحة، ووضعنا الخطط اللازمة لافتتاح كلية للإعلام الرقمي، فنحن رأينا أن هذين التخصصين يلبيان حاجة المجتمع الفلسطيني، لذلك استحدثناهما، وأي برنامج نراه ضروريًا وضمن إمكانياتنا ويتفق وفلسفة التعليم المفتوح ويلبي الحاجة المجتمعية، سنعمل على استحداثه.

خطط مجلس الأمناء للارتقاء بالجامعة

- **ما هي خطط مجلس الأمناء للارتقاء بالجامعة خلال الفترة المقبلة؟**

كل الذي تحدثنا عنه في هذا اللقاء يُمثل وجهتنا نحو الارتقاء بالجامعة، فالتركيز سينصب على البحث العلمي وعلى نوعية التعليم وتحديث البرامج التي تدرس، على أن تواكب التطور الهائل في العالم، وخاصة قطاع الاتصالات والإلكترونيات، كما سنركز على نوعية أعضاء هيئة التدريس وتنظيم دورات متخصصة لهم وإرسالهم في بعثات لاكتساب الخبرات في تخصصات تهم الجامعة ونشعر أننا بحاجة لها، كل هذا يسير في اتجاه واحد، وهو الرقي بالجامعة حتى تصل إلى المستوى الذي نطمح له، وأن تحصل على تقييمات عالية مقارنة مع الجامعات الأخرى.

فرع خان يونس

كبرى الجامعات الفلسطينية تحتضن ثلث الطلبة الجامعيين وتفرض خيارًا عصريًا

«القدس المفتوحة» تُعيد رسم خارطة التعليم العالي في فلسطين

رام الله- ينابيع- رواق على جوانبه أوراق وإعلانات بأحجام وألوان شتى، وطلبة في حركة مستمرة يبدو أنها لا تتوقف، طالبة تحمل طفلاً في يد وفي الأخرى حزمة أوراق وقلمًا، وآخر غزا الشيب رأسه بينما يتكئ على عكازه حاملاً كتاب مقرر جامعي، لعل ذلك يقرّب المسافة بينه وشهادة البكالوريوس؛ آخرون يجرون معهم إلى قاعات محاضراتهم خيبة الفقر والتعب، وآمالاً، عُلّقت على جامعة احتضنتهم رغم الظروف، جامعة القدس المفتوحة.

المشهد السابق يمثل لوحة احتلت مكانةً في اهتمامات القيادة الفلسطينية، امتزجت فيها ألوان الفقر والأسر وآخر العمر، لترسم تحفة فنية أمنت لقطاعات الشعب الفلسطيني كافة، فرصة التعليم وشهادة جامعية. فتحقق حلم الرئيس الراحل ياسر عرفات "أبو عمار"، بإنشاء جامعة تحتضن أبناء الشعب الفلسطيني الباحثين عن إكمال تعليمهم العالي، فلم يضطر البيت الفلسطيني للتوجه إلى الجامعة، بل ذهبت هي إليه ودخلته من أوسع أبوابه.

أ. د. عمرو: تمثل «القدس المفتوحة» منافسًا وطنيًا وعلميًا وتكنولوجيًا لا يمكن إنكاره

قبلة التعليم العالي

وفر نظـام التعليم المفتوح الذي تتبناه الجامعـة تعليمًا نوعيًا بأقل النفقات والتكاليف، واستطاع أن يتجاوز كل الظروف والمعوقات ملبيًـا الاحتياجات التعليمية لفئات المجتمع كافة، سـواء أكانت هذه ذوي الإعاقـة أو المرأة أو المسـنين أو أصحاب مسـؤوليات أسـرية أو مهنية، فتوافق مع الرغبات والاتجاهات المختلفة.

رئيـس جامعـة القـدس المفتوحـة أ. د. يونس عمـرو، يقول: "جامعتنا تمثل خيارًا عصريًا وقبلة تعليمية لأسباب عدة، أهمها الوضع الاجتماعي والاقتصادي للطالب، فهي تنتقل إليه وليس العكس، كون مراكزها وفروعها منتشـرة في أرجاء الوطن، ما يؤهلها لأن تكون قريبة من موقع الطالب الجغرافي والاجتماعي، وبالتالي تمكنه من تلقي علومه في سـكناه، وهذا بذاته يخفف أعباءه الاقتصادية؛ فضلاً عن انخفاض رسـوم السـاعة المعتمدة في القدس المفتوحة مقارنة مع الجامعات المقيمة، كما تمثل الجامعة منافسًا وطنيًا وعلميًا وتكنولوجيًا لا يمكن إنكاره". وأضاف: "التكلفة العالية للتعليم المقيم، باتت أكثر المقومات تحفيزًا لإقبال الناس على الالتحاق بالجامعة".

وأشـار أ. د. عمرو إلى الجانب التكنولوجي المتطور للجامعة، حيث نجحت في المزاوجة بين التعليم المفتوح والوسائط التكنولوجية، مثل البريد الإلكتروني، وبوابة الجامعـة الأكاديمية، ونظام البث الفيديوي المسـتمر، والموديل 1 و2 من الصفـوف التكنولوجية أو الافتراضية، مفيدًا أن الجامعة تهدف إلى تطبيق منهج التعليم المدمج.

استثمار لن يذهب أدراج الرياح

ويرى أ. د. عمرو أن ظروف وطننا الفلسـطيني، من تشتت المواقع الجغرافيـة، وصعوبات التنقـل، وتغلغل الاسـتيطان بين محافظات الوطن، ستؤدي بالطالب إلى التوجه الى أقرب فرع لـ "القدس المفتوحة"، ليتلقـى علومه فيه، وبخاصة أن خريج الجامعة لا يقل قدرة ولا علمًا عن خريج الجامعات المقيمة.

ويقول نائـب رئيس الجامعة للشـؤون الأكاديمية أ. د. سـمير النجـدي إن "عددًا كبيرًا ومتزايدًا من خبراء التعليم والتربويين يؤمنون أن التعليم المفتوح هو المسـتقبل. فالاهتمام العالمي بهذا النوع من التعليم واضح من خـلال المجالس والاتحـادات العالمية التي تعنى بشـكل خاص بقضايا التعليم المفتوح والتعليم عـن بعد التي يتم إنشاؤها مؤخرًا، فهناك المجلس الدولي للتعلم عن بعد (ICDE) واتحاد جامعـات التعلم عن بعـد الأوروبيـة (EADTU)، والاتحاد الآسـيوي للجامعات المفتوحة AAOU))، وغيرها.

ويتابـع أ. د. النجـدي أن "التقـدم الكبير والمتسـارع في مجال التكنولوجيا التي تعتبر ركيزة أساسـية من ركائـز التعليم المفتوح تعزز وتسـهم في انتشـار هذا النوع من التعليـم، فالثورة المعرفية والمعلوماتية والانتشار الواسع للحواسيب المحمولة واللوحية وتقنيات الاتصال اللاسـلكية، وغيرها من التطورات التقنية، سهلت للكثيرين إكمال تعليمهم والتواصل مع العالم بيسـر وسهولة. فمن المتوقع أن يصل عدد مستخدمي الإنترنت في العالم 3 مليارات من سكان العالم البالـغ عددهم ما يقارب 7 مليارات أي 40% تقريبًا من سـكان الأرض. كما أن سهولة الحصول على المصادر المتعددة والمشاركة فيها ومبدأ التعليم للجميـع خير دليل على ذلك، ومثال ذلك الجامعة الافتراضية لليونسكو".

وفيمـا يخص "القـدس المفتوحـة"، يؤكـد أ. د. النجدي أنها "تغلبت على المعوقات التي وضعها الاحتلال أمام التعليم والوصول إلـى الجامعات، والصعوبات المادية أمام فئـة ذات الدخل المحدود،

أ. د. النجدي: تغلبت الجامعة على المعوقات التي وضعها الاحتلال والصعوبات المادية أمام فئة ذوي الدخل المحدود

ومن فاتهم قطار التعليم بشكل عام من نساء ومسنين، ومع تحسن الأوضاع المعيشية والسياسية في الوطن، إلا أن جامعتنا ما زالت تمثل بديلاً للذين لا ينتمون لأي من الفئات المذكورة سابقًا، معللاً ذلك بأنه "مع تناقص الدعم الحكومي للجامعات وزيادة التنافس بينها، وظهور الحاجة إلى التعلم مدى الحياة (استدامة التعليم)، كان لا بد من ظهور نمط تعليمي جديد يراعي ظروف واحتياجات المتعلم ويوفر له التعليم بمرونة عالية، وبوسائل وتقنيات حديثة، وبكلفة قليلة، الأمر الذي دعا الكثيرين إلى اختيار جامعة القدس المفتوحة. ولا يفوتنا أن انتشار الجامعة الواسع في فلسطين أتاح للغالبية سهولة الوصول إليها، وبالذات الفتيات، وهذا واضح من الازدياد المتسارع في أعداد الإناث في الجامعة مقارنة مع الذكور. وربما تكون التكلفة القليلة لرسوم التعليم وأثمان الكتب التي تقدمها الجامعة من المميزات والأسباب التي تشجع الطلبة على اختيارها، إلا أن انتهاجها لأحدث الأساليب التقنية في إيصال العلم والتركيز على الجودة في عملياتها كافة، أحدث نقلة نوعية في نظرة المجتمع نحو الجامعة وخريجيها وزيادة في تقديره للدور الذي تؤديه الجامعة في تطوير وتنمية المجتمع".

وتضم "القدس المفتوحة" في فروعها ومراكزها كافة، ثلث عدد طلبة التعليم العالي في فلسطين. ويلاحظ مستشار رئيس الجامعة لشؤون التعليم المفتوح أ. د. سفيان كمال أن "النجاح الكبير الذي حققته الجامعة في فلسطين دليل قاطع على صلاحية نظام التعليم المفتوح وملاءمته مع ظروف هذا البلد"، منوهًا إلى أن "استثمار شرائح متعددة من المجتمع في هذا المشروع التربوي لم يكن ليحدث لولا ظهور دلائل دامغة وملموسة على أرض الواقع أمام تلك الشرائح بأن "القدس المفتوحة" هي خيار مناسب، ولن يذهب استثمارهم أدراج الرياح".

التعليم المفتوح.. سرّ النجاح

ويعزو أ. د. كمال احتلال "القدس المفتوحة" المرتبة الأولى من حيث أعداد الطلبة، إلى نظام التعليم المتبع فيها، الذي يعتمد نظام قبول مرنًا خاليًا من القيود التقليدية، ما يميزها عن الجامعات المقيمة ذات التعليم النظامي الذي يعتمد في بلادنا فلسطين على نخبوية الطلبة وانتقائهم في القبول". واستطرد: "قيدان وضعتهما وزارة التربية والتعليم العالي على جامعة القدس المفتوحة، هما قبول الطلبة حديثي التخرج من شهادة الثانوية العامة (التوجيهي) بمعدل 65% فما فوق، وقبول الطلبة القدامى ممن مضى على تخرجهم من التوجيهي سنة أو أكثر بمعدل 55%".

ويعلل أ. د. كمال قدرة "القدس المفتوحة" على جذب أكبر عدد من الطلبة قائلاً إن "انتشار الجامعة جغرافيًا في جميع أرجاء فلسطين جعلها في قلب مجتمعات المدن، وقريبة من فضاءاتها من قرى وأرياف"، حيث يبلغ عدد فروع الجامعة في الضفة الغربية وقطاع غزة 22 فرعًا، وهو ما يرى أ. د. كمال أنه عنصر مشجع للتعليم الجامعي، إذ لا يترتب على الطالب تحمل مشقة السفر والتنقل والمخاطر، وإضاعة الوقت وتحمل التكاليف، ناهيك عن أن بعض القرى والمدن المحافظة في تقاليدها لا تحبذ تنقل فتياتها ونسائها خارج المدن والقرى التي تقيم بها"، ويفيد أ. د. كمال أن نسبة الإناث في الجامعة وصلت إلى أكثر من 60% في العام الجامعي 2012/2011، ما يؤكد أن "القدس المفتوحة" حفزت المرأة الفلسطينية على التعليم.

ويوافق أ. د. سفيان كمال رئيس الجامعة أ. د. يونس عمرو، في أن "كلفة التعليم في الجامعة منخفضة إذا ما قورنت بالجامعات الفلسطينية الأخرى، أو في الجامعات العربية المجاورة، حيث يدفع

أ. د. سفيان كمال، مستشار رئيس الجامعة لشؤون التعليم المفتوح: المجتمع يدرك أن استثماره في التعليم بـ «القدس المفتوحة» لن يذهب أدراج الرياح

الطالب (15) دينارًا أردنيًا للساعة المعتمدة الواحدة، ما يجعل التعليم أمرًا ممكنًا أمام شرائح المجتمع المختلفة، وبخاصة العاملة، فضلاً عن أن إدارة الجامعة تقدم أنواعًا مختلفة من المنح الداعمة للطلبة تقدر بملايين الدولارات سنويًا"، ما يمثل سببًا آخر لإقبال الطلبة المتزايد على القدس المفتوحة".

وأضاف أ. د. كمال أن "استخدام الجامعة كتبًا دراسية عالية الجودة، وباللغة العربية، ومحكمة ومعدّة بأسلوب التعليم المفتوح المميز، الذي يساعد الطلبة على الفهم والإحاطة بالمناهج الدراسية بسهولة ويسر؛ يلعب دورًا مهمًا في جذب الطلبة".

وفي هذا السياق، يدعّم رئيس قسم شؤون الطلبة في "القدس المفتوحة" د. محمد شاهين، كلام أ. د. كمال مؤكدًا أن "تمتع الجامعة بالعلاقة المنفتحة والشفافة بين أعلى الهرم فيها والطواقم الإدارية مع ممثلي الطلبة والأجسام الطلابية، ساهم في تلبية احتياجات المجتمع وتوجهاته، فزاد عدد الملتحقين بالجامعة، إضافة إلى التطور النوعي الذي حدث في عمل "القدس المفتوحة" ماليًا وإداريًا وأكاديميًا وخدماتيًا".

نموذج للتعليم العصري

وتمثل "القدس المفتوحة" خيارًا عصريًا في التعليم يقترن بالتطورات التكنولوجية، وهو ما تنفرد به الجامعة فلسطينيًا. ويرى د. شاهين أن "كل الفلسفات والنظريات التربوية الحديثة تتجه صوب التعليم المفتوح"، لافتًا إلى أن هذه النظريات الحديثة في العالم الغربي انتشرت ليس فقط على مستوى التعليم العالي وإنما على مستوى المدرسة التي بدأت تتجه نحو هذا النظام، وهو من أكثر المفاهيم الآخذة في الاتساع في النظام التربوي العالمي والعربي الحديث".

ويضيف د. شاهين: "هذا النظام التعليمي بفلسفته وأدواته ومرونته، قرّب المسافات والأزمنة والأماكن، ووفر التعليم بعدالة، وتلائم ديمقراطيته جميع فئات المجتمع وطبقاته من كبار وصغار، وذكور وإناث، وفقراء وأغنياء، وسكان ريف ومدينة وبادية والمخيمات والمناطق النائية".

ويعتقد د. شاهين أن "استخدام التعليم المفتوح أمر مهم، فهو فكرة وفلسفة حديثة، تعرف بـ "التربية المستمرة مدى الحياة". فتوجهت كل البوصلات التربوية والأكاديمية والاقتصادية والاجتماعية إلى التعليم المفتوح الذي لن يتوقف عند حد التعليم العالي، بل سيمتد إلى مستوى التعليم المدرسي، وهذا ما يحصل الآن في كثير من الدول الأوروبية المتقدمة. واستخدام القدس المفتوحة هذا النظام يعطيها أفضلية على نظيراتها في فلسطين، وبخاصة إذا ما تحدثنا عن التعليم مستقبلاً".

حلول لغير المتفرغين للتعليم

لم تعد شهادة البكالوريوس تحتل مكانة مجتمعية مرموقة كما في الماضي، حيث أصبحت في بعض المجالس والمفاهيم تُعد نوعًا من محو الأمية، ولم يعد التفرغ لأربع سنوات أو خمس مجديًا اقتصاديًا لغرض الحصول على الشهادة.

يوضح د. شاهين أن القدس المفتوحة "توافقت وفلسفة التعليم المفتوح الذي ينظر إلى الطالب في الجامعة على أنه ليس متفرغًا للتعليم وحده، وبالتالي، يمكّن النظام المفتوح في الجامعة الطالب من الجمع بين التزاماته الجامعية وأدواره الأسرية وعمله". ويضيف: "نحن نفضل أن يوائم الطالب بين مجموعة من المهام والمسؤوليات حتى يستثمر هذه الفترة الحساسة من مرحلة شبابه كي يؤسس مستقبله بالطريقة الأمثل".

د. شاهين: تتمتع الجامعة بالعلاقة المنفتحة والشفافة بين أعلى الهرم فيها والأجسام الطلابية

خريجو "القدس المفتوحة" ينافسون بقوة

ويؤكد د. شاهين أن "الجامعة أولت اهتمامًا كبيرًا لتطوير التخصصات والمقررات الدراسية والخطط الأكاديمية، وتحديثها باستمرار، بما يتواءم مع احتياجات المجتمع وسوق العمل الفلسطينية والعربية والعالمية. كما نوّعت طرق التدريس وفعّلت الخدمات الإلكترونية ووسائط التعليم الإلكتروني، وصقلت مهارات الأساتذة الجامعيين والعاملين الإداريين والطلبة، وساعدتهم على التمكّن من التعامل مع الخدمات التي تقدمها الجامعة".

وتابع د. شاهين "هكذا ارتقت الجامعة إلى مستويات متقدمة في الجانب الأكاديمي وواكبت الجامعات الفلسطينية وحتى العربية والعالمية وحققت في هذا الصعيد إنجازات عديدة، وأثبتت الجامعة نفسها من خلال خريجيها في امتحان وزارة التربية والتعليم للتوظيف في مطلع كل عام تعليمي، إذ يتفوق خريجو "القدس المفتوحة" في كل الكليات وبخاصة كلية التربية، فأثبتوا أنفسهم وتفوقوا على نظرائهم في جامعات الوطن على مدى السنوات الماضية، كما تفوقوا في الامتحان المخصص للتوظيف في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)".

دلائل ملموسة على جودة التعليم

"إنجازات طلبة القدس المفتوحة ليست بحاجة إلى برهان أو دليل، بل أصبحت ظاهرة للعيان ومفخرة للجامعة وطلبتها"، يؤكد د. شاهين، ذاكرًا أهم إنجازات طلبة الجامعة: "أحصينا أخيرًا مئات خريجي القدس المفتوحة الذين أنهوا الماجستير والدكتوراة وهم الآن على الكادر الأكاديمي والإداري في مختلف الجامعات، وقد أنهوا دراساتهم في جامعات محلية وعربية وعالمية مرموقة، وبعضهم خاض هذه التجربة من خلال التنافس مع نظرائهم، واستطاعوا أن ينهوا الدرجات العلمية العليا بتميز واقتدار، وهذا مثبت وموثق في الجامعة".

ويدلّ على تفوق طلبة "القدس المفتوحة" أيضًا، خوضهم امتحانًا لاختبار الكفاءات الدولي "ETS"، مع الجامعات الأردنية، إذ كان مستواهم منافسًا للآخرين الذين تتفوق مقدّرات جامعاتهم وإمكاناتها كثيرًا على الجامعات الفلسطينية بشكل عام. والتقويم الدولي الذي أجرته الجامعة من خلال جامعة منوتوفا الكندية والبنك الدولي، والذي شمل الجوانب الإدارية والأكاديمية والخدماتية، من خلال الطلبة والأكاديميين وعبر دراسات ومنهجيات كمية ونوعية؛ خرجت القدس المفتوحة بنتائج متميزة في كثير من جوانبه.

وأضاف: "استطاع طلبتنا أن يحصلوا خلال العامين الماضيين على المراتب الأولى في مسابقة البحوث والإبداع الطلابي في جامعتي الإسكندرية وعين شمس التي ينظمها اتحاد الجامعات العربية، وعلى مستوى عشرات الجامعات العربية تفوقوا في هذا المجال المهم والحساس، حتى في الأنشطة غير المنهجية أخذنا المرتبة الأولى العام الماضي في مسابقة المغامرة والتحدي التي أقيمت في الأردن للجامعات الفلسطينية. وتفوقنا في الأنشطة الرياضية أيضًا، كما في جامعة جنوب الوادي حيث حصلنا على المرتبة الرابعة بين 32 جامعة عربية، وكان هذا الإنجاز لافتًا كون الفريق استعد خلال أيام معدودة".

"القدس المفتوحة" تحتضن المتفوقين

وإجابة عن سؤالنا حول ما إذا كان الطلبة الأقل حظًا في المعدلات هم من يلتحقون بـ "القدس المفتوحة"، يعقب د. شاهين: "لدينا نسب عالية من الطلبة ذوي المعدلات المرتفعة، أحيانا فوق الـ95%، ممن يلتحقون بالجامعة. حيث جاءتنا منحة في إحدى السنوات بمبلغ مالي فأردنا أن نخصصها لمن تفوقوا في الثانوية العامة من الملتحقين في الجامعة، فاضطررنا إلى توزيع المنحة رغم مبلغها الكبير فقط على الطلبة الذين حصلوا على 95 % فأكثر".

د. م. عمرو: دومًا كان هاجس التكنولوجيا في «القدس المفتوحة» مرتبطًا بالحاجة وليس المعاصرة

إن تفـاوت معدلات الطلبة الملتحقين بالجامعة هو منحنى معتدل في كل السنوات وبخاصة الأخيرة، أي أن هناك معدلات مرتفعة ومعدلات متوسـطة. وأضاف د. شاهين: "يجب ألا ننسى أن معدلات القبول للطلبة الملتحقين الجدد هي 65 % فما فوق، وهو قرار صادر عن مجلس التعليم العالي، لذا لا تختلف الجامعة في هذا المجال عن الجامعات المقيمة، مع أننـي أرى أن التعليم المفتوح يجب أن يعطـي مرونة أكثر للطلبة مهما كانت معدلاتهم، لأن التحصيل العلمي في الثانوية العامة ليس المؤشر الوحيـد على قـدرة الطالب أحيانًـا". وأوضح أن "إعطـاء أي طالب فرصة للالتحاق بالجامعة ليس أمرًا سيئًا، لأن أنظمة الجامعة الأكاديمية حازمة ودقيقة وشـفافة، ومن يسـتطيع أن يجتاز من خلالهـا معدلات النجاح وأن ينهي خطط الجامعة للتخرج، يسـتحق شهادة جامعية من "القدس المفتوحة" بشـرف ومهنية، وأثبت خريجونا في كل الميادين، سواء في العمل أو الدراسات العليا، جدارتهم".

"القدس المفتوحة" تكنولوجيًا

أما على صعيد التكنولوجيا وما تشهده الجامعة من تطورات في هذا المجال، فيؤكد د. م. إسـلام عمرو مسـاعد نائب الرئيس للشؤون الأكاديمية أن "الجامعات تتسـاءل عادّة عن مدى مواكبتها للتطورات العالمية، وتنسى أن تضع حاجاتها الأساسية في الأولوية، وهذا حقيقة هـو الخلل في البلاد النامية فيما يخـص قطاع تكنولوجيا المعلومات، فنحن نقع في أزمة المعاصرة على حساب الحاجة، لذا نرى أن الكثير من المؤسسات تستثمر في غير حاجتها بهدف المعاصرة فقط".

ويقـول د. م. عمـرو "وقفنا في الجامعة على هـذا الموضوع منذ فترة طويلـة جدًا، وما وضعنا أمام هذه المسـؤولية هو الدعم المطلق من رئاسـة الجامعة". وتابع: "دومًا كان هاجس التكنولوجيا في القدس المفتوحـة مرتبطًا بالحاجـة بدلاً من المعاصرة، فنحـن نراعي حاجات الجامعـة التكنولوجية في عدد من القطاعات، وهي: العمل الأكاديمي، والإداري، والخدمـات الطلابية، وهناك بُعد آخر اسـتحدث مؤخرًا وهو الخدمات المجتمعية من خلال شـراكاتنا مع القطـاع الخاص، فبنيت قدرة القدس المفتوحة على هذه المحاور".

كـون "القـدس المفتوحـة" مؤسسـة تعليمية، جعـل لتوظيف التكنولوجيا فيها اتجاهًا محددًا، فهو منصب في المفارقة التالية: "كيف يمكن رفع سـقف جودة العمل الأكاديمـي والإداري والخدماتي الطلابي في هذه المؤسسة، ضمن أقل التكاليف من خلال استخدام التكنولوجيا؛ إذا أُتقنت هذه المصفوفة جيدًا، سـتجد أنك تتحـرك بطريقة معاصرة، وسترى أخطاء نظرائك بشكل واضح وتجد ما يعزز موقفك بشكل دائم".

وعند سـؤالنا عن تقييمه لوضع الجامعـة التكنولوجي، أجاب د. م. إسـلام عمرو: "إن موقـع الجامعة الآن من حيث القـدرات والخدمات التقنية على ما يرام، وخطط التطوير فيها معروفة وواضحة ويتم العمل عليها بهدوء شـديد، لذا فالمخاطر الاستثمارية في قطاع التكنولوجيا منخفضة جدًا، ولم ننفق وبحمد الله دولارًا واحدًا في شيء لم نستخدمه ولم نستفد منه إلى أعلى الدرجات؛ وهذا منوط بامتلاكنا أحسن الخبرات في الوطن، وأن اسـتثمار الجامعة فـي تكنولوجيا المعلومات الأول هو في الإنسـان (من يعمل في القطاع التكنولوجي)؛ ونحن راضون بشكل تـام عن مواكبـة الجامعة للتكنولوجيـا والتقدم في مجـال الخدمات الإلكترونية الأكاديمية، فخدماتنا المقدمة للطلبة محوسبة، ما يرفع من الأداء ويزيـد من القدرة على ضبط الإجراءات ورضى الطالب كما يخفض التكاليف، وهناك دراسات مفصلة حول الموضوع.

وأهاب د. م. إسـلام عمرو بالجامعـات الأخرى أن تتروى في قراءة حاجاتها وألا تنسـخ تجارب الجامعات الأخـرى، فهناك مخاطر تربوية هائلة في ذلك.

د. فيصل عمر لـ «ينابيع»: خضنا مغامرة لافتتاح فرع طولكرم قبل قرابة ٢٠ عامًا وعملنا بالمجان

«القدس المفتوحة» في طولكرم رفضت الرضوخ للاحتلال بإنزال العلم الفلسطيني في الاجتياحات وقادت قاطرة كسر حصار مدينة طولكرم ووصلت إلى طلابها في مختلف أرجاء المحافظة

طولكـرم – ينابيع - اســتعاد د. فيصــل عمر مدير فرع طولكــرم التعليمي بجامعة القدس المفتوحة ذكرياته، متحدثًا عن تاريخ إنشــاء فرع الجامعة في محافظة طولكرم، حيث كان يتوجب عليه أن يخوض مغامرة على عاتقه الخاص بالتعاون مع زملائه المؤسسين.

وفــي حديث خاص مع مجلة "ينابيع"، أكد أن افتتاح فرع طولكرم في الفصل الدراســي 1992/ 1993 كان مغامــرة بــكل معنى الكلمة، إذ كان يدرس في فــرع نابلس التعليمي 60 طالبًا من مدينة طولكرم، وهذا العدد غير كافٍ لافتتاح فرع تعليمي في المحافظة، إذ يتطلب افتتاح الفرع توفر مئتي طالب على الأقل، لكنه بدعم من زملائه الرعيل المؤسس قرر افتتاح الفــرع، وبالفعل نجحــوا جميعًا في ذلك، وأصبح فرع طولكرم واحــدًا من الفروع المتميزة في جامعة القدس المفتوحة.

يقــول عمر: "بــدأت جامعة القدس المفتوحة العمل رســميًا في فلســطين مطلع العام الدراســي 1990/ 1991، وفي شــمال الضفة انطلقــت في مدينة نابلس، حيث بدأ التفكير بافتتاح مراكز دراســية في المدن الفلسطينية الكبرى المجاورة لمحافظة نابلس، وكان التوجه إلى جنين، وبدأ الفصل الدراســي الأول من عام 1991، ونحن في بداية العام الدراسي 1992/ 1993، بدأ المركز الدراسي في مدينة طولكرم".

ويضيف: "كان الاعتقاد السائد أن التسجيل في طولكرم سيكون متواضعًا، ولكن كان لا بد من خوض تلك التجربة، وفي البداية استأجرنا مقرًا دراســيًا مســاحته 400 متر مربع، وتم تكييفــه وفقًا لاحتياجات الجامعة في تلك الفترة".

ويقول: "كنــت أول موظف في الفرع، ثم انتقل موظفون آخرون من فــرع نابلس التعليمي للعمل معي، لم يكن لدينا ســكرتيرة ولا مكتب ولا هاتف ولا مراســل، ولم تكن كل التجهيزات والهيكليات الإداريــة المعروفــة موجــودة، كان مطلوبًــا منا العمل بالتســجيل والعلاقات العامــة والاهتمام بالنظافة وغيرها مــن الأعمال، إضافة إلى خــوض معركة تعريف المجتمع بالجامعة مــن أجل دفع الطلبة للدراســة فيها والإقبال عليها، إذ كان التعليم المفتوح فكرة جديدة لا يعرف عنها إلا القليلون".

البداية.. العمل السري ثم الانطلاق

في البداية، كان العمل ســريًا ويجري تحت غطاء برنامج التعليم المفتوح الذي كان يتبع لجامعات مختلفة، يقول د. فيصل عمر، مؤكدًا أن الجامعــات الوطنية لعبت دورًا كبيرًا في رعاية الفكرة وحمايتها من بطش الاحتلال، خصوصًا أنها كانت جامعات مرخصة من قبل الاحتلال، فعلى ســبيل المثال، جامعــة النجاح الوطنية غطــت جامعة القدس المفتوحة في نابلس وجنين وطولكرم، وجامعة بيرزيت غطت الجامعة فــي رام الله، وجامعة بيت لحــم وجامعة الخليل فعلتا الشــيء ذاته، بالإضافة إلى جامعة الأزهر في غزة.

يســتذكر د. فيصل عمر تلك الفترة، خصوصًــا عدم القدرة على تســجيل هاتف أو شــبكة المياه والكهرباء باســم الجامعة، لذا جرى تسجيلها باسم أشــخاص بعينهم، من الموظفين العاملين في مركز طولكرم التعليمي.

ويقول عمر إنه رغم الصعوبات التي كنا نواجهها، إلا أن الرســالة الوطنيــة الســامية التي حملها موظفــو الجامعة تفوقــت على دورنا كعامليــن، كنــا نتعامل مع الجامعــة باعتبارها مشــروعًا وطنيًا يجب إنجاحه، ونحن مناضلون فيه أكثر من كوننا موظفين.

ويضيف: "عشنا ظروفًا اقتصادية صعبة إبان حرب الخليج الثانية، وما تلاها مــن هجوم على منظمة التحرير وتجفيــف مواردها المالية، ما انعكس بشــكل كبير على الجامعة في فلسطين، وقد عملنا لأشهر طويلــة، من رئيس الجامعة إلى أصغر موظف فيها، دون الحصول على رواتبنا كاملة، إلى أن تجاوزنا هذه الأزمة"، ودون أن يتذمر أحد.

ويســتذكر د. عمر: "في تلك الفترة، كانت الامتحانات والمراقبات تتم بالمجان، إذ لم تكن في الفرع طواقم كبيرة، وكنا نلجأ إلى أصدقائنا أعضاء هيئات التدريس في الجامعات المقيمة والمعلمين لمساعدتنا فــي المراقبة على الامتحانات. كنا نحمل مشــروعًا وطنيًا. لم نكن ننظر كثيرًا إلى ساعات العمل، بل كان همنا إنجاح ذلك المشروع".

ويشــير إلى أن الجامعة اســتمرت في المعاناة من هذا الوضع حتى تخرج الفوج الأول وأثبت جدارته في سوق العمل، وبدأت الفكرة تتضح للجمهور حــول هذه الجامعة الفتية، وبدأت الزيادة المطردة في أعــداد الملتحقين بها، وهذا أدى إلى ازديــاد أعداد الملتحقين في مركز طولكرم الذي انتقل من مركز دراســي إلى منطقة تعليمية مــن 200 طالب مطلــع العام الدراســي 1992/ 1993 إلى ما يلامس تقريبًا 5000 طالب حاليًا، ومن 3 موظفين في المركز إلى العشــرات اليوم، واتســعت مســاحة المبنى من 400 متر مربع إلى 5000 متر مربع" حاليًا.

جنود مجهولون قاتلوا من أجل رفعة طولكرم

في هذا السياق، يشير د. فيصل عمر إلى أن محافظة طولكرم أثبتت أنها وفية للعلم والعلماء، وفي هذا المضمار، أتذكر بعض الشخصيات الوطنية التي ساندت الجامعة، منهم من قضوا ومنهم من لا يزالون يناضلون، وأبرزهم المرحوم الدكتور ثابت ثابت وهو من اللجنة التي كانت تشرف على الجامعة.

ولم ينسَ د. فيصل عمر الحديث عن المرحوم حلمي حنون رئيس بلدية طولكرم، وبديع قعدان رئيس الغرفة التجارية، فهؤلاء كانوا الخلية المساندة التي تقدم الدعم المادي والمعنوي من خلال فتح قنوات الاتصال مع المجتمع المحلي ومؤسساته، وهم من ساندونا في تأثيث المركز الدراسي في البداية، وأتذكر هنا الشركة العشارية التي قدمت لنا 10 أجهزة كمبيوتر، كما أستذكر المرحوم الدكتور سمير السرغلي الذي قدم لنا أول طابعة ملونة، ففي تلك الفترة، تبنت محافظة طولكرم الجزء الأكبر من تأثيث المركز الدراسي.

ولم ينسَ د. فيصل عمر، الحديث عن دور مجلس الجامعة الأول، وعلى رأسهم أ. د. يونس عمرو رئيس الجامعة، ود. ذياب عيوش، ود. عاطف علاونة، وأ. د. سفيان كمال، ود. مطيع أبو حجلة، ود. حسين الأعرج الذي افتتح منطقة جنين التعليمية في حينه، ودعم في الفصل التالي إنشاء مركز طولكرم الدراسي.

مواقف طريفة في الطريق إلى المجد

ويتحدث د. فيصل عمر عن مواقف طريفة حصلت معه إبان افتتاح المركز الدراسي والمنطقة التعليمية، مشيرًا إلى أنه في المراحل الأولى، لم يكن لدى مركز طولكرم محاسب، فنحن كنا نعمل في التعيينات والمحاسبة والتسجيل وتوزيع الكتب، وكان المسؤول عن المالية فتحي حطاب، الذي جاءني متأخرًا في ساعات المساء، وأخبرني أن 1000 دينار مفقودة من أموال التسجيل، فقلت له على الفور أنا شريك في الخسارة، وسنرد المبلغ للجامعة، وفي اليوم الثاني عثر على المبلغ، ولم يخسر، وبقيت هذه الحادثة محفورة في ذاكرتي عن وفاء هذا الرجل للجامعة.

ويعود د. فيصل عمر بالذاكرة إلى ما قبل مجيء السلطة الفلسطينية، مشيرًا إلى أنه لم يكن للقدس المفتوحة وجود في طولكرم في ظل الاحتلال، وإنما كانت جزءًا من برنامج التعليم المفتوح التابع لجامعة النجاح الوطنية، وما أن بدأت المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية تشق طريقها، حتى بدأ الإفصاح عن جامعة القدس المفتوحة بشكل علني، وجرى تغيير الاسم من جامعة النجاح الوطنية- برنامج التعليم المفتوح، إلى جامعة القدس المفتوحة- مركز طولكرم الدراسي، وأصبح من السهل إخراج هذا المشروع الوطني التعليمي إلى العلن.

ويضيف: كانت لدينا مخاوف كبيرة من عدم نجاح فكرة التعليم المفتوح في فلسطين، ولكن بتعاضدنا وعملنا الدؤوب، نجحنا في خلق وعي بالتعليم المفتوح بتوجيهات من رئاسة الجامعة، حتى أضحت جامعة القدس المفتوحة واحدة من العوامل الرئيسة في تثبيت المواطنين على أرضهم بتوفير التعليم لهم في محافظاتهم، خصوصًا إبان الانتفاضة الثانية.

دراماتيكية التغلب على المصاعب

ويفتخر فيصل عمر، بأن جامعة القدس المفتوحة كانت الصرح الوحيد في

مدينة طولكرم التي بقي علم فلسطين مرفوعًا عليها إبان الاجتياحات الإسرائيلية لمدن الضفة الغربية في عام 2002 خلال الانتفاضة الثانية.

وعن هذه المرحلة، يقول: "عشنا واقعًا مر بمرحلتين؛ المرحلة الأولى كانت من المباني التي لا تستطيع استيعاب الطلبة أثناء الامتحانات التي تجري بالتزامن، وكان لا بد من اللجوء إلى المؤسسات المحيطة في المركز الدراسي في ذلك الوقت ونستعين بخدماتها، واستخدمنا المدارس في ذلك الوقت ومركز التدريب المهني لإجراء الامتحانات".

ويضيف: "أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة الانتفاضة، حيث جرى تقطيع الطرق وتحديدًا في فترة الامتحانات، وكان لا بد من التغلب على هذه الإعاقة، لذا أنشأنا مركزي امتحانات خارج حدود مدينة طولكرم: الأول في منطقة الشعراوية، وكان في بلدة دير الغصون، والآخر في منطقة الكفريات جنوب المحافظة، واستخدمنا مدرسة في كفر زيباد، وأجريت الامتحانات في تلك الفترة على مدار 3 فصول، لأن الامتحانات كان لا بد أن تعقد في فترة واحدة وساعة واحدة، وبالتالي لا بد أن نضمن أن كل طالب يريد أن يتقدم للامتحان يجب علينا أن نوفر له إمكانية الوصول إلى الامتحان. بالمقابل، في اللقاءات الصفية، كنا نفضل ورغم الاحتلال أن يأتي الطالب إلى المركز الدراسي لحضور اللقاءات، وعندما كانت الأمور تزداد سوءًا، كنا نعيد اللقاء الصفي مرات عدة، وفي تلك الفترة، كان التطوع من المشرفين والإداريين في طولكرم لافتًا للنظر".

وتابع: "أنا أفتخر أن القدس المفتوحة كانت المؤسسة التعليمية الوحيدة التي كانت تفتح أبوابها في بداية الانتفاضة، حتى في منع التجول، ولم ينزل عنها العلم الفلسطيني إطلاقًا، ونفتخر أنها أول مؤسسة انتظم الدوام فيها من الساعة الثامنة صباحًا إلى نهاية الدوام، وكانت المحرك الرئيس الذي قاد قاطرة كسر حصار مدينة طولكرم، حيث بدأت المؤسسات الأخرى اللحاق بنا تباعًا، واستضاف هذا المبنى جامعة فلسطين التقنية وإدارتها وطلابها وكلية الزراعة في جامعة النجاح الوطنية، والمنطقة كانت مستهدفة من السلطات الإسرائيلية ولا يستطيعون من الناحية الرسمية والعملية أن ينجزوا مهامهم.

فرع طولكرم اليوم

ويتحدث د. فيصل عمر عن تطور كبير شهدته جامعة القدس المفتوحة في طولكرم، إذ إنه مقارنة بكليتي الزراعة والطب البيطري التابعتين لجامعة النجاح، وجامعة فلسطين التقنية "خضوري" التي تستقبل أعدادًا كبيرة من الطلبة، سواء من المحافظة أو المحافظات الأخرى، لا يزال فرع طولكرم متميزًا بقدرة استيعابه الكبيرة رغم الفارق في البنى التحتية.

ويعمل حاليًا في فرع طولكرم 85 موظفًا، منهم 54 يعملون في الجهاز الإداري من مدير فرع إلى بقية الموظفين، و30 عضو هيئة تدريس، موزعين على كل الكليات والتخصصات الموجودة في الفرع.

وتوجد في فرع طولكرم كل الخدمات والتخصصات المقدمة في جامعة القدس المفتوحة، سواء المختبرات الحاسوبية والمكتبات، والمباني التي أنشئت حسب احتياجات الجامعة، من قاعات متسعة وممرات واسعة تصلح لأن تكون جامعة، ولكن تنقصنا الساحات العامة.

وللتخلص من أجرة المقرات، قال د. فيصل عمر: "كان لا بد أن تلتحق جامعة القدس المفتوحة في طولكرم بالفروع الأخرى وتنشئ مبنى خاصًا بها. وتقدمت بلدية عنبتا بقطعة أرض في أجمل مواقع المحافظة مساحتها 15 دونمًا تم شراء جزء منها والتبرع بالجزء الآخر، والجامعة الآن في المراحل النهاية لتصميم المباني المتعلقة بالجامعة في الموقع الجديد، ونأمل أن ننتهي قريبًا من هذا الموضوع وتصبح لنا مبانينا المملوكة".

وعن توقعاته لتطور الجامعة في المرحلة المقبل، يشير د. فيصل عمر، إلى أنه متفائل بمستقبل كبير للتعليم المفتوح في فلسطين في ظل الأزمة الاقتصادية الحالية، التي أصبح فيها خيار التعليم المفتوح خيارًا أسياسيًا، وكذلك في ظل التطور التكنولوجي الذي أصبح يحتم الدخول في التعليم المفتوح لمواكبة التطورات، بالإضافة إلى الكفاءة والتميز الذي يتمتع به خريجو الجامعة.

تصميم هندسي لمبنى فرع طولكرم.

هل الاستخدامات المتطورة للهاتف الخلوي تنتهك حرمة الجامعة والطالب؟

بيت لحم- "ينابيع"- ايملي سعادة- عشرات الطلبة يسيرون في الحرم الجامعي، جميعهم يحملون هواتف خلوية، يتبادلون عبرها الصور والرسائل النصية والمكالمات الهاتفية، هذه النقلة التكنولوجية إلى عالم الاتصال المحمول، رغم حسناتها إلا أنها خلقت مشاكل جديدة في الجامعات والمؤسسات التربوية، وهي تثير تساؤلات حول أثر التكنولوجيا والتطور التقني على حياتنا، فما نتج عنها من سلوكيات يستدعي وضعها في ميزان السلبية والإيجابية، فهل كانت الإيجابيات المستفادة من هذا التطور أكثر من السلبيات؟ أم أن السلبيات كانت هي العامل الأهم في التأثير على حياتنا بسبب هذا التطور العلمي ووسائل التكنولوجيا الحديثة، خصوصًا وسائل الاتصال الحديثة، وانتهاء إلى عالم الإنترنت وما يحمله في طياته من أفكار وثقافات؟

وتتــردد هنا وهناك قصص حول مناظــر مؤلمة وصور لاأخلاقية لشــباب يلاحقون الفتيات ويتبادلون فيما بينهم رسائل غير أخلاقية، لكن الهاتف المحمــول يمكن بالمقابل أن يخلــق تواصلاً بين الطلبة وذويهم، خصوصًا المتنقلين من محافظة إلى أخرى.

وتقــول إحدى الطالبات المتضررات مــن الهاتف الخلوي: "أنا من الذيــن كان لديهم إدمان على الهاتف الخلــوي، فكنت دائمًا أتحدث به وأقوم بتصوير نفســي بطرق مختلفة، وفــي يوم من الأيام حضرت لزيارتي طالبة من طالبات الجامعة كنت أعتبرها صديقتي، ودون علمي عندما كنت أجهز لها كوبًا من الشاي في منزلي، أرسلت صوري الموجودة على هاتفي الخلوي لشاب بالاتفاق بينهما لكي يقوم بإسقاطي".

وتضيف: "بعد ساعة تلقيت مكالمة هاتفية منه يهددني فيها بأن أعمل معه علاقة جنســية وإلا سينشــر الصور التي لديه مدبلجة، وعند سماعي لحديثه أغمي علي ونقلت إلى المستشفى، ولكن لم يعلم أحد من عائلتي ســبب ما حصــل لي، ومكثت في المشــفى عدة أيام، وعندما خرجت عاود الاتصــال بي فخفت كثيرًا وقمت بإبلاغ عمي الذي أعرف أنه متفهم أكثر من أبي وســردت له قصتي وأقســمت له أني لا أعرف هذا الشاب وأن صديقتي هي التي أرسلت له صوري من هاتفي الخلوي، فأبلغ عمي بعض رجال الأمن الذين أحضروا الشاب وأخذوا منه الصــور، وذلك لأني عمي كان متفهمًا، ولو أنه كان غير ذلك، فيمكن أن أكون أنا الآن في عداد الموتى".

في ســياق متصل، تقول طالبة أخرى: "أنا شخصيًا أعرف فتاة تم تصويرها في محل للملابس النســائية، وتــم ابتزازها من قبل صاحب المحــل، لكنها لم تتجاوب معه، فقــدم صورها لزوجها الذي لم يفهم سوى وجود صور زوجته بين أيدي شخص غريب، فطلقها وفضحها".

فــي هذا الســياق، ترى عضــو هيئــة تدريس بكليــة التنمية الاجتماعية والأسرية أ. سوسن مبارك، أنه يتوجب على الأسرة أن تلعب دورًا في الرقابة على الأبناء واستخداماتهم للهاتف النقال بشكل عام نظرًا للاســتخدامات السيئة التي قد تنتج عنه مثل: نقل أفلام أو صور غير لائقة أو استخدامه للتعارف بين الشباب والبنات.

وتضيــف: "هنــا لا أقصــد المراقبة فقــط، بل أقصــد التوجيه قبــل المراقبــة، فهذا هــو العنصر الأهم فــي العلاقة بيــن الأبوين والأبناء، ولأن اســتخدام الجوال أصبح أمرًا حتميًــا في حياتنا اليومية، وأصبحت التكنولوجيا عنصرًا أساســيًا في بيوتنا جميعًا مثل الإنترنت والفضائيــات وغيرها من الأمــور المتطورة في عالمنــا، لذلك لا بد من التأكيد على أن دور الأســرة يجب أن يكون أساســيًا ورئيسيًا من خلال توجيه الأبناء لكل الجوانب الإيجابية وإطلاعهم على الجوانب الســلبية أيضا حتى يتجنبوها".

وتذكر مبارك بمعاناة الجامعات جراء كاميرات التصوير الموجودة في هذه الهواتف، التي تســببت في كثير من الشــكاوى بين الطلبة، ووصل بعضها حد القتل قبل ست سنوات لطالبة جامعية من قبل أفراد

أسرتها إثر نشر صور فاضحة لها كانت قد نشرت عبر تقنية البلوتوث من قبل أصدقاء لها على مســتوى محيــط الجامعة بعد أن كانت هذه الطالبة ضحية استخدام حبوب منومة لها من قبل مجموعة رفاق السوء.

وتقدم أ. مبــارك نصيحة للطلاب قالت فيها: أنــا أنصح الطلاب دومًا بعدم اســتخدام هــذه الأدوات في تكوين العلاقــات، لأنها تكون علاقات زائفــة ولا يمكــن أن توثــق علاقات اجتماعية ســوية؛ كما أن اســتخدام البلوتوث في تبادل الأشياء الإباحية أمر يرفضه الشرع والمجتمع والاخلاق.

من جانبــه، يقول مدير جامعة القدس المفتوحة في بيت لحم د. إبراهيم الشــاعر: "لا أنكر أن للهاتف النقــال فوائد كثيرة، ولكن يجب أن نحسن استخدامه دائمًا ليكون تقنية حديثة مفيدة وليست ضارة، ولكن ما أراه من مظاهر التهافت عليه والتعلق من كلا الجنســين أصبح أمرًا يفوق قدرة العقل على تحمل هذا الهوس المحموم بتلك التقنية، فالهاتف النقال يحتل مكان الصدارة في كل جلســاتنا وأوقاتنا، وهذا غيــر مقبول بعد أن نقرأ في الصحف أو الإنترنت عن مضاره النفســية والفسيولوجية والأخلاقية".

وتحدث د. الشــاعر عن الآثار السلبية لاســتخدام الهواتف النقالة من قبل طلبة الجامعات، قائلا: "هناك ممارســات وســلوكيات غير سليمة ومرفوضة يلجأ إليها بعض الطلبة بواســطة الهاتف الخلوي، مثل اختراق خصوصية الآخرين ونشر صورهم أو إزعاجهم حتى من خلال رنين الهاتف بصوت مرتفع، والغش في الامتحانات، ونحن في جامعة القدس المفتوحة لا نتهاون مع أي طالب يســيء استخدام هاتفه الخلوي بأي طريقة، سواء إزعاج المعلمين والطلبة أو الغش في الامتحانات".

وبيــن د. الشــاعر أن إدارات الفــروع تحــذر الطلبــة دائمًــا من الاستخدامات الخاطئة للهاتف الخلوي ويتم إعلامهم بالعقوبات التي ستفرض عليهم من قبل الجامعة إذا استخدم الهاتف الخلوي بطريقة مسيئة، سواء للتصوير أو الغش في الامتحانات، وبسبب هذه الإجراءات ووعي طلبتنا، لم تعد هذه الظاهــرة موجودة في الجامعة، وإن وجدت، فهي تبقى في نطاق ضيق جدًا.

فلسطين الدولة الأكثر استخدامًا لموقع التواصل الاجتماعي

الأشهر مقارنة مع عدد السكان

فيسبوك.. عالم افتراضي يسرق عقول الفلسطينيين

طوبـاس- "ينابيع"- حيدر كايد- يقضي الطالب محمد يوسـف دراغمة نحو ثماني سـاعات يوميًا متصفحًا موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك (Facebook)، فهو مستخدم قديم لهذا الموقع حتـى أضحى من مدمنيه. "ويحتلّ" فيسـبوك حيزًا كبيرًا من برنامج محمـد اليومي، وهو يمتلك ما يقارب 2500 صديق على حساب واحد، بالإضافة إلى امتلاكه حسابين آخرين على الموقع ذاته.

محمد أسـس صفحة خاصة به، وهو عضو في العديد من الصفحات المتنوعة والمختلفة. يقول محمد بعد أن روى تاريخ الموقع منذ اشتراكه فيه وحجم التطور الذي يشهده: "يشكل فيسبوك جزءًا من حياتي الاجتماعية، ويسـتحوذ على كثير من وقتـي، ولدي العديد من الأصدقاء الذين أتواصل معهم باستمرار ولو افتراضيًا، من خلال المراسلات أو الدردشة أو تبادل المعلومات والتعليق عليها وتبادل مقاطع الفيديو المختلفة".

فيسبوك على عرش مواقع التواصل الاجتماعي

ويتربع موقع فيسبوك على عرش مواقع التواصل الاجتماعي من حيث عدد المستخدمين. وتشير الدراسات إلى أن عدد مستخدمي فيسبوك في العالم العربي بلغ (32) مليون مستخدم في آب 2011. وتلقى مواقع التواصل الاجتماعي رواجًا واهتمامًا خاصًا لدى أبناء الشعب الفلسطيني، وبخاصة موقع فيسبوك، الذي يوفر إمكانات عالية للتواصل بين مستخدمي الموقع، ويمكن المستخدمين من تبادل المعلومات والصور ومقاطع الفيديو والأفكار، من خلال التواصل بين الأشخاص أو المجموعات التي تُنشأ بشكل تفاعلي.

رواج كبير للموقع بين الفلسطينيين

أما فلسطينيًا، فقد لاقت مواقع التواصل الاجتماعي، وتحديدًا تويتر وفيسبوك رواجًا كبيرًا، حيث أضحت تجتذب جميع فئات الشعب الفلسطيني، وتحديدًا فئة الشباب، كما أنها استهوت قلوب بعض المثقفين والسياسيين وعقولهم، الذين أخذوا يُنشئون صفحات خاصة بهم على مواقع التواصل الاجتماعي، حتى إن العديد من الوزراء وأعضاء اللجنة التنفيذية وقادة فصائل العمل الوطني والمثقفين والكتاب، أضحت لهم صفحات خاصة بهم على فيسبوك، بالإضافة إلى بعض الشخصيات الثقافية والكتاب الراحلين الذين أسس عشاقهم صفحات خاصة بأسمائهم، فتجد صفحات تحمل أسماء محمود درويش وغسان كنفاني ومي زيادة وأنيس منصور، تنشر فيها أهم مقولاتهم وأعمالهم، كما أن العديد من المثقفين وأصدقاء العمل اهتموا بعمل صفحات خاصة تجمعهم وتسهل الاتصال فيما بينهم.

ويشير د. صبري صيدم مستشار الرئيس لشؤون الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات إلى أن عدد مستخدمي فيسبوك في فلسطين حسب إحصائيات غير دقيقة يقارب المليون مستخدم، أغلبهم من المراهقين والشباب حتى عمر (35 عامًا وتتساوى النسب في الفئة العمرية من 6- 14 عامًا ومن 35- 56 عامًا، أما المعلومات التي تمتلكها شركات تزويد الإنترنت في فلسطين، فتشير إلى أن عدد المستخدمين يتجاوز (1250000) مستخدم، ما يجعل فلسطين الدولة الأكثر استخدامًا لفيسبوك بالمقارنة مع عدد السكان.

مساحة للتعبير الحر

ويجمع مستخدمو فيسبوك على أنه يوفر مساحة للتعبير الحر، ويجعل الإنسان أقرب إلى التصرف بتلقائية وعفوية. يقول محمد دراغمة: "توفر مواقع التواصل الاجتماعي ميزة تتمثل في تمكين الشخص من التعبير عما يجول في خاطره بعفوية، ويجعلنا نتصرف حسب طبيعتنا أكثر".

وأشار د. صيدم إلى أن أهم ما يميز فيسبوك هو الطريقة التي يعتمدها في ضمان تواصل الأفراد، بحيث يجري التشعب داخل قائمة الأصدقاء لتصل بسهولة إلى أصدقاء آخرين بصورة تضمن لفت انتباه أكبر عدد من المستخدمين وتوسيع قاعدة التواصل، بالإضافة إلى إمكانية تبادل الأفكار والمعلومات بشتى الصور، علاوة على كونه عالمًا واسعًا من التسلية والتبادل الفكري والثقافي". وأشار إلى أن الموقع لا يخضع لأي رقابة سوى ما تفرضه إدارة الموقع من رقابة.

وحول مدى خدمة الموقع للقضايا الوطنية الفلسطينية، قال د. صيدم إن هناك مشكلة في عالم السياسة تفرض نفسها على الواقع، فحالة الانقسام الداخلي وانسداد الأفق السياسي أدتا مجتمعتين إلى العزوف عن الاهتمام بالقضايا الوطنية، ما جعل الاهتمام الأكبر لمستخدمي الموقع بالتسلية والترفيه، من ثم عالم الأخبار، ثم الاهتمامات الدينية، ما جعل الاهتمامات الوطنية تحتل المركز الرابع من حيث الاهتمام.

وأضاف: "هناك العديد من الحملات الوطنية التي انطلقت في الآونة الأخيرة تعبر عن مواقف سياسية". وحول ما إذا كانت هناك اتصالات بين جهات فلسطينية وإدارة الموقع، قال د. صيدم: "سبق أن جرت اتصالات بين أطر مختلفة في السلطة الفلسطينية والقائمين على الموقع من خلال وسطاء لمحاولة الاستفادة أكثر من تجربة الموقع، وذلك للوقوف على ما يطرح بالشأن الوطني أو الديني أو الأخلاقي".

آثار سلبية

وعلى الرغم من الميزات والفوائد التي توفرها مواقع التواصل الاجتماعي، غير أن لها العديد من الآثار السلبية في حال إساءة استخدامها، وبخاصة في ظل غياب قانون خاص يعاقب في فلسطين على الجرائم المرتكبة من خلال الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي.

ويقول محمد دراغمة إن أكبر سلبية لهذا الموقع هي تمكن بعض الأشخاص من سرقة بعض الحسابات واستخدامها، ما يشكل هاجسًا لي ويدفعني لعمل حسابات إضافية أخرى كي لا أخسر أصدقاء العالم الافتراضي، كما أن من أكبر السلبيات انتحال الشخصيات والتحدث باسمها وإمكانية نشر أي شيء، بغض النظر عن توافقه مع ديننا أو قيمنا.

غياب قانون يحاسب الجرائم الإلكترونية

أما عن المخاطر الناتجة عن سوء استخدام الموقع في ظل غياب قانون فلسطيني يحاسب على ارتكاب الجريمة الإلكترونية، فقال د. صيدم: "من الواضح أننا في هذا العالم دخلنا في حيز انعدام الخصوصية لدرجة أن كل من له علاقة بالشأن العام أصبح مستباحًا من حيث الشخصية والمواقف والآراء، بحيث يجري إنشاء مواقع مختلفة لنفس الشخص لا تكون له علاقة بها تنشر مواقف وآراء تبدو كأنها ذات مصداقية من حيث الشكل، بالإضافة إلى القرصنة المتمثلة بسرقة كلمات السر الخاصة بالمستخدمين وبث صور وأخبار وعبارات لمخالفة لما يرتضيه صاحب الصفحة أو مخالفة لمواقفه المعلنة، داعيًا المجتمع إلى توفير بيئة تأخذ في الاعتبار كل جديد وتنسجم مع ثقافة المجتمع

ودينــه وقيمه الاجتماعيــة. وقال إن عالم التكنولوجيــا والمعلوماتية عالم متســارع بشــكل مهول، وهذا ما يجعل من الصعب على الجميع أن يواكب هذا التطور الهائل، مشــيرًا إلى أن الطريقة المثلى لا تكمن بالاستســلام أو العزوف عن دخول الفضاء الإلكتروني، إنما في الدراية والمواكبة والمتابعة وحتى الإبداع في مواجهة الزحف الإلكتروني غير المســبوق. وأضاف: "رغم كل ما حصل في عالم الإنترنت في فلسطين مــن قرصنة لمواقع واختــراق لمواقع أخرى وحجــب لبعض الفضاءات الإلكترونية وانتحال للشخصية والإساءات بالقذف أو التجريح وما واكب كل هذه الأحداث من نداءات مستعجلة لولادة قوانين ناظمة كقانوني الإنترنت والجريمة الإلكترونية أو تعديل لقانون العقوبات، غير أن هذه النداءات لم تلقَ الاســتجابة المطلوبة كــون الحكومة ربما ترى أن هذه الأمور ليســت ضمن أولوياتها وبالتالي"، منوهًا إلى أن تأجيل البت في هذا الموضوع سيترك الباب مشرعًا أمام المزيد من التجاوزات.

دوافع استخدام الموقع متعددة

وعن الآثار النفسية لفيسبوك، تحدث د. إياد أبو بكر رئيس قسم التدريب الميداني في جامعة القدس المفتوحة، قائلاً: "يعدّ فيسبوك الأداة الثانية بعد البريد الإلكتروني والأكثر اســتخدامًا لمواقع شبكات التواصل الاجتماعي، وربما يعود الســبب في ذلك إلى طبيعة التفاعل المباشــر بين المتصليــن، بحيث تكون ردود الفعل ســريعة جدًا على الرسائل المرسلة".

وتتعدد دوافع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي عند الأفراد وخصوصًا فئة الشــباب، منها قضاء وقت الفراغ حيث يقضي الشباب وقتًا كثيرًا في اســتخدام هذه الشــبكة لدرجة الإدمان، وهذا بدوره له بعــدان مهمان من حيث الفائدة: بعد ســلبي متمثل في قضاء أوقات مهمة في حياة الإنســان لا يجني منها الفائــدة المرجوة، خصوصًا أن الصداقــات على الإنترنت لا تكون صداقــة بالمعنى المطلوب، إنما في أغلــب الأحيان صداقات وهمية، وهذا بدوره يخلق حالة من اللاثقة عند الإنســان تجاه الآخرين وعلى البنية النفســية لديه، بحيث تقلل ثقته بنفسه وبالآخرين.

أما البعد الآخر -حســب أبو بكر- فهو إيجابي، حيث إن اســتخدام فيسبوك يساهم في قضاء أوقات الفراغ بطرق إيجابية، بحيث يقضي الشباب أوقاتًا ترفيهية عند استخدامهم الموقع في ظل افتقار الشعب الفلســطيني لوسائل ترفيهية كباقي شــعوب العالم، ناهيك عن أن وقت فراغ الشــباب مقتول ودون اســتغلال، خصوصًا في ظل الظروف الاقتصادية التي تمر بها السلطة الفلسطينية من غلاء المعيشة وعدم توافر فرص العمل في صفوف الخريجين، فيلجأ الشــاب الفلسطيني إلى استخدامه.

وقد يضطر بعض الشباب لاستخدام الإنترنت بدافع أنها تشكل مصــدرًا للمعلومات عن القضايا المختلفة، وهذا بدوره بلا شــك ينمي ويلبي حاجة الإنسان من العلم والمعرفة. ويضيف أبو بكر: "اعتقدنا أن فيسبوك يشكل مصدر معلومات دائمًا ومفيدًا، ولكن واقع الحال ليس كذلك، فبعض الأشــخاص يســتخدمونه بطريقة غير صحيحة فترى بعضهم يضعون صور مخلة بالآداب".

وكغيره من مواقع التواصل الاجتماعي، قد يلجأ بعض الشباب إلى استخدامه لمناقشة القضايا السياسية والاجتماعية التي تهمه وتهم بلــده. ويقول أبــو بكر: "كلنا يعلم أن ما يســمى الربيع العربي انطلقت شــرارته من هذا الموقع حتى أضحى نقطة الانطــلاق لأي فعل ينوي الشباب القيام به".

ويضيف: "للأســف، يتم اســتخدام الموقع في مناقشة القضايا السياســية والاجتماعية بشــكل سلبي، فخلاله تســتخدم الشائعات التي لها أثر كبير في زعزعة اســتقرار الفرد علــى الصعد الاجتماعية والمجتمعية والنفســية، وهذا للأســف نشــاهده من خلال صفحاته المختلفة التي ينشــئها الأفــراد والجماعات أو ربما الدول في ســبيل تحقيق غايات بلا شك هدفها غير سامٍ أو إيجابي".

الإدمان على مواقع التواصل الاجتماعي يؤدي إلى حالة من التوتر

ويشــير د. أبو بكر المتخصــص في الخدمــة الاجتماعية إلى أن استخدام فيسبوك والإدمان عليه يزيد حالة التوتر والقلق الشديدين، خصوصًا فــي حالة وجود أي عائق للاتصال بشــبكة الإنترنت، كما أنه يدخل الإنســان فــي حالة من الوهــم، بحيث يختلط الواقــع بالوهم، ويعتقد أن الصداقة الحقيقية تتم عن طريق فيسبوك، وهذا يقلل من مقدرة الفرد على خلق نفســية ســوية قادرة على التفاعل مع المجتمع والواقــع المعاش، ما يجعله ينســحب وبشــكل ملحوظ مــن التفاعل الاجتماعــي ويترك أثره في الهوية الثقافيــة والعادات والقيم، وذلك في ظل الغزو المعلوماتي الهائل.

facebook
ما له وما عليه

د. خالد عبد الجليل دويكات
جامعة القدس المفتوحة / فرع نابلس

ذات ليلة من ليالي شتائنا الفلسطيني الطويل، أرقت وعادني ما يشبه الإدمان على الإنترنت، وكان ذلك بعد أن خلدت أسرتي إلى النوم، بينما أنا بليل الأرق متململ أتقلب في فراشي لا أجد للنوم سبيلاً، عندها لم أجد ما ألوذ به سوى صديقي القديم المقرب المحبب إلى نفسي، ذاك الذي لم أسطع عنه بعدًا، الذي رغم صداقتنا المديدة، أجده بألف وجه ولون وصورة، وكان قد فاجأني في تلك الليلة بدعوته لي لاحتساء قدح من الشاي الساخن أعددته بنفسي، ثم دعاني لقراءة مقالة أعجبته كتبها صديقه "إبراهيم ملحم" في شبكة "معًا" الإخبارية، تحدث فيها عن بدايات صداقته للفيسبوك، وكيف أنه ما زال يعتبر نفسه "سنة أولى فيسبوك". فقرأت المقالة التي نالت إعجابي، وقررت كتابة مقالة عن "الفيسبوك" وعشيرته الممتدة من "الفيسبوكيين" في أرجاء المعمورة الذين وصل عددهم عام 2011 إلى ما يقارب 800 مليون شخص بالعالم، حسب إحصائية أجرتها شركة Pingdom الأميركية ومجموعة ازتك الشرق الأوسط letstweetinarabic ، منهم 22 مليون مستخدم في الوطن العربي تتقدمهم مصر التي يقدر عدد مستخدمي الفيسبوك فيها بحوالي 5 ملايين شخص، بينما يقدر عدد مستخدمي الفيسبوك في فلسطين بحوالي مليون فلسطيني، وهو عدد كبير مقارنة بعدد السكان.

ورغم هذا العدد الهائل من مستخدمي الفيسبوك، الذي أثبت نجاح فكرة مؤسسه ""Zuckerberg "حين خطط لإطلاق هذا المحدث العجيب رغبة منه في جعله وسيلة تواصل اجتماعي تهدف إلى خلق عالم أكثر انفتاحًا وترابطًا، نجد في الوقت ذاته أن أهل الأرض قد انقسموا بين مؤيد ومعارض للفيسبوك واستخداماته؛ فمن الناس من يؤمن أن هذا المحدث يمثل منبرًا حرًا للتواصل الاجتماعي ويسهم في التآلف والتعارف بين البشر، ويتيح للشباب والكهول، وللرجال والنساء على حد سواء، إطلاق طاقاتهم الإبداعية، ويمكنهم من التعبير عن أنفسهم بحرية ومرونة دون خوف من رقيب أو حسيب، وهو منبر يتساوى فيه الغني والفقير والأمير والوزير والعبد الحقير، وذاك حين نجد صفحات للرؤساء والملوك والأمراء والوزراء، للمعلمين والطلاب، للمهندسين والصناع والزراع، للذكور والإناث، للصغار والكبار، تراهم فرادى وجماعات ومجموعات ومنتديات قد أقبلوا عليه طمعًا في تعارف ونقاشات ودردشات هدفها ملء الفراغ أو قتل الروتين والملل، أو قد يكون للتواصل بين أحبة وأهل وأصدقاء تقطعت بهم السبل وفرقت بينهم الأيام والسنون، وقد يأتي هذا الاستخدام طمعًا في لقاء إنسان طال انتظاره ليكون صديقًا ورفيقًا ومؤنسًا، وربما حبيبًا أو شريك حياة.

وهنا نجد صفحة لرئيس الوزراء سلام فياض، وأخرى لنتنياهو، وثالثة لمفتي نابلس، ورابعة للملكة رانيا العبد الله، وخامسة وسادسة وسابعة للشركات والمؤسسات والمنظمات غير الحكومية وطلبة الجامعات، وغيرها المئات من المواقع والحسابات التي تقدم فوائد جمة للمستخدمين بما يخدم مرحلة البناء والرقي في المجتمع والتواصل المحمود بين جميع أفراده على اختلاف انتماءاتهم السياسية والدينية والفكرية والعمرية والاجتماعية والعرقية، وهو فوق كل هذا وذاك، وسيلة دعاية وإعلان وإعلام تصل الملايين بثمن بخس وبجهد بسيط.

وفي حقول التربية والتعليم، نجد مئات المؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات وكليات ومدرسين وطلبة قد ولجت هذا العالم الافتراضي، فأسست لنفسها ولغيرها منتديات وحلقات نقاش ومجموعات تعارف وغير ذلك مما يمكن المعلمين والمتعلمين والمهتمين بهذا المجال أو ذاك من فتح آفاق واسعة رحبة للنقاش وتبادل الآراء والحوار فيما بينها بما ينفع الناس والوطن. وهنا أطرح مثالاً واحدًا يدلل على إمكانية توظيف الفيسبوك في التربية عمومًا وفي تدريس اللغة الإنجليزية على وجه الخصوص، حيث يمكن هنا تعزيز مهارات القراءة والكتابة والاستماع في مجال اللغة الإنجليزية، خاصة إذا تم تحديد قواعد وأسس تمنع استخدام الاختصارات وكسر القواعد والخروج عنها، وتلتزم بعلامات الترقيم مثل الأحرف الكبيرة والفواصل وعلامات التعجب والسؤال والبعد عن الأخطاء القواعدية والإملائية وغيرها، ما يسهم في تحسين وتطوير مهارة الكتابة على وجه الخصوص، كما يمكن تحديد موضوع للنقاش يدلي كل مشارك برأيه حوله ويبني عليه، حتى إنه لا ضير من توظيف "الفيسبوك" كوسيلة لحل المشكلات والعصف الذهني.

وعلى النقيض، نجد من يعارض هذا الغريب العجيب، ويعتبره خروجًا سافرًا عن المألوف، وتقليدًا أعمى قد ينذر بشر مستطير، بل ويظنه البعض حالة هروب من واقع أليم نعيشه إلى عالم افتراضي خيالي حالم نرسم له، يشدنا إلى إنسانيتنا وكينونتنا الاجتماعية التي خلقنا عليها والتي ترى أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه. ومن هؤلاء من يرى أن الفيسبوك يسهم في إفساد الخلق وتدمير الأخلاق وإشاعة الرذيلة، حين يصبح منبرًا للتبرج والعري والانحلال الأخلاقي وبث نار الفرقة والتناحر والشرذمة بين أبناء الوطن الواحد، وذلك حين يلجأ بعض ذوي النفوس المريضة إلى إضافة شعارات وتعليقات وصور وفيديوهات وتسجيلات ومقتبسات وكتابات مخالفة للقيم والأخلاق والدين والمعتقدات، ما يؤدي إلى حروب الكلمات والشعارات التي نجدها على الفيسبوك تهاجم هذا وتدافع عن ذاك، تمجد هذا وتقزم ذاك. ومن الأمثلة على هذا ما نشره موقع إخباري قبل فترة عن قيام أجهزة الأمن في إحدى المدن الفلسطينية بإلقاء القبض على شخص من مرتادي "facebook" فتح صفحة له على الموقع، استخدمها للتحريض والتشويه ضد بعض العاملين في جامعة فلسطينية. بينما نقرأ في خبر آخر أن الشرطة قبضت على شخص حاول ابتزاز فتاة عبر تهديدها بنشر صورها على المواقع الإلكترونية في مدينة أخرى، وتبين أن الفتاة تقدمت بشكوى حول تعرضها للتهديد من شخص كانت على علاقة به وكانت بينهما مراسلات عبر الإيميل والفيسبوك، حيث قام بتهديدها بنشر صورها عبر الموقع الإلكتروني وإرسالها إلى ذويها إذا لم تعد العلاقة به.

هنا تبرز الحاجة إلى وضع قواعد وقيم للسلوك "الفيسبوكي" يمكن أن تكون على شكل مدونة سلوك خاصة بمستخدمي الفيسبوك، تحدد آليات وسلوكيات المستخدمين والتزام الجميع بها. كما لا بد هنا من توجيه بعض النصائح للمستخدمين لا سيما الفتيات وتنبيههن إلى عدم وضع صور شخصية أو رقم الهاتف أو تاريخ الميلاد ومكان الولادة أو أية معلومات شخصية أخرى، حتى لا تستغل من قبل ذوي النفوس المريضة بشكل أو بآخر، ومنهم قراصنة الحاسوب الذين يستخدمون هذه البيانات الشخصية لسرقة الحسابات الخاصة ببعض المستخدمين، واستخدامها بطريقة مسيئة قد تدمر حياة ومستقبل الشخص دون أن يدري. كما ينصح بعدم استخدام هذه البيانات ككلمات سر لحساب على الفيسبوك أو حساب على صفحة الجامعة أو الماسنجر أو خلافه. كما يفضل عدم قبول عروض صداقات قد تأتي من غريب نجهله أو اسم مصطنع قد يكون شركًا يبغي إيقاعنا في شركه وحبائله.

من جهة أخرى، نجد بعض أصابع الاتهام تتجه إلى الفيسبوك كأحد أسباب شعور البعض بالحزن والإحباط، وحسد الغير، ويتضح ذلك من خلال دراسة حديثة أجراها باحثان أميركيان، ونشرتها دورية متخصصة بعلم النفس الافتراضي والسلوكيات والتواصل الاجتماعي، أظهرت أن الفيسبوك يدفع الناس إلى الحزن نتيجة لطبيعة بعض الصور التي ينشرها الآخرون على صفحاتهم، فعلى الرغم من أن معظم الصور على الفيسبوك تهدف إلى نشر الابتسامة والمرح، فإن نشرها -حسب الدراسة- على موقع التواصل الاجتماعي من قبل بعض الأشخاص يدفع بالبعض إلى الشعور بأن أصدقاءهم أكثر سعادة منهم. كما وجد الباحثان، أن قضاء وقت أطول على الفيسبوك قد يوحي لبعض الناس أن أقرانهم يعيشون حياة أفضل منهم، وأن الحياة أقل إنصافًا لهم. وخلصت الدراسة إلى أن إضافة المزيد من الأشخاص الغرباء إلى قائمة الأصدقاء يعزز من الشعور بالحزن والإحباط، نتيجة ما ينشره هؤلاء من صور. واختتم الباحثان بالقول إن الأشخاص الذين يقضون وقتًا أقل في التواصل الاجتماعي الافتراضي على شبكة الإنترنت ويخصصون وقتًا أطول للتواصل الوجاهي مع الأهل والأصدقاء، يكون شعورهم بالحزن والإحباط أقل.

من هنا، نستنتج أن الفيسبوك كوسيلة وموقع للتواصل الاجتماعي لا يمكن تبرئته من بعض الخطايا والآثام التي قد تنشأ عن سوء الفهم أو الاستخدام، وهو كمثل غيره من وسائل التكنولوجيا المتطورة، له ما له وعليه ما عليه، وهو سيف ذو حدين، إن أحسنّا استخدامه، جاءنا بالخير الوفير، وإن أسأنا استخدامه، فالويل ثم الويل لنا ولمجتمعاتنا من شروره ومآسيه.

إضاءة على تجربة جامعة القدس المفتوحة في التدريب الإلكتروني

(دورة تحليل البيانات باستخدام برنامج spss أنموذجًا)

د. حسني عوض
فرع طولكرم التعليمي

يشهد العصر الحالي ثورة مذهلة في مجالي العلوم والتكنولوجيا وتطبيقاتهما في الحياة العملية. ولعل في مقدمة ذلك تطور تقنيات الاتصالات ذات الإمكانات الهائلة، وهذا ما دفع بعض المهتمين في مجال التدريب إلى توظيف هذه التقنيات في تطوير البرامج التدريبية، وظهر ما يعرف بالتدريب الإلكتروني E- Training. وقد تزامن هذا التطور مع الظروف الناتجة عن زيادة الأعداد والتوسع الجغرافي وتقنين المصروفات وضبطها وكذلك أحقية جميع أفراد المجتمع في الحصول على فرصة للتعليم والتدريب، وكذلك خصوصية بعض فئات المجتمع الفلسطيني كفئات الموظفين وربات البيوت وذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن. جميع هذه العوامل جعلت من الضروري تبني استراتيجيات جديدة يمكن الاعتماد عليها في تطوير المجتمع بشكل عام وتنميته في ظل اقتصاد عالمي يرتكز على المعرفة (Knowledge-based Economy)، حيث لم تعد المعلومة حكرًا على أحد، ولم يعد الوصول لها أمرًا معقدًا، فوسائل الاتصال وتوفرها وجودتها ألغت جميع الحدود سواء أكانت ثقافية أم جغرافية. وقد أحدثت التطورات التي شهدتها مجالات تقنية المعلوماتية والاتصالات نقلة نوعية في جميع العمليات التعليمية وبخاصة ما يتعلق بطرائق التدريس وأساليب التدريب. حيث أدت هذه التحولات إلى ظهور آليات حديثة في طرق اكتساب المعارف والمهارات وفي وسائل نقلها واستراتيجيات توليدها. وأصبح من السهولة بمكان توظيف تقنية الاتصالات والمعلومات وتطويعها للحد من هوة الفوارق الاجتماعية والثقافية، وتخطي قيود الزمان والمكان وندرة الموارد البشرية. ومن هنا برزت أهمية التدريب الإلكتروني والحاجة المستمرة لتطويره.

وقد تبلورت فكرة توظيف تقنيات الاتصال الحديثة في التدريب في مجال التحليل الإحصائي باستخدام البرمجيات الحديثة عندما كان الكاتب وزميله أ. إياد أبو بكر حاضرين في مؤتمر رابطة علماء النفس المسلمين في الشارقة عام 2010، وكان مقررًا أن تعقد ورشات عمل تدريبية في التحليل الإحصائي باستخدام برمجية (Spss)، ولأسباب تقنية ولوجستية، لم يتمكن منظمو المؤتمر من عقد هذه الورشات، فطرح الكاتب وزميله في حينه أن يتم عقد دورة تدريبية من خلال التدريب الإلكتروني وباستخدام نظام إدارة التعلم (Moodle) وتقنية الصفوف الافتراضية التي كانت تستخدمها جامعة القدس المفتوحة منذ عام 2008 في التعليم الإلكتروني والتدريب، وما أن تم الإعلان عن الدورة عبر المنتديات ومنصات الشبكة العنكبوتية، حتى بدأت الردود وطلبات الالتحاق بالدورة تتوالى من كافة أنحاء العالم العربي. وقد حالت بعض المعوقات الفنية والإدارية في حينه من تنفيذ الدورة، حتى تبنى الفكرة مركز التعليم المفتوح ومركز التعليم المستمر

وخدمة المجتمع في جامعة القدس المفتوحة التي أخذت على عاتقها إدارة العملية وتشكيل فريق عمل قام بتصميم موقع تعليمي للدورة بالتعاون مع خبراء ومختصين في الإحصاء والتحليل الإحصائي من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة وتخصيص صف افتراضي خاص بالدورة ومن ثم تكليف الكاتب بإدارة الدورة وتنفيذها بعد الإعلان عنها واختيار المتدربين حيث تم الاكتفاء بـ(14) متدربًا في المرحلة الأولى من أجل الوقوف على مواطن القوة والضعف في التجربة، ليكون بالإمكان لاحقا زيادة عدد المتدربين في الدورة الواحدة. وقد جاءت فكرة اختيار التحليل الإحصائي كمادة تدريبية وتقديمها بأسلوب التدريب الإلكتروني لإيجاد البدائل المختلفة لسد حاجة الكاتبين وطلبة الدراسات العليا والعاملين في المؤسسات والوزارات التي تستخدم تحليل البيانات باستخدام برمجية (Spss) والوصول لهم في أي مكان بأسلوب يراعي ظروف وخصوصية المستهدفين بالعمل التدريبي، وانطلاقًا من أهداف جامعة القدس المفتوحة ورغبة القائمين عليها في تقديم تدريب نوعي وفق معايير عالمية للمجتمع المحلي باستخدام التقنيات الحديثة، وتحديدًا تقنيات التعليم والتدريب الالكتروني.

الإجراءات التي اتبعت في تقديم دورة تحليل البيانات كنموذج:

لقد تم القيام بالإجراءات اللازمة للتخطيط للبرنامج التدريب وتنفيذه وتقويمه ومتابعته كإستراتيجية جديدة للتدريب الإلكتروني، وهذه الإجراءات هي:

1. **إدارة البرنامج التدريبي:** اندرج تحتها عدد من الخطوات الإجرائية التي قام بها مركز التعليم المفتوح في جامعة القدس المفتوحة، ومن هذه الخطوات:

- **الخطوة الأولى:** تشكيل فريق العمل من المتخصصين في التصميم التعليمي والإداريين والفنيين.
- **الخطوة الثانية:** اتخاذ قرارات بشأن تكليف خبراء من أعضاء هيئة التدريس في جامعة القدس المفتوحة لبناء المحتوى العلمي لدورة تحليل البيانات والتركيز على المهارات الأساسية في التحليل الإحصائي، وتحكيمه من قبل خبراء آخرين في نفس المجال.
- **الخطوة الثالثة:** تحديد عدد اللقاءات ومحتوياتها والأنشطة وموضوعات حلقات النقاش التي طرحت في التصميم الإلكتروني والتي بلغ عددها (9) لقاءات، إذ تم وضع وتصميم هذه اللقاءات والأنشطة وموضوعات حلقات النقاش، بما يتلاءم مع أهداف الدورة من جهة، وبما ينسجم مع التسلسل المنطقي للجانب المعرفي والمهاري.
- **الخطوة الرابعة:** تصميم الموقع الإلكتروني للدورة باستخدام برمجية نظام إدارة التعلم (moodle) من قبل فريق العمل في مركز التعليم المفتوح.

الخطوة الخامسة: الإعلان عن الدورة وبدء البرنامج التدريبي. وفيما يلي الإستراتيجيات والأساليب التي استخدمت في التدريب:

أ. شرح الأهداف والمهام في بداية اللقاء التدريبي: شرح الكاتب الأهداف والمفاهيم والمبادئ والإستراتيجيات التي سيتم

تنفيذها، وكان مثل هذا الشـرح يجري في مقدمة كل لقاء (على الصف الافتراضي)، كمـا كان الكاتب يوضح المهمة للمتدربين قبـل أن يبدأوا بالعمل، إذ كان يشـرح المفاهيم المسـتهدفة والأنشـطة وطرح أسـئلة محددة على المتدربيـن للتيقن من فهمهم للمهمة أو المهارة المراد اكتسابها.

ب. بناء المحاسبية (المسـؤولية الفردية): كان الكاتب يقوم أحيانًا بالاختيار العشوائي لبعض أفراد المجموعات ليشرحوا ما حققوه من تعلم وخاصة فيما يتعلق بالمهارات التي تحتاج إلى تطبيق عملي.

ج. بنـاء التعاون بيـن المتدربين: كان الكاتب فـي بعض الحالات يطلـب من بعض المتدربين وبعد الانتهاء من مهمتهم بنجاح العمل مـع المتدربين الآخرين والأخذ بيدهم للوصول إلى إتقان التعلم ومساعدتهم لتحقيق الإنجاز المطلوب وتحقيق الهدف المرسوم.

د. المراقبة والتدخل والتقويم: لتحقيق هذا الغرض، اتبع الكاتب ما يلي:

أ. تحديد أوقـات تقديم المهام والأنشـطة وحلقات النقاش بفترة زمنية محددة.

ب. تقديم المساعدة للقيام بالمهام والأنشطة لمن يحتاج لها.

ج. تقويم الأنشـطة والمهام والمشـاركات بعـد انتهاء وقت تقديمها مع إعطاء تغذية عكسية مباشرة للمتدربين.

هـ. مكافأة المتدربين المتميزين وتعزيزهم.

و. استخدام الأفلام التدريبية والوسائط المساندة في اللقاءات.

ز. إعطاء مهام وواجبات للمتدربين في نهاية كل لقاء واختيار عدد من المتدربين في اللقاء التالي لتقديمها أمام زملائهم عبر الصف الافتراضي.

ح. استخدام مشاركة التطبيقات والتحكم بسطح المكتب البعيد.

في ضوء نتائج هذه التجربة ونجاحها، وبعد تقييمها والوقوف على مواطن القوة والضعف فيها، يوصي الكاتب بما يلي:

1. ضـرورة التركيز علـى مبدأ فريـق العمل في تصميـم البرامج التدريبية وتنفيذها بحيث يضم الفريق متخصصين في تقنية المعلومات، والبرمجة، والشبكات، وأمن المعلومات الذين تتكامل جهودهم مع الفنيين والأكاديميين والتربويين.
2. العمل على تشـجيع التدريب الموجه ذاتيًا والتدريب التعاوني والتشاركي التي تزيد من درجة تحكم المتدرب وتحمل مسؤولية تعلمه في التدريب الإلكتروني.
3. ضـرورة التركيـز على النشـاطات التدريبية التي تشـجع على المشـاركة النشـطة للمتدرب، حيث تـزداد احتمالية تحقيق أهـداف البرنامج التدريبي من خلال توفير نشـاطات تشـرك المتدرب في تفاعلات متكررة وتعلم نشط.
4. يوصي الكاتب بالتوسـع والانتشار في تقديم البرامج التدريبية لتشمل مجالات أخرى وعلى المستويين المحلي والإقليمي.

النتاجات التي يحققها التعلم الإلكتروني في جامعة القدس المفتوحة*

د. مجدي علي زامل
أستاذ التربية المساعد «أصول التربية» - رئيس قسم التربية العملية- كلية التربية

في ظل التحديات التي يفرضها التطور المعرفي والتكنولوجي على مختلف القطاعات، بما فيها قطاع التعليم، اتجهت الجامعات إلى تبني إستراتيجيات وأنماط تعليمية مختلفة، لتستطيع مواكبة التطورات الحاصلة في ميادين المعرفة والتكنولوجيا، وإعداد الفرد الإعداد الذي ينسجم والتغيرات الحاصلة في المجتمع.

ويمثل التعلم الالكتروني أمرًا ضروريًا في مواجهة التحديات التي يفرضها التطور المعرفي والتكنولوجي، حيث يسهم في تلبية احتياجات المتعلمين، وتحقيق التواصل الفعال، وإتاحة الفرص التعليمية لأكبر عدد ممكن من الأفراد، وتنمية مهاراتهم وصقل شخصياتهم، وإعدادهم للحاضر والمستقبل.

وتبرز أهمية التعلم الإلكتروني في توفير التواصل والتعلم لجميع الطلبة، ودون حواجز وفي أي مكان وفي أي وقت، حيث إن نظام التعليم المفتوح في جامعة القدس المفتوحة كان له الاهتمام الأكبر في اعتماد التعلم الإلكتروني وبأنماط مختلفة في تدريس المقررات الدراسية، وكان للتعليم المفتوح نصيب وافر من الفوائد التي قد تنعكس عليه نتيجة التعلم الإلكتروني، فرغم أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تعم فائدتها على جميع المؤسسات التعليمية، إلا أن جامعات التعليم المفتوح تُعد المستفيد الأكبر منها، حيث إنّ مفهوم التعليم المفتوح عبارة عن: نظام تعليمي تعلمي يسعى إلى تحقيق أهداف تعليمية في جو من المرونة بالمكان والزمان والظروف، واعتماد المتعلم على نفسه في عملية التعلم، وباستخدام المواد التعليمية القائمة على التعلم الذاتي، وبتوظيف فاعل للتقنيات التربوية المتاحة. إن تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عمل جسرًا من التواصل بين المعلمين والطلبة في التعليم المفتوح.

ومن خلال عملي في جامعة القدس المفتوحة، كمصمم تعليمي للمقررات الدراسية الإلكترونية، أرى أن للتعلم الإلكتروني إسهامات عدة في التعليم الجامعي المفتوح، وأنه يتيح التعلم بيسر وسهولة، ويراعي الفروق الفردية بين الطلبة، وينمي مهارات معرفية ووجدانية ومهارية.

ويتضح من تتبع الأدب التربوي اعتماد التعلم الإلكتروني والتعليم الجامعي المفتوح على التعلم الذاتي في تعلم الطلبة، وهذا يسهم في ترسيخ اعتماد المتعلم على ذاته أثناء التعلم، وينمي لديهم القدرة على تحمل المسؤولية، وينمي مهارات التفكير المتنوعة كالتحليل والتفسير والتطبيق والتركيب وإصدار

الأحكام، ما يسهم -بلا شك- في بناء خبراتهم التعليمية والمهنية اللازمة لسوق العمل.

وقد أظهرت البحوث والدراسات أن تمثل مبادئ التعلم المدمج في العملية التعليمية يؤدي إلى تحقيق تحسينات جذرية في فاعلية برامج التعليم مقارنة بالأساليب التقليدية البحتة، حيث ركز الباحثون في السنوات الأخيرة على دراسة فاعلية الإستراتيجيات المختلفة لهذا المدخل من التعلم، وكان من أهم نتائجها وجود اتجاهات إيجابية نحو التعلم المدمج، وأنه يسهم في زيادة التحصيل لدى الطلبة، حيث يقدم للطلبة فرصًا لتحسين تعلمهم خارج نطاق البيئة الصفية التقليدية. وهذا يتفق مع التعليم الجامعي المفتوح في التغلب على مشكلة الزمان والمكان في تعلم الطلبة.

وفيما يلي عرض لأهم النتاجات التي يحققها التعلم الالكتروني تجاه فلسفة التعليم الجامعي المفتوح، وأعضاء الهيئة التدريسية، والطلبة:

1. **النتاجات التي يحققها التعلم الإلكتروني لدى طلبة التعليم الجامعي المفتوح:**

يُسهم التعلم المدمج في إكساب طلبة التعليم الجامعي المفتوح مهارات جديدة تتعلق بمصادر المعرفة الجديدة، والقواعد والبيانات الرقمية، والمصادر المفتوحة وكيفية توظيفها في عمليتي التعلم، إضافة إلى التواصل بين الطلبة أنفسهم، والطلبة والمدرسين، وتزويدهم بأشكال متنوعة من المحتوى (صور، وفيديو، ونصوص، وأشكال وجداول.. إلخ) تساعدهم في التعلم.

ويتضح من خلال مراجعة الدراسات السابقة ذات العلاقة في هذا المجال، فاعلية التعلم الإلكتروني في تنمية مهارات التفكير لدى الطلبة، وتنمية الاتجاهات الإيجابية نحو القيم الاجتماعية والتربوية، والمهارات، والتحصيل، كما يعد التعلم الإلكتروني مسألة تربوية مهمة في حياتنا المعاصرة، لأنه يعلم الطلبة العلم والقدرة على البحث والتقصي وإيجاد المعلومات الحديثة.

ومن خلال تجربة الباحث في مجال التعلم الإلكتروني والتصميم التعليمي للمقررات الإلكترونية من ناحية، ونتائج اللقاءات مع مجموعة من الطلبة، يتبين أن إسهامات التعلم الإلكتروني في جامعة القدس المفتوحة بشكل عام وتصميم المقررات بنمط الأنشطة الإلكترونية بشكل خاص، تمثلت في نتاجات عدة لدى الطلبة، من أهمها ما يلي:

- اكتساب الخبرات التعليمية المتعلقة بالمقرر الدراسي.
- تحسين تعلم وأداء الطلبة.
- تنمية المهارات التقنية في الحاسوب والإنترنت.
- تنمية المهارات الكتابية لديهم.
- تعزيز مهارات التواصل النشط.
- تنمية المهارات العقلية العليا كالتحليل والتركيب وإصدار الأحكام "التقويم".
- تنمية مهارات التفكير الناقد لديهم.
- تنمية المهارات الإبداعية لديهم.
- ربط المفاهيم النظرية بالتطبيقات العملية.
- الانفتاح العقلي لدى الطلبة، من خلال الاطلاع على أنماط وتجارب مختلفة وغيرها.

2. **النتاجات التي يحققها التعلم الإلكتروني لدى أعضاء الهيئة التدريسية في التعليم الجامعي المفتوح:**

يسهم توظيف التعلّم الإلكتروني في تحقيق معايير النوعية والجودة في عمليتي التعلم والتعليم، واستيعاب التطورات المتزايدة في المعرفة، ويتيح الفرصة للطلبة للتواصل مع أعضاء الهيئة التدريسية، والتفاعل الفوري فيما بينهم من جهة، وبينهم وبين المعلم من جهة أخرى، من خلال الوسائل الإلكترونية مثل: حلقات النقاش وغرف الحوار وغيرها.

ويعمل التعلم الإلكتروني على نشر ثقافة التعلم والتدرب الذاتيين في المجتمع، ويُعد الأفراد للمستقبل.

كما يسهم التعلم الإلكتروني لدى أعضاء الهيئة التدريسية في التعليم الجامعي المفتوح في تعزيز العمل الجماعي والتشاركي، واستخدامهم الأساليب التدريسية المغايرة للتعليم التقليدي، وذلك من خلال توظيف التكنولوجيا الحديثة في التعليم، وإكسابهم مهارات التصميم التعليمي، وتنمية مهاراتهم في تصميم المحتوى التفاعلي، ومهارات التقويم وأدواته المتنوعة والفاعلة.

وفيما يلي أهم النتاجات التي تحققت لدى أعضاء الهيئة التدريسية الذين شاركوا في المقررات الإلكترونية بنمط الأنشطة الالكترونية من ناحية، وأعضاء الهيئة التدريسية الذين درسوا هذه المقررات من ناحية أخرى، وهي كالآتي:

- زيادة الحصيلة المعرفية في المواضيع التي يعالجها المقرر الدراسي، حيث يتجه مطور المقرر إلى البحث عن المصادر التعليمية التي تساعد في فهم الخبرات التي يتناولها المحتوى الدراسي للمقرر، إضافة إلى الأنشطة التي تتطلب الإجابة عنها البحث والدراسة للوصول إلى الإجابة، فهذا من شأنه أن يثري الحصيلة المعرفية لدى المطور وأعضاء الهيئة التدريسية الذين يدرسون المقرر.
- تنظيم المحتوى التعليمي وعرضه، حيث إنّ تصميم المقررات الدراسية وتدريسها، أسهم في إكسابهم الطرائق المناسبة لتنظيم المحتوى التعليمي وعرضه بأساليب حديثة، كما أفادهم ذلك في ترتيب أفكارهم وأنشطتهم، وهذا انعكس على أداء المدرس في تنفيذ اللقاءات الوجاهية والإلكترونية.
- تنمية الوعي بأهمية العمل الجماعي التشاركي، وذلك من خلال تصميم المقررات الدراسية، وتصميمها وتدريسها،

حيث يتطلب تدريسها التنسيق والترتيب بين جميع أعضاء هيئة التدريس للاتفاق على مهام كل مدرس وتحديد الجدول الزمني للّقاءات وغيرها، وهذا -بلا شك- يسهم في اكتسابهم لمهارات العمل الجماعي التشاركي وقيمته.

- اكتسابهم للأساليب التعليمية الحديثة كأسلوب حل المشكلات، والعصف الذهني وغيرها، ويكون ذلك من الأساليب التعليمية التي تتطلبها الأنشطة الإلكترونية.
- إلمامهم بأدوات التقويم النشطة، حيث يتم تقويم النشاط الإلكتروني من خلال معايير تقويمية محددة (Rubrics) ومرتبطة بالأهداف، والمهارات الفنية والشروط الخاصة بالنشاط، وهذا أكسب عضو هيئة التدريس القدرة على تصميم المعايير الخاصة بتقويم الأنشطة، إضافة إلى تقويمه لأداء الطلبة بشكل دقيق.
- اكتسابهم مهارات التصميم التعليمي، حيث يخضع المطور لورشات تدريبية خاصة بالتصميم التعليمي لإكسابه المهارات اللازمة في هذا المجال، ثم بعد ذلك يبدأ مع المصمم التعليمي بتطوير المقرر وتصميمه بنمط الأنشطة الإلكترونية.
- اكتسابهم المهارات التواصلية الفاعلة في التواصل مع الطلبة.
- تبادل الخبرات، من خلال اللقاءات مع أعضاء هيئة التدريس، والتجارب التي تعرض إليهم في ورشات العمل.
- اكتساب المهارات التقنية في مجالي الحاسوب والإنترنت.

وفي ضوء ما سبق، نتوصل إلى أن التعلم الإلكتروني أداة فاعلة في التعليم الجامعي المفتوح، ويظهر أثرها في إحداث التواصل الفاعل مع الطلبة، وبناء المعرفة لديهم، وتوفير المرونة في التعلم، ومساعدة أعضاء الهيئة التدريسية والطلبة على معايشة ثقافة المجتمع التكنولوجية والمعلوماتية.

---

* من بحث د. مجدي زامل الموسوم بـ «إسهامات التعلم الإلكتروني في التعليم الجامعي المفتوح.. جامعة القدس المفتوحة نموذجًا»، الذي قدم في المؤتمر التربوي الدولي الرابع «الاتجاهات المعاصرة في التربية وتطبيقاتها»، وعقد في جامعة الطفيلة التقنية بعمان، 17-2012/4/18م.

البحث العلمي في الجامعات المحلية غير مرتبط بالقطاعات الإنتاجية ذات الحاجة

الإنفاق على البحث العلمي في فلسطين لا يتجاوز ٠,٢٪ من الدخل القومي

رام الله- "ينابيع"- وفاء حج علي- "الميزانيات المرصودة في فلسطين، لا سيما من طرف الجامعات الفلسطينية، شأنها شأن المؤسسات الجامعية في الوطن العربي، لا تكاد تقارن بما يخصص للبحث العلمي في الدول الأجنبية وكثير من الدول النامية"؛ يبّين عميد البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة القدس المفتوحة أ. د. حسن السلوادي.

البحث العلمي الفلسطيني بالأرقام

يتابع أ. د. السلوادي أنه "بمطالعة الأرقام التي قدمها عمداء البحث العلمي في الجامعات الفلسطينية في اجتماعهم ما قبل الأخير الذي عقد برئاسة وزير التعليم العالي، يتضح أن الأرقام جدُّ متواضعة، فمن الجامعات ما لا تتعدى ميزانياتها المخصصة للأبحاث 20.000 دينار أردني. وهناك جامعات تزيد عن ذلك قليلاً، وأكبر الجامعات ميزانية للبحث العلمي هي جامعة القدس المفتوحة التي خصصت لها قرابة 300.000 دينار أردني".

ضعف على المستوى الفلسطيني

إن هذا الضعف الماثل في نسبة الإنفاق على البحث العلمي في الجامعات يشكل صدى للضعف على المستوى الفلسطيني برمته. فإذا قارنا بين نسبة ما ينفق على البحث العلمي من الدخل القومي في بعض الدول الأوروبية والأميركية وفلسطين، سنجد أن النسبة تتراوح بين 2,5% إلى 4% في هذه الدول، بينما لا تتجاوز في فلسطين نسبة 0,02% وهي نسبة ضئيلة جدًا. وبطبيعة الحال، فإن هذا الوضع ينعكس سلبًا على نشر الأبحاث العلمية، فمعدل الأبحاث المنشورة في فلسطين لا يتجاوز 1000 بحث.

ويقول أ. د. السلوادي: "من المؤكد أن ضعف مخرجات البحث العلمي ينعكس سلبًا على الأبعاد الاقتصادية والزراعية والتنموية، ففي المجال الاقتصادي، يلاحظ أن هناك هوة كبيرة تفصل بين القطاع الخاص الاقتصادي والجانب البحثي، وهذه الهوة مردها تجاهل القائمين على القطاع الخاص لقيمة البحث العلمي في تطوير أدائهم ومنتجاتهم، فليس لدى غالبيتهم ما تسمى ثقافة الانتفاع بالبحث العلمي، بل ندر أن نجد وحدة بحثية في شركة أو مصنع في فلسطين، وهذه الظاهرة تنسحب على الوضع العربي برمته وليس على فلسطين فحسب".

ويوضح أ. د. السلوادي أنه "إذا حاولنا تقويم ما قدَّمه البحث العلمي للمجتمع الفلسطيني وما حققه لقطاعات التنمية فيه؛ فإننا نقول من باب الإنصاف إن هناك أبحاثًا عديدة نشرت في الجامعات والمؤسسات التعليمية ومراكز البحث العلمي في العديد من المجالات المعرفية، وأكاد أجزم أن بعض هذه الأبحاث يقدم رؤى تحليلية تتسم بالعمق والتميز. ولكن المشكلة تكمن في ضعف استثمار هذه النوعية من البحوث وتوظيفها في خدمة المجتمع".

وعلى صعيد مشابه، يبيّن أ. د. السلوادي أن "ثمة نقطة أخرى تجدر الإشارة إليها هي الضعف الماثل في مأسسة البحث العلمي، فما زلنا حتى اليوم نفتقر إلى مجلس فاعل للبحث العلمي يوجه مسارات البحث العلمي، ويؤطره ويحدد أولوياته ويعمل على توفير الدعم المالي والمعنوي للمشاريع البحثية التي ترتبط بالتنمية في فلسطين، ونأمل أن يُشكل هذا المجلس قريبًا".

مساهمة البحث العلمي من أصل الناتج المحلي

يلاحظ مدير مركز أبحاث المعلوماتية في الجامعة العربية الأمريكية د. خالد رابيعة أن "الإحصاءات التي أصدرها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني تشير إلى أن عدد المؤسسات العاملة في البحث العلمي بلغت حوالي 42 مؤسسة؛ وهذا الرقم يشمل الجامعات على أساس أنها من المؤسسات التي تمارس البحث العلمي. لكن ليست هناك إحصاءات حول دور البحث العلمي في الناتج المحلي، وبخاصة ذلك الذي يتم إجراؤه في الجامعات المحلية، لكن هنالك تقدير للقيمة المضافة التي ينتجها البحث العلمي سواء الذي يتم في مؤسسات القطاع الخاص أو الجامعات، حيث تشير هذه إلى أن القيمة المضافة للبحث والتطوير لعام 2010 بلغت حوالي 12 مليون دولار، بزيادة مقدارها حوالي 3 ملايين دولار عن عام 2009".

من جانبه، يرى مدير عام مؤسسة النيزك للإبداع العلمي م. عارف الحسيني أن "الجامعات المحلية لا ترتبط بشكل مباشر وممنهج مع القطاعات الإنتاجية كالزراعة والصناعة، وغيرها من المجالات التي تحتاج إلى بحث علمي حقيقي يساهم في حل

مشـكلات هذه القطاعات، بما يعـود بالنفع على الناتـج المحلي".

مضيفًا: "يوجـد العديد من المبـادرات الفردية والعشـوائية غير الممنهجة، لكنها ليسـت سياسـة واضحة ينتهجها الباحثون في الجامعات ويسـتقبلها سـوق الأعمال". وذلك يعود إلى أن سـوق الأعمال تعتمد في فلسـطين على التجارة أكثر من الإنتاج، وبالتالي فإن حاجة سـوق الأعمال إلى أبحاث علمية لتطوير أدائها محدودة؛ وبخاصة حين تكون الأعمال الصناعية الكبيرة تندرج تحت تصنيف "شـركات ومصانع عائلية تاريخية ومتوارثة" أو "شـركات محتكرة"، أي تحتكر قطاع عمل معينًا، وليس لديها منافسون في السوق، في هذه الحالات، وهي شـائعة في السوق الفلسطينية، تصبح الحاجة للربط مع أبحاث علمية تطويرية في الجامعات وتمويلها والاستفادة منها لتنمية الناتج المحلي محدودة جدًا".

استهلاك البحث العلمي من موازنة الجامعات

وعند سؤالنا عن اسـتهلاك البحث العلمي من موازنة الجامعات، يوضـح د. رابعة أن "حجم الإنفاق على البحـث والتطوير في الأراضي الفلسطينية بلغ عام 2010 حوالي 35 مليون حسب ما أشار إليه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسـطيني؛ وبيّن تقرير الجهاز المركزي أن نصيب الجامعات الفلسـطينية مجتمعة من هذا الرقم هو 63%، أي ما مقداره 12 مليـون دولار؛ في حين بلغ مجموع إنفاق القطاع الحكومي ما مقداره 42%، أما باقي المبلغ، فقد أنفق من قبل المنظمات غير الحكومية؛ وإذا أخذنا إحصائيات وزارة التعليم العالي لأعداد العاملين في مؤسسـات التعليم العالي وهو حوالي 7400 عضو، فإن نصيب الفرد يكون حوالي 1700 دولار.

ويضيف م. الحسـيني أنه خلال اطلاعه فـإن "أغلب هذه الأوراق نشـرت بمجهودات فردية بذلت من أصحابها وبشـراكات مع جامعات دولية؛ إلا أن الجامعات الفلسـطينية تشجع البحث العلمي ولكن ليس بمقدورها أن تمول البحث في ظل الأوضاع المالية الصعبة، وفي الوقت نفسـه، فإن قطاع الأعمال المستفيد من ناتج البحث لا يدرج الموضوع على سلم أولوياته".

تأثيرات اقتصادية

يصعـب تأطيـر التأثيـرات الاقتصادية التـي يحدثها البحث العلمي، كون قضية حساب تأثير البحث العلمي على الاقتصاد ليست بالعملية السـهلة؛ يقول د. رابعة إن "أقرب قيمـة للأثر الاقتصادي هو القيمة المضافة التي نشرها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني وهي حوالي 12 مليون دولار لعام 2010. وهي تعبر عن الإضافات التي أحدثها البحث العلمي على مجمل النشاطات الاقتصادية".

من جانبه، يلفت م. الحسـيني إلى أن "للبحث العلمي تأثيرات اقتصادية مهمة وبخاصة في قطاع الإنتاج، فمن المفترض أن يحل مشاكل معينة وأن يضع آليات إنتاجية جديدة، وأيضا توفير المعرفة التي تعد اليوم في ظل التقدم التكنولوجي رأس مال حقيقيًا، وكل ذلك يصـب في دعم قطاع الإنتاج ما يرفع كفاءته وجودة مخرجاته، وبذلك يفتح أسـواقًا جديدة، الأمر الذي يجعل العنصر الاقتصادي الذي يؤثر على قطاع الأعمال المستفيد الأول من المعرفة؛ لكن على الجامعات أن توظف عددًا أكبر من الباحثين وتوسـيع دائرة العمل، وبالتالي الحد من البطالة بيـن الأكاديميين، وأيضًا مواجهة ظاهرة هجرة العقول".

أهم ما حققه البحث العلمي فلسطينيًا

يقول م. الحسـيني إن "هناك بعـض الأبحاث العلمية الجيدة التـي وجدت طريقها مع جهـات تمويلية وتنمويـة خارجية، وقد حققـت نجاحًا في هذا المجال، وبخاصة فـي قطاع الطاقة الجديدة والمتجـددة؛ وأنا على اطلاع على بعض المبادرات في منطقة الأغوار والمحافظات الشرقية، حيث أقيمت من خلال البحث العلمي محطات توليـد كهرباء تعمـل على الطاقة الشمسـية، وأيضًا بعض أبحاث مشاريع التخرج حظيت بالفرصة لتتحول إلى شركات ناشئة ما زالت تبحث عن فرصتها في السوق".

التعليم الموازي...

فقراء محرومون من التعليم
وأغنياء يشترون مستقبلهم الجامعي بالمال

رام الله – ينابيع- مركبات فارهة تتوقف على مداخل عدد من الجامعات الوطنية، للوهلة الأولى، يخيل للزائر أنها للمدرسين في الجامعة، لكنه سرعان ما يكتشف أنها للطلبة الأغنياء، ولعل جل أولئك الطلبة تمكنوا من الالتحاق بالجامعة عبر نظام التعليم الموازي، الذي تقوم فكرته بالأساس على توفير مقاعد دراسية في الجامعة لمن يملك المال، حيث تخصص الجامعة ما نسبته 5% من مقاعد كل تخصص أكاديمي في الجامعة لأبناء تلك الطبقة، بغض النظر عن معدلاتهم التي حصلوا عليها في امتحانات التوجيهي.

الطالــب محمد خالد مصطفى من قــرى القدس، من الطلبة الذين تقدموا بطلب الالتحــاق بعدد من الجامعات الوطنيــة العام الماضي. ورغم حصوله على في امتحان الشهادة الثانوية على 78%، إلا أنه حُرم من الالتحاق بالجامعة بســبب قراراتهــا باعتماد معدل تراكمي لا يقل عن 80% في ذلك العام، وعندما لجأ إلى خيار التعليم الموازي، وجد أنه ســيكون مجبرًا على دفع رســوم جامعية تصل إلى ضعف المبلغ الذي يدفعه الطالب العادي، ما دفعــه للعدول عن فكرة الالتحاق بالجامعة، نظرًا لعدم قدرة عائلته على توفير أقساط التعليم الموازي.

النتشة: نحن نحمي الطلاب الأغنياء من الهجرة

تعليقًا على الموضوع، يقول د. ماهر النتشة نائب رئيس جامعة النجاح للشؤون الأكاديمية: "نحن جامعات عامة ومعظم الجامعات غير ربحية وهدفها خدمة المجتمع، وبســبب الظروف الاقتصادية الصعبة لشعبنا، تم تحديد رسوم الساعات المعتمدة لتغطي 50% من التكلفة الحقيقيــة للطالب، لكن لم يعد أمام الجامعات فرصة لزيادة الرســوم بسبب الظروف الصعبة، فاستخدمت الدراسة الموازية".

ويضيف النتشــة: "نسبة الدراســة الموازية في النجاح لا تشكل أكثــر مــن 5% من مجمــوع الطــلاب الدارســين في الجامعــة، وفي تخصصــات محددة وليس كل التخصصات، وحتــى الموازي لا يغطي التكلفة الحقيقية للتعليم، ولجأت الجامعات لهذا النظام بســبب عجز السلطة الوطنية المالي بســبب عدم التزام السلطة بدفع المخصصات للجامعــات، وهذا العجز دفعها لتلجأ إلى الدراســة الموازية، خصوصًا أن هذه الفئة لو لم يتم قبولها في الجامعات، فســيذهبون إلى الخارج ويدرسون ومن الناس المقتدرين".

ويضيف النتشــة أن "أدنى مســار للقبول في الدراسة الموازية للهندســة مثلاً في العام المنصرم في النجاح كان 89%، وهذا معدل مقارب للمعدل الطبيعي للقبــول العادي، ولا يوجد أكاديميًا بعد كبير بينهم وبين الدراســة العامة، ونحن في جامعــة النجاح نتيح للطالب التحول لدراسة عادية في حال رفع معدله، ويستطيع التحويل للمسار العادي في حال نجح في التقني".

ويشــير إلى أن سياســة جامعة النجاح الوطنية هي استقطاب أفضل طلاب في المجتمع الفلســطيني، و "تبيــن لنا أن أعلى معدلات في فلسطين يلتحقون بجامعة النجاح، ونحن نعطيهم الفرصة الكبيرة ونعطي نسبة محدودة للطلاب الذين لم يحالفهم الحظ في المعدلات العالية، وفي كليــات معينة مثل الصيدلة والطب والهندســة وبقية الكليات نادرًا ما يجري تسجيل دراسة موازية فيها".

ويوضح النتشــة أنه في حال تحســن الظــروف المالية، وأصبح بإمكان الجامعة توفير احتياجاتها بشــكل مريــح، يمكن إعادة النظر في التعليم الموازي، وأنه في الســابق كان يصل عدد الطلبة بالتعليم المــوازي إلى 15%، أما اليوم، فلا تتجاوز نســبتهم 5%، والإقبال على التعليم الموازي محدود بسبب ظروف شعبنا.

سويلم: التعليم الموازي لجمع المال فقط

فــي المقابل، يرى د. عبد المجيد ســويلم المحاضــر في جامعة القــدس، "أن التعليــم الموازي يهدف لجمع المال فقــط، وأن أي مبرر يقدم لتسويق هذا النوع من التعليم مرفوض، لأنه يمنح فرصة لطلاب قادرين على دفع المال للتعلم ويحرم الطلاب الفقراء منها".

ويضيف ســويلم أن "نظــام التعليم الموازي هــو نظام الهدف الرئيس منه بالنســبة للجامعات لم يكن تســهيل القبول على الطلبة، بل الحصول على الأموال، وليس صحيحًا ما يشــاع أو يقال إنه يضاعف عدد الطلاب الداخليــن للجامعات، لأن الطلاب الذين يدخلون بالتعليم الموازي للجامعة لا يمكن دخولهم لولا المبالغ المالية التي يدفعونها، وبالتالي الهدف من التعليم الموازي مادي، وأنا أرى أن التعليم الموازي بات يشكل أهم سلبيات التعليم العالي".

ويضيف سويلم: "الكل يعلم أن الأغلبية الساحقة من أبناء شعبنا إما أنهم من الفقراء أو أشــباه الفقراء، وهذا يعطي فرصة للميســورين بشكل أعلى للتعلم، وهذه ليست عدالة اجتماعية وليست ميزة للتعليم العالي، وهناك جامعات ليس لديها تعليم موازٍ وليســت فقيرة، مثل جامعة القدس".

ويرى سويلم أن "التعليم الموازي سيؤثر سلبًا على الجامعات ولن يحل مشــكلتها المالية، لأنه بطريقة التعليم الموازي يجري التوســع بالتعليم الجامعي بطريقة يكون هدفها الرئيسي الربح وتحقيق عائد مادي عالٍ، وهذه المسألة بالضرورة ستكون على حساب نوعية التعليم، لأن الجامعة ليســت مؤهلة لاستقبال هؤلاء الطلاب وإعطائهم تعليمًا على مستوى عالٍ، لأن المؤسســة غير قادرة فعليًا على توفير التعليم للطلبة العاديين، فكيف يمكن استيعاب طلبة التعليم الموازي!".

وتساءل سويلم: "أين هي المؤسساتية الكافية في هذه الحالة؟! وأين الأجور للهيئات التدريسية والإدارية؟! وأين هي الإمكانيات التي تتاح للهيئات التدريســية للتفرغ العلمي والهيئات التعليمية حتى يشــاركوا بصورة فعالة في نوعية التعليــم المطلوب؟! وبالتالي لا أرى أن التعليم الموازي حل لمشــكلة التعليم ولحل مشكلة التعليم، فلولا الحاجة المادية لدى الجامعات، لما لجأت لهذا الأسلوب.

د. م. إسلام عمرو: التعليم الموازي يفرغ المفاهيم التربوية من سياقها

في ســياق متصــل، يرى مســاعد نائب رئيــس جامعة القدس المفتوحة للشؤون الأكاديمية د. م. إسلام عمرو، أن "مبدأ التعليم الموازي هــو مبدأ يخلو من أي مفهوم تربوي، لأنه مبــدأ يوفر التعليم للأغنياء، لتقوم مجموعة من الجامعات بجمع المال وزيادة دخل المؤسســة، لكن مؤسســات التعليم العالي الفلسطيني بأكثرها ليست شركات ربحية، ولم تؤسســها دول، بل هي مؤسسات نشــأت تحت الاحتلال، وتبنت منظمة التحرير دعمها، ولولا سياســة منظمــة التحرير، لما نجحت أي

جامعة فلسطينية، لذلك فهي جامعات مطالبة بتوفير التعليم لجميع الفلسطينيين وليس تقسيم المجتمع بين غني وفقير".

ويضيف عمرو: "عندما يتم النظر إلى المجتمع من وجهة نظر غني وفقير، فعلينا أن نتوقع كل شيء، وعندما تتحول مؤسسة خدماتية إلى استثمارية، سيزداد نهمها للحصول على مال أكثر، وهذا سوف يحطم العدالة الاجتماعية بالمطلق، وسوف يدمر نظام التعليم في فلسطين، فالغني يمتلك الفرصة، والفقير لا يمتلك الفرصة، واستخدام التعليم الموازي هو استخدام قاتل في فلسطين، والجامعات التي تستخدم التعليم الموازي في فلسطين لم تحل أزماتها المالية بعد".

ويقول: "أعتقد أنه يجب مراجعة معايير التعليم العالي، ويجب أن تكون مرجعية التعليم العالي معروفة، وعلى الوزارة أن تقوم بدورها تجاه المؤسسات التعليمية في فلسطين، ويجب العمل على إنهاء تفرد قلة بحقوق كثرة، وإلا فلن يصطلح حال التعليم".

د. محمد شاهين: القدس المفتوحة لن تمارس "نظام بيع العلامات"

من جانبه، يرى د. محمد شاهين عميد شؤون الطلبة بجامعة القدس المفتوحة، أن "التعليم الموازي هو فكرة تندرج تحت إطار الخصخصة والاستثمار في التعليم، وهذا ينافي الواقع الفلسطيني والواقع العالمي بشكل عام، كما أن التعليم الموازي يتعارض مع الحق بالتعليم كحق من حقوق الإنسان، ويتعارض مع مواثيق دولية تنص على توفير فرصة متساوية ومتكافئة لكل الأفراد بالحصول على التعليم".

ويضيف شاهين أن الواقع الفلسطيني ومتطلبات التكافل الاجتماعي تتطلب عدم التمييز بين الطلاب، فهو نظام لبيع العلامات، فأنت تعطي فرصة لطالب أهله يمتلكون المال وتحرم طالبًا مجتهدًا فقيرًا من الدراسة، لماذا لا يكون التنافس حسب المعدل؟ وإذا كانت هناك مقاعد إضافية، فلتخفض معدل القبول، والجامعات التي تمارس هذا النوع من التعليم هي جامعات عامة، ورغم تقديرنا لجهود هذه الجامعات وتقصير السلطة الوطنية تجاهها، فهذا لا يبرر للجامعات هذا العمل لأنه يضر بمستواها الأكاديمي".

ويشير شاهين إلى أن جامعة القدس المفتوحة لم ولن تمارس نظام التعليم الموازي، وأزمتها المالية الحالية لن تنعكس على الطلبة، وستبقى جامعة الوطن وجامعة كافة أبناء الشعب الفلسطيني، ولن تمارس هذا النوع من التعليم.

كاريكاتير

الاقتصاد الخفيّ: الأسباب والآثار

د. عمر محمود أبو عيدة

أستاذ الاقتصاد - جامعة القدس المفتوحة- فرع طولكرم

يعد الاقتصاد الخفي من الظواهر القديمة، فجرائم السرقة والنصب والاحتيال والابتزاز وغيرها من الجرائم ذات الدوافع الاقتصادية قديمة قدم الإنسان نفسه على هذه الأرض. كذلك يمكن افتراض أن جرائم التهرب الضريبي والتحايل على القوانين والإجراءات الحكومية قد بدأت فعليًا مع إدخال نظم الضرائب والإجراءات المنظمة لممارسة الأنشطة الاقتصادية المختلفة في المجتمعات المختلفة. ومع ذلك، فإن الاهتمام بهذه الظاهرة لم يبدأ إلا منذ أعوام قليلة مضت.

ويتفق كثير من الباحثين في مجال الاقتصاد الخفيّ على أن مصطلح الاقتصاد الخفيّ يضم مجموعة مختلفة من الأنشطة التي تشترك في محاولة التهرب الضريبي أو الحاجة إلى تجنب القيود الروتينية الموضوعة على عملية ممارسة النشاط الاقتصادي. غير أن هناك جانبًا لا يمكن إهماله من الأنشطة التي تتم في هذا الاقتصاد بسبب الطبيعة الخاصة لهذه الأنشطة التي تعد مخالفة للقانون.

على سبيل المثال، فإن أنشطة الرشوة والعمولات والسرقة وبيع السلع المسروقة وتجارة المخدرات وأنشطة التهريب السلعي Smuggling وتهريب الأموال وأنشطة القمار والدعارة وأنشطة المافيا أو فرض الإتاوات.. إلى آخر هذه القائمة الطويلة من الأنشطة التي تعد مخالفة للقانون، قد تمثل جانبًا لا يمكن إهماله.

وعليه، فإن الاقتصاد الخفيّ يمثل "كافة الأنشطة المولدة للدخل الذي لا يسجل ضمن حسابات الناتج القومي إما لتعمد إخفائه تهربًا من الالتزامات القانونية المرتبطة بالكشف عن هذه الأنشطة، وإما بسبب أن هذه الأنشطة المولدة للدخل بحكم طبيعتها تعد من الأنشطة المخالفة للنظام القانوني السائد في البلاد". ووفقًا لهذا التعريف، فإن أنشطة الاقتصاد الخفيّ تشمل الدخول المولدة بطرق شرعية ولكن لا يعلن عنها للإدارات الضريبية، وكذلك الأنشطة الإجرامية التقليدية مثل الاتجار بالمخدرات والقمار والتهريب وغيرها.

أسباب نمو الاقتصاد الخفيّ

يعود نمو الاقتصاد الخفيّ وظهوره إلى عدد من الأسباب من أهم هذه الأسباب ما يأتي:

1. **ارتفاع مستوى الضرائب:** يتزايد الحافز نحو التحول إلى العمل في الاقتصاد الخفيّ إذا كانت الأنشطة في الاقتصاد الرسمي تتعرض للمزيد من الضرائب من وقت لآخر. ويعتمد قرار المشاركة في الاقتصاد الخفيّ للتهرب من الضرائب على أساس المقارنة بين العقوبات التي قد يتعرض لها الفرد في حالة اكتشاف التهرب، وكافة المخاطر الأخرى، وبين الدخول الإضافية التي ستعود عليه من التهرب من دفع الضرائب، آخذًا في الاعتبار مدى استعداده لتحمل المخاطرة. وبناء على هذه المقارنة، يتخذ الفرد قراره بالتهرب أو عدم التهرب.
2. **النظم والقيود الحكومية:** يرى البعض أنه إذا لم تكن هناك ضرائب، فإن الاقتصاد الخفيّ سوف يستمر أيضًا في الظهور بسبب القيود الحكومية الأخرى المفروضة على النشاط الاقتصادي للأفراد. وتفرض هذه النظم أو القيود إما بهدف تنظيم ممارسة أعمال معينة، أو رفع مستوى الرفاهية الاقتصادية للأفراد وضمان مستويات مناسبة من المعيشة أو الرفاهية أو الأمان. أو قد تفرض بسبب أن الأنشطة ذاتها أنشطة إجرامية أو غير قانونية من المنظور الاقتصادي أو الاجتماعي. وإذا كانت هذه القيود مصحوبة بغرامات مرتفعة ونظام فعال للرقابة، فقد تحول دون وجود مثل هذه الأنشطة، إلا أنها للأسف في أغلب الأحوال ستحول هذه الأنشطة إلى الاقتصاد الخفيّ.
3. **دور المشروعات الصغيرة:** يعتبر الاقتصاد الخفيّ مهم جدا بالنسبة للمشروعات الصغيرة، كما أن المشروعات الصغيرة مهمة جدًا لوجود الاقتصاد الخفيّ. فالمشروعات الصغيرة تميل إلى إجراء معاملاتها باستخدام النقود السائلة، ومن المعلوم أن مجالات الأعمال التي تقوم على استخدام النقود السائلة في إجراء المعاملات تسهل من الأنشطة الخفية. ولهذا السبب، نجد أن أي محاولة لتطبيق النظم الضريبية بالقوة يترتب عليها إفلاس عدد كبير من المشروعات الصغيرة، لأن هذه المشروعات تعمل أصلاً في ظل افتراض عدم وجود ضرائب.
4. **ندرة السلع:** تختلف طبيعة العوامل المسؤولة عن نمو الاقتصاد الخفيّ من الدول النامية إلى الدول المتقدمة. فمما لا شك فيه أن جانبًا كبيرًا من أسباب نمو الاقتصاد الخفيّ يعود إلى حالة الدول المتقدمة، التي تلعب فيها الضرائب دورًا أساسيًا. أما فيما يتعلق بالدول النامية، فإن الأمر يختلف بعض الشيء. إذ إننا نواجه في هذه الحالة اقتصادًا على جانب كبير من السيطرة والتحكم فيه من جانب الحكومة، ويعاني من عجز في عرض بعض السلع. كما أن جانبًا كبيرًا من هيكل الضريبة ينصب على الضرائب غير المباشرة وليس الضرائب على الدخل، التي يفترض أنها العامل الأساسي في نمو الاقتصاد الخفيّ في الدول المتقدمة. ولذلك نجد أن السبب الرئيسي في نمو الاقتصاد الخفيّ في هذه الدول هو نقص عرض السلع الاستهلاكية والرأسمالية، وسهولة التلاعب في السلع التي توفرها الحكومة، والتي يفترض أن يتم توزيعها من خلال المنافذ المختلفة التي تتولى الحكومة الإشراف عليها.
5. **دور المعلومات:** تلعب المعلومات دورًا حيويًا في أداء الاقتصاد الخفيّ. فكل من المشترين والبائعين في سوق السلع والعمل يحتاجون إلى معلومات عن الأطراف موضع المعاملات التي تتم على أرض الواقع. كذلك قد تكون هناك حاجة إلى المعلومات عن الأسعار والجودة والبدائل المتاحة. ودون توافر هذه المعلومات، فإن السوق لا يمكنها العمل. وعلى ذلك، ولكي ينمو الاقتصاد الخفيّ، فلا بد من توافر المعلومات بسهولة وبتكلفة قليلة.

الآثار السلبية للاقتصاد الخفيّ

يمكن إجمال أهم الآثار السلبية للاقتصاد الخفي في البنود الآتية:

1. **فقدان حصيلة الضرائب:** إن أول وأهم الآثار السلبية المترتبة على وجود الاقتصاد الخفيّ هي أن جانبًا من الدخل الذي يتم توليده داخل الاقتصاد لا يدفع عنه ضرائب. ويحدث ذلك عندما لا يقوم الأفراد بالكشف عن دخولهم أو طبيعة وظائفهم التي يقومون بها أو كليهما للسلطات الضريبية. كذلك، فإن هناك بعض أشكال الضرائب مثل ضريبة القيمة المضافة وضريبة المبيعات لا يتم تحصيلها نتيجة التهرب الضريبي. وعندما يصبح حجم الاقتصاد الخفيّ جوهريًا، فإنه يؤدي إلى فقد جوهري في الإيرادات العامة. ويترتب على الفقد في الإيرادات الناتج عن التهرب الضريبي زيادة مستويات الضرائب على الأنشطة التي تتم في الاقتصاد الرسمي، بمعنى أن معدلات الضرائب التي يتم جمعها على الدخول المسجلة تصبح أكبر من اللازم. كذلك فإن الإيرادات الحكومية ستكون أقل من القدر الذي يجب أن تكون عليه، ومن ثم يصبح عجز الموازنة العامة للدولة أكبر مما يجب. وبهذا الشكل يصبح النظام الضريبي القائم على الضرائب على الدخل في ظل وجود حجم كبير للاقتصاد الخفيّ غير عادل، الأمر الذي يولد ضغوطًا أكبر نحو تبني نظم للضرائب غير المباشرة. كذلك فإن هناك مخاطرة من أن انتشار عملية التهرب الضريبي سوف تدفع الآخرين إلى التهرب الضريبي.
2. **الأثر على سياسات الاستقرار الاقتصادي:** إن النمو السريع

للاقتصاد الخفيّ قد يؤدي إلى فشل سياسات الاستقرار الاقتصادي، حيث يؤدي هذا الجانب من الاقتصاد إلى تشويه المؤشرات الخاصة بسياسة الاستقرار الاقتصادي. ومن ثم، فإن هناك احتمال أن يقع صانع السياسة في خطر وصف طرق علاج غير صحيحة بسبب تشخيص غير سليم للمشكلة. فنمو الاقتصاد الخفيّ ينتج عنه نوع من المغالاة في المؤشرات الرسمية للتضخم والبطالة ومعدلات نمو الناتج. وبالتالي، فإن سياسة الاستقرار قد تستجيب لمشكلات غير واقعية. وإذا حاولت سياسة الاستقرار الاقتصادي أخذ إجراءات مضادة لمواجهة هذه المشكلات، فإن سياسة الاستقرار الاقتصادي ستنشأ عنها إجراءات تحدث نوعًا من عدم الاستقرار في الاقتصاد الرسمي، لدرجة أن المشكلات غير الحقيقية تصبح مشكلات حقيقية، بمقتضاها يتحول الاقتصاد الخفيّ من خلال التضخم والبطالة إلى اقتصاد ذي حجم أكبر.

ويمكن تحديد الآثار المحتملة للاقتصاد الخفي على أداء السياسات الرامية لتحقيق الاستقرار الاقتصادي كما يلي:

أ- **تشوه المعلومات:** عندما يكون حجم الاقتصاد الخفيّ كبيرًا، فإن درجة اعتمادية البيانات الرسمية ستنخفض وتكون المؤشرات الاقتصادية غير مناسبة لعملية صنع السياسة الاقتصادية. وعندما تكون الإحصائيات الاقتصادية متحيزة، ويكون مستخدمو هذه الإحصائيات على غير علم بهذا التحيز، فإن الاقتصاديين يقومون بإجراء توقعات خاطئة وتقديم تحليل غير صحيح لصانعي السياسة، الذين بدورهم يأخذون سياسات خاطئة للتعامل مع المشاكل المختلفة.

ب- **معدلات البطالة:** يعتبر معدل البطالة من الأمور الحيوية من الناحية السياسية، ومن هنا فقد تبدو أهمية الاقتصاد الخفيّ في قدرته على توفير فرص للعمل لهؤلاء الذين لم يفلحوا في الحصول على فرصة عمل في الاقتصاد الرسمي. وبما أن هذه العمالة عادة ما تكون غير مسجلة، فإن الأرقام الرسمية عن معدلات البطالة في الاقتصاد تصبح مبالغًا فيها.

ج- **معدلات النمو الاقتصادي:** عندما يتواجد الاقتصاد الخفيّ، فإن معدلات النمو الحقيقي في الاقتصاد سوف تختلف عن معدل النمو المسجل. فإذا كان كل من الاقتصاد الرسمي والخفيّ ينموان بصورة متوازية، فإن التحيز في المؤشرات عن النمو الفعلي يصبح صفرًا. أما إذا تعدى معدل نمو الاقتصاد الخفيّ معدل النمو الخاص بالاقتصاد الرسمي، فإن معدل النمو الاقتصادي العام في الاقتصاد ككل يصبح أقل من الواقع والعكس. ومن ثم يظهر تشوه المؤشرات الاقتصادية في صورة تقديرات أقل من الواقع، أو تقديرات مبالغ فيها عن معدل النمو الاقتصادي. وعلى ذلك، فإن قياسات الناتج القومي التي لا تأخذ الاقتصاد الخفيّ في الحسبان، تصبح غير مناسبة.

د- **معدلات التضخم:** يعني وجود الاقتصاد الخفيّ أن معدل التضخم سيكون مبالغًا فيه، حيث ستميل الأسعار في الاقتصاد الخفيّ إلى التزايد بمعدلات أقل عن تلك السائدة في الاقتصاد الرسمي، بصفة خاصة عندما يكون الاقتصاد الخفيّ منافسًا للاقتصاد الرسمي في تقديم نفس السلع والخدمات. فأحد جوانب الاستجابة للزيادة في الأسعار هو زيادة حجم النشاط في الاقتصاد الخفيّ. إذ إنه من المتوقع أن تكون أسعار السلع في الاقتصاد الخفيّ أقل من الأسعار في الاقتصاد الشرعي بأعبائه الضريبية والإجرائية.

هـ- **السياسة النقدية:** إن وجود الاقتصاد الخفيّ سوف يعنى أن الطلب على النقود لأغراض إجراء المعاملات في الاقتصاد الخفيّ لا بد أن يضاف إلى الدوافع الأساسية للاحتفاظ بالنقود. إلا أن مثل هذا الطلب على النقود ليس حساسًا للتغيرات في معدلات الفائدة.

و- **الأثر على توزيع الموارد:** يؤثر وجود الاقتصاد الخفيّ على أداء الاقتصاد بطرق عدة. ومن المحتمل أن تكون له آثار سلبية على الكفاءة الاقتصادية. على سبيل المثال، إذا حدث نمو في الاقتصاد ككل، بما في ذلك الاقتصاد الخفيّ، فإن الحاجة إلى المزيد من الخدمات العامة سوف تكون أكثر إلحاحًا. وبما أن الضرائب تجمع في هذه الحالة من الاقتصاد الرسمي فقط، فإن مستوى الضرائب على الأنشطة التي تتم في الاقتصاد الرسمي سيزداد. وتؤدى هذه الزيادة في الضرائب إلى دفع المزيد من الأنشطة إلى التحول نحو الاقتصاد الخفيّ. حيث تزداد العوائد من التهرب الضريبي. وفي ظل هذا الوضع، تصبح المنافسة غير عادلة بين الاقتصاد الخفيّ والاقتصاد الرسمي بالشكل الذي يمكن الاقتصاد الخفيّ من اجتذاب قدر أكبر من الموارد. وسوف يستمر هذا التدفق من الموارد المحولة من الاقتصاد الرسمي نحو الاقتصاد الخفيّ طالما أن معدلات العائد الصافي (دون الضريبة) أعلى في الاقتصاد الخفيّ عن الاقتصاد الرسمي.

ما توفره مؤسسات التعليم العالي أقل بكثير من حاجة القطاع الزراعي للتطوير

تخصصات الزراعة في الجامعات لن تحوّل فلسطين إلى جنّة!

جنين- "ينابيع"- عامر عابد- إن تحويل فلســطين إلى جنة من أعناب ذات نهر وثمــر محفوفة بنخل وزرع، يتطلب أكثر من عبــادة الله، فمن الواجب أيضًا أن نربــط بين حاجات أراضينا الزراعية والتخصصــات ذات الصلة المطروحة في جامعاتنا.

يوضح مدير مديرية الزراعة في جنين المهندس وجدي بشارات أن "لتخصصات الزراعة في الجامعات الفلسطينية تأثيرًا ملموسًا على واقع القطاع الزراعي الفلسطيني في الجوانب كافة، سواء أكان وقائيًا من خلال متابعة المهندس الزراعي للمزارع بشكل مستمر، أو بالخوض بتجارب ناجحة في إدخال أنواع جديدة من المزروعات لم تكن موجودة من قبل، وكل هذا يعود بالفضل للجامعات التي تخرّج كادرًا متميزًا من المهندسين الزراعيين القادرين على مواكبة التطورات الزراعية بشكل مستمر".

وبيّن بشارات أن هناك نقصًا كبيرًا في التخصصات المتعلقة بالزراعة بشكل عام في الجامعات الفلسطينية، فالمتوفر بها حاليًا هو فقط الإنتاج النباتي والوقاية، والإنتاج الحيواني، وهذا لا يكفي لتطوير الزراعة بالشكل المراد، قائلاً: "نحتاج تخصصات دقيقة في مجالات الزراعة كافة، كأن يكون هناك تخصص إنتاج نباتي (مجال تركيز وقاية أو خضراوات محمية)، فمن شأن هذا أن يطور القطاع الزراعي بشكل عام، إضافة إلى تخصصات الاقتصاد الزراعي والميكنة الزراعية، فرغم حاجتنا لهذه التخصصات ورغم كونها مطلوبة بكثرة، إلا أنه لا توجد أعداد كافية من الخريجين المتخصصين فيها".

ونوّه بشارات إلى أن "وزارة الزراعة تضع القوانين الخاصة بالمنشآت الزراعية وأهمها أن يكون داخل المنشأة سواء كانت نباتية (مشتلاً) أو حيوانية (مزرعة أغنام أو دواجن)، مهندس متخصص يتابع المنشأة لضمان إنتاج متميز".

كما تدرب الوزارة المهندسين الزراعيين ليكونوا قادرين على مواكبة التطورات العالمية المتجددة بشكل مستمر، وتطبيق ما يتناسب منها مع واقعنا الزراعي؛ وتكون هذه التدريبات خارجية أو داخلية بالتعاون المؤسسات المحلية، أو عن طريق تدريب طلبة الجامعات قبل خروجهم لسوق العمل في ورشات التدريب التابعة للوزارة المنتشرة في غالبية محافظات الوطن.

وأشار المحاضر في جامعتي القدس المفتوحة وفلسطين التقنية- خضوري المهندس أحمد الأشقر عمارنة إلى أن "الرافد الأساسي لتطوير قطاع الزراعة في جميع المجالات مرتبط بشكل وثيق بالجامعات، سواء عبر إعداد مهندسين ذوي كفاءة عالية وتخريجهم، أو بالدعم اللوجستي لهؤلاء أثناء عملهم، أو بتدريبهم وتمكين المزارعين الرياديين، إضافة إلى احتضان الجامعات الفلسطينية للمؤتمرات العلمية وورشات العمل المتخصصة والدورات التدريبية والمشاريع البحثية في كل ما يتعلق بجميع مشاريع الزراعة.

يمكن القول إن الجامعات الفلسطينية سعت إلى تخريج أفواج ذات نوعيات جيدة ومواكبة لاحتياجات السوق المحلية، حيث إن تطور الزراعة في فلسطين في العقدين السابقين كان متميزًا ومتماشيًا مع ذلك الذي شهده العالم على مستوى التقنيات والمخرجات، إضافة

م. وجدي بشارات

إلى الالتزام بالمستوى العالمي للمنتوجات الزراعية التي تتوافق مع المواصفات العالمية ودخول المنتج الفلسطيني جميع أسواق العالم، الأمر الذي لم يكن ليحدث لولا التطور التقني والتدريب لهؤلاء المهندسين، وكذلك فإن عددًا كبيرًا منهم عمل على تأهيل نفسه وما زال يستكمل دراساته العليا للعودة لتطوير القطاع الزراعي في هذا البلد.

وأوضح عمارنة أنه "يمكن تلخيص بعض الآليات والطرق التي عمل المهندسون من خلالها على تطوير القطاع الزراعي بعملهم واحتكاكهم بالمزارع الفلسطيني بشكل مباشر، ما أدى إلى التفاعل القوي من خلال الزيارات المتكررة والإرشاد المباشر، حيث أدى استصلاح الأراضي الزراعية مثلاً إلى عودة المزارع والعامل والموظف الفلسطيني إلى أرضه بشغف وحب وتفان، وذلك من خلال استغلالها بالشكل المطلوب وعن طريق مراعاة متطلبات السوق الفلسطينية للاحتياجات الاختصاصية بمواكبة هذه الجامعات تخريج الأفواج ذات القدرة العلمية التنافسية العالية لتلبية احتياجات سوق العمل، حيث إن أقل نسبة للبطالة هي في مجال الهندسة الزراعية للأعوام الخمسة المنصرمة، مقارنة بالمهن المماثلة والتخصصات الأخرى. حيث أدى إرشاد المهندس للمزارع، مع وجود السبب القوي للثقة وهو الإرشاد المدعم بالتمويل، إلى إيجاد جو من الثقة والاحترام بين هذين الطرفين المتكاملين".

ويضيف عمارنة إلى ما سبق، أن زيارات المهندسين للمشاريع بشكل متكرر وتنظيم ورشات عمل ودورات تدريبية المكثفة وتوزيع نشرات علمية مفيدة أدى إلى تعزيز الثقة وتقوية العمل الزراعي على المستوى المحلي. كما أن توجه المزارع إلى المهندسين الزراعيين لحل المشاكل الملحة والمتكررة التي تواجهه ويعجز عن حلها، وتقوية الرابط وتعزيز الخدمات الزراعية والثقة بالنفس لدى الطرفين، سيجنبنا أن يصبح ماء جنتنا الفلسطينية غورًا.

المراهقة..

مطحنة الرجال أم مصنعها؟

الوسطى- "ينابيع"- محمد مزروع- كانت قصة الغول أكثر ما يؤرقنا في طفولتنا، وما نلبث أن نسمع جملة آبائنا المشهورة: "سيكون الأمر على ما يرام"، حتى غفونا دون هموم ومخاوف. لكن.. سرعان ما كبرنا وعلقنا كـ "مراهقين" في حياة أشبه بثلاثية "الغول والعنقاء والخل الوفي". فمن يتفهم حاجات العنقاء ورغبتها في الوصول إلى بر الأمان؟ فالغول يمثّل الحياة، والعنقاء المراهق الذي يحاول تخطي هذه المرحلة، والخل الوفي.. مفقود كالعادة.

"من أهـم الأمور التي يجـب على ولي الأمـر مراعاتها عند تعاملـه مع ابنـه المراهـق هي تفهـم احتياجاته النفسـية والاجتماعية والصحية والجسـمية؛ فالمراهقة مرحلة التغيرات الاجتماعيـة المختلفة، وعلى أولياء الأمـور مراعاة هذه التغيرات بشـكل علمي ومدروس". يقول المتخصص في مجال التربية د. باسم أبو قمر؛ مؤكدًا أن "أي محاولة لعدم تفهم تلك الاحتياجات ومراعاتها تنعكس بصورة سـلبية قد يصعب السـيطرة عليها وتصحيحها فيما بعد".

تخطي مرحلة حرجة

يوافقـه في رأيه المتخصص في مجـال علم النفس د. خالد مؤنـس، قائلاً: "إن إشـباع حاجـات المراهقين بالطـرق التربوية السـليمة أمر ضروري؛ إذ إن عكس ذلـك يجر إلى ازدياد متاعبهم ومشـكلاتهم؛ أما مراعاة هذه الحاجات فهي بالتوجيه والإرشـاد وتقديم الخدمات المناسـبة فـي البيت والمدرسـة، لذا فإن من الواجب توفير الرعايـة لهم في جميع المجالات الصحية والبدنية والحركية والعقلية والاجتماعية والفسيولوجية والانفعالية بشكل علمي مدروس، وبذلك، فإن من حق المراهقين على التربويين وعلى الأسرة وعلى الجهات التي لها علاقة، أن يقدموا لهم المساعدة في هذه المرحلة الحرجة".

جسر نحو الكمال الإنساني

مـن جانبها، تـرى المختصة بعلـم الاجتماع أ. منى الششـنية أن "المراهقـة من أخطـر المراحل التي يمر بها الإنسـان ضمن أطواره المختلفة التي تتسم بالتجدد المسـتمر والترقي في معارج الصعود نحو الكمال الإنسـاني الرشـيد؛ ويكمن الخطر في هذه المرحلة التي تنتقل بالإنسـان من الطفولة إلى الرشد في التغيرات في مظاهر النمو المختلفة الجسـمية والنفسـية والعقلية والاجتماعيـة والانفعالية والدينيـة والخلقيـة، ولمـا يتعرض له الإنسـان فيها مـن صراعات متعددة داخليـة وخارجية، وعلى الأب أن يرافـق ابنه في هذه الفترة ويكون صديقًا ومرشدًا، وعلى الأب أيضًا مراقبة الابن ومعرفة أصدقائه وتوجيهه لاختار الصديق المناسب".

حق المراهق على أبيه

عضو هيئة التدريس في كلية التربية الأستاذ عبد الكريم قشلان يؤكـد أن من حق المراهق أن يعيش في جوّ يسـود فيه "احترام رأيه وتقبل حديثه، ومواءمة بين الضبـط والمرونة في قيادته، ما يمكينه من التغلب على مخاوفـه وخجله وإعداده لمواجهـة الحقائق والواقع ليألفه ويعيشـه، مع عدم التهاون في التنبيه عن الأخطاء"، مضيفًا أن "ذلك يجب أن يكون بأسلوب يراعي حساسية المرحلة وحرجها".

التعليم في فلسطين

بين التلقين وتنمية الروح الإبداعية

رفح- "ينابيع"- خالد عيد: لا يقتصر التلقين على البشر، فمن الواجب أن نتساءل من حين إلى آخر "هل نحمل محرك البحث غوغل ما لا طاقة له به؟!"، لقد حوّلناه بأيدينا إلى ملقن اعتاد وضع الملعقة في فمنا دون تحريك ساكن آخر سوى الفارة ولوحة المفاتيح. مثلاً، هل يُعقل أن يكتب شخص ما في موضوع "التلقين وافتقار الإبداع"، بينما "يلطش" موضوعه من "غوغل"؟ وهل هذا ذنب الكاتب؟ أم "غوغل"؟ أم ثمرة خطيئة التلقين الذي تعودنا عليه منذ صغرنا؟

يرى د. إسماعيل الفرا المتخصص في المناهج وأساليب التدريس بجامعة القدس المفتوحة أن "من أهم المشكلات التي يعاني منها التعليم في فلسطين التركيز على المستويات المعرفية الدنيا، التي لا تتجاوز استرجاع المعرفة".

قد يتخذ ذلك صورة الحفظ الآلي، أو اجترار المعرفة دون فهم أو تحليل أو نقد أو إضافة أو تحديد؛ وهذا ما تتولد عنه في كثير من الأحيان السرقات الفكرية التي تفتقر إلى الحاجة للتفكير، ومن بعدها الأمية الثقافية والتكنولوجية.

قدر من الإبداع

ويوضح د. الفرا أن "هذا يتطلب ضرورة التحول من هذا المناخ التعليمي السلبي إلى مناخ يؤدي إلى تعليم المتعلمين مهارات الابتكار والإبداع، وبخاصة أن تربية القرن الواحد والعشرين تركز على أن التعليم للإتقان والجودة والمنافسة الخلاقة، تمهيدًا للتحول من التعلم المحدود الأمد إلى التعلم مدى الحياة". مضيفًا أن "لدى كل متعلم قدرًا من الإبداع، وقد يزيد هذا أو ينقص، لذا وجب الاهتمام بتنمية الإبداع في المؤسسة التعليمية الجامعية وما قبلها من خلال العمل على تغيير المناخ التعليمي السائد الذي يعتمد على ثقافة الذاكرة القائمة على ثلاثية التلقين والحفظ والاسترجاع".

زاوية جديدة للبيئة التعليمية

ويبيّن أستاذ تكنولوجيا التعليم المشارك د. حسن عبد الله النجار أن "التحول من التعليم التقليدي إلى الإبداعي، بحاجة إلى تطوير -إن لم يكن تغييرًا- البيئة التعليمية الحالية بعناصرها كافة؛ لتسهم في تبني التعليم بالتفكير من أجل الإبداع، مشيرًا إلى وجود "حاجة إلى تعليم الطلبة كيف يتعلمون لا التركيز على ما يتعلمون، وتبني استراتيجيات غير تقليدية في التعلم، وتوظيف أحدث الوسائل والأساليب التكنولوجية، وتنمية القدرات والمهارات الإبداعية، واستخدام أرقى نماذج التقويم القادرة على قياس المهارات بدلاً من قياس التحصيل والمعرفة".

ويتابع د. النجار أن "هناك ضرورة لتحول المناهج من التلقين والحشو الزائد إلى الإبداع وتنمية الخيال والاكتشاف، كما نحتاج إلى المعلم المبدع والمساند والمثقف تكنولوجيًا، القادر على هندسة مواقف تعليمية مبتكرة، بما تحقق أجود المخرجات التعليمية المبنية على مدخلات وعمليات تكنولوجية تسهم في تحقيق الإبداع".

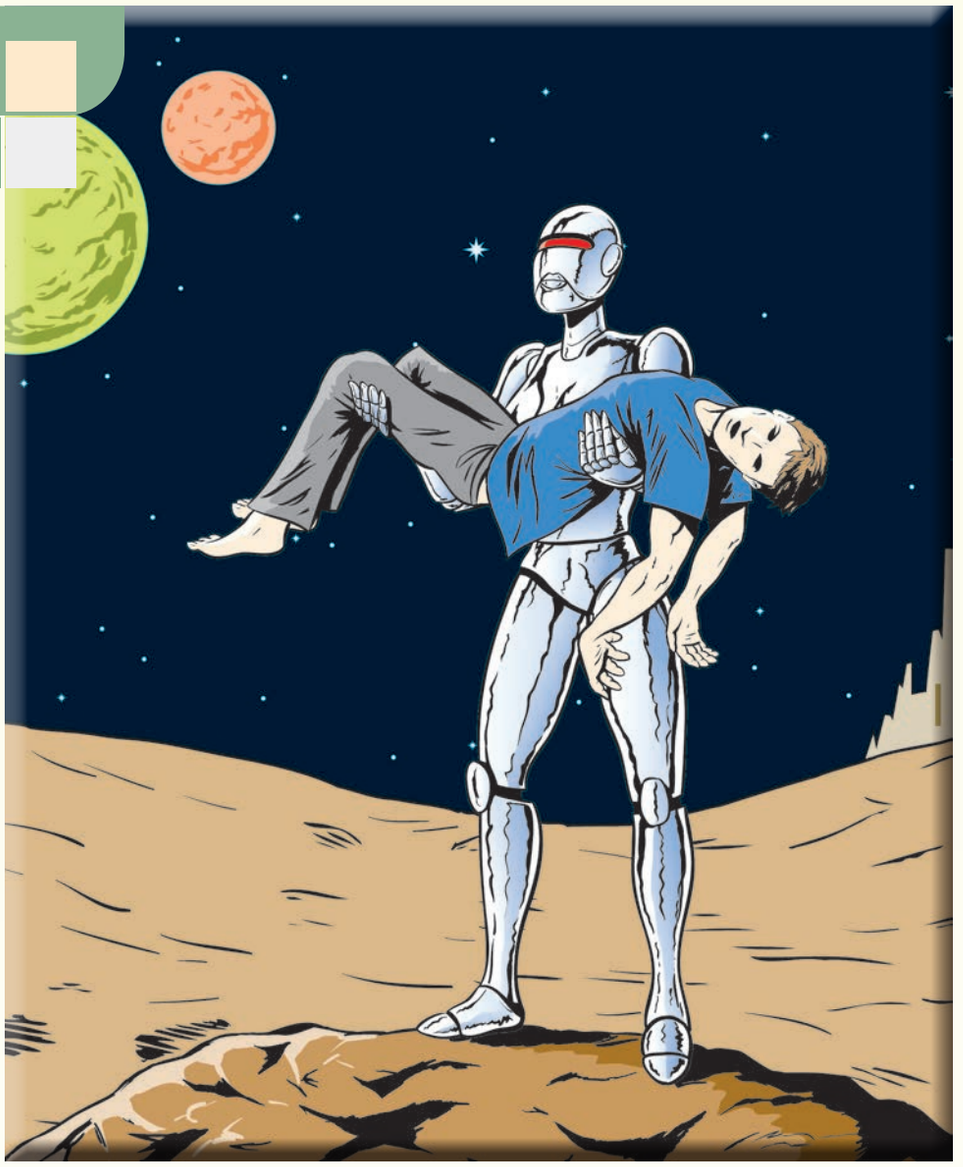

قصص الخيال العلمي كمدخل للتدريس

د. سعاد العبد
فرع بيت لحم

الخيال العلمي نوع واسع شــامل من الإبداع يشتمل غالبًا على التأمل الذي يقوم على أساس العلم والتكنولوجيا الحالية أو المستقبلية. ونجد أمثلة للخيال العلمي في كتب الأدب، حيث يشــتمل الخيال العلمي على تلك الأعمال التي تدمج بين العناصر الخيالية الموجــودة في الواقع المعاصر التي تتضمن أيضًا الرعب وما يرتبط بينهما. والعناصر المتخيلة في الخيال العلمي تكون ممكنة فقط في ســياق قوانين الطبيعة المفترضة علميًا أو التي تقوم على أساس العلم.

ويساعد الخيال العلمي على توفير المثيرات للأطفال لحثهم على التخيل حتى يمكنهم من التكيف مع الحياة المستقبلية، ويُساعد على تنمية مقدرة الطلبة وإعدادهم عقليًا لثورة المعلومات التي يتسم بها القرن الواحد والعشرون. وباستخدام الخيال العلمي كمدخل للتدريس، يمكن للمعلم أن يركز على بعض المفاهيم العلمية التي تدور حول القصة. ويساعد الطلبة على استخدام أسلوب حلّ المشكلة في حلّ بعض المشكلات الحياتية بطريقة إبداعية، ما يسهم في تنمية مهارات التفكير العلمي.

واستخدام الخيال يعد من الإستراتيجيات المهمة التي تحقق عددًا من الفوائد كالمساعدة على تذكر التفاصيل الجانبية والبسيطة بفاعلية، وكذلك التركيز على التفاصيل الأكثر أهمية وإبرازها. ويساعد الخيال على ربط المعلومات الثانوية مع المعلومات الأكثر أهمية في سياق واحد؛ حيث يبرز الخيال دور المعلومات البسيطة بحيث يجعل منها معلومات ذات أهمية ومركزية.

والخيال مهم جدًا للطفل وهو خيال لازم له، ومن خصائص الطفولة الخيال الجامح، ولتربية الخيال عند الطفل أهمية تربوية بالغة، وتتم تنمية الخيال من خلال سرد القصص العلمية الخيالية للاختراعات والمستقبل؛ فتعتبر مجرد بذرة لتجهيز عقل الطفل وذكائه للاختراع والابتكار وتثير شغف الأطفال وتجذبهم وتجعل عقولهم تعمل وتفكر.

والتخيل كإستراتيجية يمكن أن يثير مشاركة فاعلة وحقيقية من الطالب، فالطالب حين يتخيل نفسه شاعرًا أو سجينًا أو نقطة زئبق أو بذرة قمح، فإنّه يصبح طرفًا فاعلاً في سلوك هذه الأشياء. وإنّ ما نتعلمه عبر استخدام الخيال هو أشبه بخبرة حية حقيقية من شأنها أن تبقى في ذاكرتنا ولمدة أطول. والخيال يعلمنا معلومات وحقائق، ولكنّه أيضًا مهارة تفكير إبداعية يقودنا إلى اكتشافات وطرائق جديدة. والتعلم باستخدام الخيال هو تعلم إتقانيّ لأنّنا نعيش الحدث ونستمتع به كما أنّه يستفز الجانب الأيمن من الدماغ إضافة إلى الجانب الأيسر.

والخيال العلمي كمدخل تعليمي يحقق عدة عناصر مهمة من متطلبات النمو لدى الطفل، فهو يساعد على نمو المفاهيم العلمية والاجتماعية ونمو القيم والاتجاهات ونمو الضمير، بالإضافة إلى ذلك، يعد الخيال العلمي وسيلة لنقد المشكلات الاجتماعية، وبذلك يمكن استخدامه لتنمية التفكير الناقد والقراءة الناقدة، ويشكل الخيال العلمي منطلقًا أساسيًا في تكوين صورة جديدة في أذهان المتعلمين لما ستكون عليه الأشياء في المستقبل، ما يدفعهم إلى تعلم المزيد من هذه الأشياء والسعي بعزيمة نحو وضع الصورة موضع الحقيقة.

ومن السهل على كل إنسان أن يستخدم الخيال، بل نحن نمارس فعليًا عملية التخيل عدة مرات في اليوم الواحد، وهناك فرق بين شخص واسع الخيال يرتاد آفاقًا بعيدة، وبين شخص واقعي لا يذهب بعيدًا. وفي واقع الأمر، يمارس الطلبة نوعين من الخيال: الأول هو الخيال المشتت، الذي يقود إلى أحلام يقظة مشتتة. والثاني هو الخيال الإبداعي الذي يقود إلى رسم لوحة فنية أو إبداع قصيدة أو حلّ مسألة. والمطلوب في المدرسة هو الخيال الإبداعي المنتج، والمطلوب من المعلم أن يكون واسع الخيال ليقود طلبته إلى تخيلات إبداعية، وهكذا يكون الخيال إستراتيجية في التدريس الإبداعي.

وتنبع أهمية استخدام الخيال العلمي كمدخل للتدريس من خلال تنمية المقدرة على التخيل وخاصة عملية التخيل القصصي المرتبط بالفضاء، ويساعد على تنمية المقدرة على التفكير الإبداعي والتفكير الناقد والعمل على استخدام أنواع التفكير في إطار اجتماعي. وألهب الخيال العلمي عقول العلماء وأخصبها، وهذا التقدم العلمي أذهل خيال الأدباء في القرن العشرين، أي أنّه يمكن القول إنّ هناك تفاعلاً بينهما، بل ربما تحول هذا التفاعل أحيانًا إلى شبه سباق بين الطرفين. وقد تم حصر أنواع الخيال العلمي في عشرين نوعًا وهي: غرباء بيننا، لربما حدث التاريخ بشكل مختلف، العوالم البديلة، تحدي الجاذبية: الانتقال الجزيئي، الانتقال عن بعد، خلف الحقول التي نعرفها، مدن المستقبل، السايبر بانك، اليوتوبيا، نقائض اليوتوبيا، الإدراك الفائق للحواس، الأبدية بمعناها المادي، الاختفاء، الأراضي المفقودة، الخيال العلمي الشهواني، السوبرمانات، السفر عبر الزمن، نهاية العالم.

وعندما يمارس الأفراد الخيال العلمي، يكون بإمكانهم صياغة فرضيات أفكار جديدة لتطوير جهاز أو حلّ مشكلة من المشكلات، وهنا يساعد الخيال في تكوين النظرة إلى البيئة وتنمية المقدرة على تصور ما ستكون عليه الأشياء في المستقبل، ما يجعل الفرد مبدعًا في تفكيره. وجزئية الخيال وحدها لا تكفي، وقصص الخيال العلمي الجيدة تبدأ بفكرة علمية ثم تقسم على تفاصيلها، ويزاد عليها على نحو خيالي غير خاضع لصرامة الفيزياء لكن متسق مع السؤال الإبداعي: ماذا لو؟

وتوصف قصص الخيال العلمي بأنّها شكل من أشكال الكتابة الأدبية التي تعتمد على الخيال المستند إلى المعارف والمعلومات والعلم والمفاهيم العلمية. وقصص الخيال العلمي هي من أشكال الكتابة الأدبية توجه الفرد إلى استجلاب خبراته الماضية لتتفاعل مع خبراته الحاضرة وموضوع التفاعل من خلال سلسلة من الصور الذهنية، وتنصهر في بوتقة واحدة في لحظة إلهام لاستشراف المستقبل استنادًا إلى الواقع.

ولاقت قصص الخيال العلمي رواجًا كبيرًا؛ وكان وراء هذا الرواج التقدم التكنولوجي الذي صاحب هذا العصر، وأنّ التقدم العلمي والتكنولوجي وراء ظهور قصص الخيال العلمي، ومن هنا يمكننا القول إنّ قصص الخيال العلمي كانت وراء التقدم، حيث كانت الحافز والمبشر به.

وتُعد قصص الخيال العلمي من الطرائق المناسبة في تنمية الخيال العلمي، ومن الاعتبارات التي ينبغي على المعلم مراعاتها عند استخدام القصة لتنمية الخيال العلمي: مساعدة الطلبة في البداية على وضع تسلسل للأحداث، وفي اقتراح الأحداث الأولية أو وضع المشكلة، أو محاولة الوصول إلى حلّ لها، وتوجيه الطلبة إلى تركيز أفكارهم حول موضوع محدد حتى يتسنى لكل طالب تأليف قصة حول هذا الموضوع، ويجب على المعلم تذكير الطلبة بالموضوع من حين إلى آخر. ووضع الطلبة في مجموعات صغيرة، تضم كل مجموعة طالبين أو ثلاثة لإتاحة الفرصة أمام أكبر عدد ممكن من الطلبة لرواية القصص الخاصة بهم؛ ومناقشة الطلبة في الكلمات والمعاني المستخدمة التي يحتاجونها للتعبير عن أحداث القصص الخاصة بهم.

ويرتبط الخيال ارتباطًا وثيقًا بالتفكير، ولأنّ الخيال أحد الأنشطة

العقلية التي يمارسها الفرد لبناء صورة جديدة، فإنّه يُعد أحد أنشطة التفكير العلمي، فالتفكير العلمي يعتمد في العادة على فرض الفروض المقترحة لحلّ المشكلات التي تواجه الإنسان، وتعتمد صياغة هذه الفروض على ما سيكون عليه الأمر في المستقبل، أي يعتمد على الخيال العلمي.

وتنبع الأهمية التربوية لقصص الخيال العلمي من كون التخيل كإستراتيجية تدريس يمارس في الصف، ويتطلب توفير عدد من الشروط من مثل: ممارسة الخيال في مكان مريح، هادئ الألوان والإثارة وبعيد عن الصخب والضجة، ويتطلب توفر وقت كافٍ يتلاءم مع موضوع التخيل؛ علمًا بأنّنا نستطيع أن نمارس الخيال في جزء من الدرس حسب الهدف، ويتطلب استخدام التخيل وجود مرشد يقود هذا الخيال، ويعطي توجيهات في أثناء استخدام الخيال؛ للانتقال من مرحلة إلى أخرى ومن وضع إلى آخر. ويحتاج الخيال إلى تدريب ذاتي يقوم به الطالب، ليتخيل أوضاعًا مريحة أو يتأمل شيئًا يحبه، ويمكن للمعلم أنْ يدرب الطلبة ويضعهم في مواقع يمكن أنْ يتخيلوا فيها؛ وربما يحتاج الخيال إلى وضع مريح يسترخي فيه الطالب، وقد يغمض عينيه أثناء ممارسة الخيال، كما يحتاج الطالب إلى أنْ يفرغ ذهنه تمامًا، ويفكر في موضوع التخيل فقط.

إن ممارسة الخيال تحقق فوائد متعددة، من مثل: أنّ الصور المتخيلة تشكل قاعدة بيانات مهمة لتمثيل المعلومات في الذهن بطريقة فعالة، والصور العقلية المتخيلة تساعد على إعطاء المعاني للألفاظ والمفاهيم والرموز المجردة، وأنّه يمكن بواسطة الخيال تحويل الأفكار المجردة إلى صور حسية يسهل التعامل معها، فيجعل من المادة الصعبة غير المألوفة مادة سهلة يسهل تعلمها، والخيال يعد وسيلة لتحسين ذاكرة المتعلم، واسترجاع المعلومات المتعلمة بشكل سريع وكلي، حيث يساعد الخيال على ابتكار معانٍ جديدةٍ للأفكار المتعلمة، كما يساعد الخيال على الربط بين التعلم السابق والتعلم الجديد، وبالتالي توليد نتاجات إبداعية جديدة.

ولتنظيم المنهاج بالاستناد إلى قصص الخيال العلمي لتنمية التفكير، هناك حاجة لفهم الواقع حتى يصبح المأمول ممكنًا. ويشير الأدب التربوي إلى أنّ المخرجات التعليمية لنظام التعليم العام على معيار التفكير يكاد يكون محبطًا للآمال إلى حد بعيد؛ فالكثير من الطلبة الذين يحملون شهادة الثانوية العامة ليسوا في وضع يؤهلهم لتفسير أو تقديم أدلة تتعدى الشرح الهامشي أو السطحي للمفاهيم والعلاقات، علاوة على أنّهم غير قادرين على تطبيق مضمون المعرفة التي اكتسبوها في حلّ المشكلات في حياتهم اليومية؛ ويعود ذلك إلى أنّ الطلبة لم ينشأوا في بيئات تنمي تفكيرهم الإبداعي، كما أنّ بعض المعلّمين لم يخوضوا في فترة إعدادهم مغامرة الإبداع، بالإضافة إلى أنّ البيئة المدرسية ليست مساعدة على هذا التوجه، والأجيال لم تهيأ لها بيئات أو مناهج تنمي الإبداع. ومن الحلول المطروحة للحاق بركب الحداثة وما بعدها، تعليم التفكير وما فيه من قوة للأجيال للتعامل مع معطيات الحاضر والمستقبل. ومن هنا، فالمأمول من المناهج أن تتضمن آليات تفعيل التفكير الناقد منه، والإبداعي.

ولو ترك الناس وشأنهم، فلن يتطور تفكيرهم ولن تنمو طاقاتهم ولا مهارات التفكير لديهم. أي أنّ التفكير الماهر ليس نتاجًا طارئًا في مدارج النمو والنضج، كما أنّه ليس حصاد خبرات عارضة، وليس نتيجة حتمية للنضج العضوي، ولا القراءة في مواد التدريس.

وإنّ مواكبة المناهج للتوجهات المستقبلية تستدعي أشكالاً منهجية جديدة تأخذ في اعتبارها عددًا من التوجهات عند تخطيط المنهج وعند تنفيذه، لتتحمل بدورها مسؤولية إعادة تشكيل الإنسان للقرن الجديد. ويتم ذلك عن طريق الاهتمام بالمعلم وتدريبه، سواء كان قبل الخدمة أو في أثنائها على استخدام مدخل جديدة في التدريس، وكذلك الاهتمام بميول الطلبة واهتماماتهم ومستويات نضجهم، وتعرف الشروط الواجب مراعاتها لنجاح مدخل قصص الخيال العلمي.

ويتم تنظيم المنهاج في ضوء قصص الخيال العلمي من خلال بناء المنهاج وفق قصص الخيال العلمي التي تعتبر من الطرائق المناسبة في تنمية الخيال العلمي لدى الطلبة، وعندما يستخدم المعلم هذا المدخل، فإنه يبدأ في تقديم المعلومات الخاصة بموضوع الدراسة أولاً، ثم يبدأ في رواية قصة من خياله على الطلبة حول هذا الموضوع، ثم يطلب من كل طالب تأليف قصة من نسج خياله حول الموضوع نفسه. وبالرغم من العوامل التي تحد من استخدام مدخل القصة إلا أن لها دورًا في تنمية الخيال العلمي.

والمعلم الناجح هو الذي يتيح المجال لطلبته للحديث الشفوي والتعبير التلقائي في أجواء يسودها الاحترام والقبول، وكذلك تهيئة الأجواء المناسبة داخل الصف لتسهيل التواصل الإيجابي بين المعلم والطلبة، ويطرح أسئلة كثيرة مثيرة للجدل تعمل على استثارة الفكر وتحفز العقل للبحث والاكتشاف، ويفتح المجال لإثارة الأفكار الجديدة ولا يلجأ إلى تسخيف أي فكرة مهما كانت عفوية وبسيطة، ويعلم الطلبة مهارات التفكير الإبداعي، وطريقة إيجاد الأفكار الجدية، ويحفزهم على التساؤل الذي يدفعهم إلى إيجاد حلول ذاتية مبتكرة، ويعزز في الطالب إمكانياته الذاتية ويحفزه على إطلاقها وتجريبها فاتحًا المجال للصواب والخطأ، مركزًا على الجانب التجريبي الذي يفسحه ميدان الممارسة للموهبة والطلاقة في أجواء تتمتع بالحرية والمرونة وتزدهر فيها معاني إثبات الذات والتشجيع التلقائي الذي يشكل دافعًا مستمرًا لأداءٍ أقوى وأفضل من قِبل الطلبة المتمتعين بمثل هذه الفرص الجيدة والمشجعة. وحتى يكون ذلك، فهناك حاجة لوجود المعلم المبدع، لأنّه أكثر مقدرة على تعليم الإبداع ورسم خطوطه على أرض الواقع من المعلم التقليدي غير المبدع.

وسائل تربوية بديلة عن العقاب البدني في المدارس

د. عاطف العسولي
أستاذ الخدمة الاجتماعية المساعد - فرع غزة

يخطــئ من يظــن أن العقاب يفيد دائماً في العلاج، حيث إن ضــرره قد يكون أكثر من نفعه. كما أن الدراسات أثبتت أن النتائج المترتبة على الثواب أكثر فائدة من النتائج السلبية المترتبــة على العقاب، لذلــك ينصح بعدم اللجوء إليه إلا بعد أن تســتنفد طرق العلاج وعلى رأســها الثواب. ومن هنا نقول إن العقاب البدني يجب أن يكون بعيداً عن العلاقة بين الطالب والمعلم. كما أن الدراسات أثبتت أن العقاب يكون في مجال التربية وبهدف تهذيب السلوك وضبطه وليس في مجال التعليم.

ولعل كل سلوك يقوم به الفرد يحمل معه خصائصه المميزة له وتنتج عن مكوناته التفاعلية، سواء كان مع المحيط الذي يعيش فيه أو مع الآخرين الموجودين في محيطه، وثمة سلوكيات أخرى ترتبط بنوع هذا السلوك الذي قام به.

والمتأمل للعقاب البدني سوف يجد أنه سلوك يحتوي على عنف، وهذا العنف هو ضغط جسدي أو معنوي ذو طابع فردي ينزله المعلم بالطالب بنية تهذيب وتعديل سلوكه، وهو عنف نظامي، ولكن قد تترتب عليه مشكلات أخرى. فعلى سبيل المثال، وفي إحدى مدارس قطاع غزة، تهجمت طالبة في المرحلة الإعدادية على معلمتها بالصوت العالي والألفاظ السيئة وأوشكت تضربها لولا تدخل معلمات أخريات ومنعها من ذلك.

وكان عقاب الطالبة في قرار اتخذته مديرة المدرسة بوقفها عن الدراسة لمدة أسبوع. أما عن سبب الخلاف بين الطالبة والمعلمة، فيعود إلى وضع الأخيرة لوحة تحمل أسماء الراسبات في الامتحان الأخير لمادتها، ومن بينهن الطالبة صاحبة الموقف. يذكر أن المعلمة هددت قبل الامتحان من يرسبن ثم نفذت وعيدها، رغبة منها في رفع مستوياتهن لتفادي الضغوطات الواقعة عليها من مديرة المدرسة لرفع نسبة النجاح في المادة التي تدرسها. إن تكرار سلوك الطالبة وعقاب المدرسة سيؤثر على الجميع، مع ملاحظة أن هذا التصرف له عدة بدائل قد تقي المعلم كل هذه الشرور. إضافة إلى أن النتائج قد تكون سريعة في حالات قليلة، ولكن غير مضمونة، وقد تترتب عليها عواقب وخيمة كالهروب من مدرسة أو التسرب الدراسي، أو العدوان بصفة عامة.

ويأتي السؤال: ماذا تفعل عندما يواجهك طالب لديه سلوك بحاجة للتعديل؟ هل تقرر استخدام العقاب البدني، أم الأفضل أن تلجأ إلى بدائل أخرى؟

هنا يقع على المعلم الدور الأكبر، وليعلم أن رأس ماله في العملية التعليمية هو حب الطلاب، ويأتي ذلك من خلال تفوقه في الأداء وتميزه وتوفر صفات الإدارة الحكيمة للصف لديه، وذلك من خلال قيامه بإعطاء تعليمات واضحة من أول يوم للدراسة، لأن الوقاية خير من العلاج، وعند حدوث أي خلل، يتدخل بهدوء، وليعلم أن العقاب هو تربوي نفسي واجتماعي وليس بدنيًا، وليعلم أن لكل شخص بصمة فكرية لا بد وأن تتفق مع بصمته الوظيفية، وأنه كمعلم لا بد أن تكون بصمته علمية ومهنية ومستمدة من خبرة أهل العلم في ذلك. وإليكم بعض الوسائل التي ينبغي اللجوء إليها كبديل عن العقاب البدني:

- تجنب الغضب.
- الموعظة الحسنة والنصح والإرشاد.
- منع الثواب مع ذكر السبب، مثل حرمانه من نشاط محبب.
- إظهار عدم الرضى عن السلوك والضيق من السلوك.
- النظرة الحادة التي تحمل التلميح واللوم والعتاب.
- توضيح الخطأ له والصبر عليه، ومن الخطأ تعجل العقوبة مثل إخراجه من الحصة، والنبذ والإهمال دون متابعة، وإعطائه واجبا أكثر، وتخفيض درجة امتحانه، والسخرية والإهانة والاستهزاء من عيب لديه، والسباب والشتائم، والعقاب الجماعي.
- مدح الغير أمام (الغيرة)، واستخدام ألفاظ محببة مثل: يا بطل.. يا شاطر.. يا أمير.
- إزالة العوامل المسببة أن أمكن، مثل إغلاق النافذة أو تغيير مكانه.
- اللجوء للزجر والتوبيخ.
- الحرمان من اللعب لفترة مؤقتة، أو من شيء محبب إليه.
- التجاهل لفترة مؤقتة مع توضيح السبب.
- إقصاء من التعزيز الايجابي مؤقتاً، إلى أن ينتهي من السلوك السلبي، مثل نقل الطفل من مكانه وإرجاعه بعد هدوئه.
- التخويف والتهديد المدروس، مثل إشعار ولي الأمر.
- شد الأذن بلطف ومراعاة التدرج في العقاب.
- تسجيل مخالفة في دفتر المخالفات الخاص بالمدرسة، وتحويله إلى لجنة الضبط الطلابي، وهو أمر يقترح وجوده بالمدرسة.
- قانون الجدة، أي دعم الطالب من خلال وعده بمكافأته إذا أنجز مهمة معينة.
- اتباع تمرينات للاسترخاء لكل الطلاب، وإشراك الكل بالدعم النفسي الإيجابي، مثل استنشاق هواء لعدة دقائق في فناء المدرسة.
- تكليف بأعمال في الصف أو السلوك البديل، والتفكير بالمقلوب، وإشراكه في الكشافة أو لجنة النظام.
- أنشطة حركية ومسابقات وتربية رياضية وحصص تفريغ.
- الاستفادة من الإذاعة المدرسية.
- توفير جو هادئ وأسري بالمدرسة، وتعزيز علاقة مجلس الآباء، وتوطيد العلاقة بين ولي أمر الطالب والمدرسة.
- تفعيل الجوائز التشجيعية والعبارات الهادفة على كراسات المتميزين، والتصفيق لهم أمام الجميع، ما يشجع الآخرين.

تـأليـــه الهـــوى

أ. أميمة قراقع
فرع بيت لحم

الرغبات.. الشـــهوات.. الميول، كلمات مألوفة تتردد على أســـماعنا بكثرة، ولها مدلولات واضحة في أذهاننا، لكن الأمر المستغرب والبعيد عن المألوف والمعقول، أن تصبح لها دلالات أخرى تســـيطر بموجبها علـــى عقول الناس وقلوبهم، حتى كأنها هي الإله المعبود والشـــرع المتبع الذي يسير عليه الشخص في حياته.

وهنا يثور ســـؤال بل أســـئلة: ما هي المنطلقـــات التي ينطلق منها البشر في تصرفاتهم؟

ألا توجد لكل إنســـان مرجعية يرجع اليها أو قناعة توجهه أو عقيدة تحركه في ســـلوكياته؟ ألا يوجد لدى الإنســـان ميزان يقيس به تصرفاته ومدى قربها أو بعدها من العقل والمنطق أو من قناعته وعقيدته؟

ألم يجعـــل لنا الله تعالى عقولاً نقيس بها الأمـــور، ونميز بها الخير من الشر، والحق من الباطل، والصواب من الخطأ؟ فكيف نغلق الأقفال على عقولنا ونســـير وفق رغباتنا، وهي التي قد تأخذنا إلى ما لا تحمد عقباه من النتائج والمخاطر! منذ متى كانت الرغبات والميول هي المرجعية أو الحكم أو المقياس الصحيح الذي يقاس به صواب الأمر أو خطؤه؟ قال تعالى: (وَلا تَتَّبِعِ الهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبيلِ اللّهِ).

إذا آمن الإنســـان بربه، فإن ذلك يقتضي منه السير على شرعه، حتى وإن لم يفهم الحكمة الكامنة وراء كل تشـــريع، فالإسلام والإيمان يكونان بتســـليم الأمر كله لله اعتقادًا وتشـــريعًا، وهذا أمر تـــمّ التأكيد عليه في القرآن الكريم. ومـــن ذلك قوله تعالى: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَـــجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِـــهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَـــلِّمُوا تَسْلِيماً). فالله عز وجل لا يشرع إلا ما فيه خير الإنسان وصلاحه، وهو بعقله المحدود قد يدرك أســـرار التشريع أحيانًا وقد يعجز عن ذلك أحيانًا أخرى،

فهـل يحق له إذا عجز عن إدراك حقيقة تشـريع، أن يرفضه أو ينكره؟ ثم يقوم بإعمال عقله مكانه ليشرع لنفسه ما يحلو لها من الأحكام.

والغريـب في الأمر أن الكل يدعي الإيمـان بالله تعالى، وتجده يطبق كثيرًا من أحكام الدين والشرع، لكنه في بعض الأحيان ينتقي من التشريع ما يوافق مزاجه، ويقدم رغباته وما تهوى نفسـه على شرع الله، فقد يترك الصلاة لأنه لا يستطيع ترك مسلسل درامي يفوته، وقد يخالف والديه، بل ويزجرهما، إذا وجهاه الى نصيحة أو فعل ما، وقد يسير في لباسه وراء موضة معينة حتى لو كان نمطها غير موافق لأحكام الشرع، وهكذا هو أسلوبه في كل شـأنه. فكل ما يخالف هواه ومزاجه، لا يريد سماعه، فمن الإله المعبود له إذًا غير المزاج والهـوى؟ وها هو القرآن الكريم ذاته يخبر عن هذه الفئة من البشر، مهددًا ومنذرًا لهم من سوء اعتقادهم وفعلهم. فقد قال تعالى: (أَفَرَأَيْـتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَـمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَـلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَـاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَـلَا تَذَكَّرُونَ). وقوله تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً).

وبعـد هذا، يزعم أكثرهم أنهم يحبون الله تعالى، بل إن في قلوبهم إيمانًا يفيض ليوزع على سـكان المعمورة بأسـرها، فكيف يستقيم لهم هذا الزعم؟ أليس من موجبات المحبة الاتباع والطاعة للحبيب؟

ألم يسـتمعوا إلى حديث الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسـلم حينمـا قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به)، وانظر إلى هذه الأبيات الشعرية لابن المبارك التي تجسد هذا المعنى:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محالٌ في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وعندما نحاول تلمس أسـباب هذه الظاهرة، نجد أن لها علاقة وثيقة بمفهـوم الحرية، فكثير من هؤلاء الناس يظن أنه حرّ حرية مطلقة، بحيث يرفض أي تدخل من الغير في تصرفاته، مهما كان فعله وسـلوكه، فهل هـذه حرية أم تحرر؟ بل هي تحرر وتمرد على كل قيمة وعلى كل تشـريع، فإذا قـدّم الواحد منهم رغبته ومزاجه فيما يريد فعله -مع تجلي مدى قبح عمله عقلاً وشـرعًا- غير عابئ بكل ذلك، فهل هـذه هي الحرية؟ بل أقول إنهـا العبودية بذاتها، لكنها هذه المرة عبودية الأهواء والشـهوات التي طالما حذرنا منها القرآن الكريم والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومن سـيطرتها على المرء، التي بين لها ارتباطها العميق بالحياة الدنيا الزائلة والفانية وتجاهلها للحياة الآخرة الباقية الخالدة.

ولعل من أسـباب توجه كثير من شـبابنا وبناتنا إلـى هذا المنزلق الخطيـر، عصر العولمة بكل ما يحمله من انفتـاح على العالم الخارجي من ثقافـات وقيم مخالفة لما نديـن به في مجتمعاتنا العربية والإسـلامية، فالتقليد الأعمى لثقافات وتقاليد الشعوب الآخرى يدفعهم إلى تصرفات وسـلوكيات لا يختلف اثنان في مخالفتها لقيمنا وشرعنا، لكنهم يقلدون ويقلـدون، دون تفكيـر فيما يقولون أو يفعلون، بـل ويظنون أنهم بذلك يكونون في قمة التقدم والرقي، بينما يغرق غيرهم في الماضي المتخلف بكل ما فيـه من قيم وموروثات، وعندما تحادثهـم بلغة العقل والمنطق، وتبين لهم فسـاد طريقتهـم، فإنهم يفرون إلى طريق آخـر، وهو وجود الأكثرية التي تشابههم وتوافقهم على تصرفاتهم، فهم الأكثرية، بينما آباؤهم ومعلموهم ممن ما زالوا متمسـكين بالقيـم والأخلاق هم الأقلية، وهنـا لا بدّ من وقفة ومن كلمة؛ فمن قـال إن الأكثرية دائمًا على حق؟ ألم يقـرر الله تعالى في كتابه المجيد ذلك قال تعالى: (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ).

وقـد تتفق أكثرية النـاس على قرار ما، لكن سـرعان ما يتبين خطأ قرارهـم بعـد تجربته وتفعيلـه في الحيـاة، فها هي الـدول تغير في دسـاتيرها كلما رأت خللاً في تشـريع أو قانون كان قد اتفق عليه سـابقًا بقرار من الأكثرية. وما الانهيار الذي حدث للاقتصاد العالمي ببعيد، مع أن دولاً بأكملها وضعـت نظامه وتوافقت عليه، لكنه انهار لما خالف العدالة والمساواة والحرية المسؤولة والمنظمة.

لا بدّ من علاج فعال لهذه الظاهرة، وإلا سـتكون نتائجها علينا وخيمة، ونحـن، التربويين والمثقفين والعاملين في الصـروح العلمية والأكاديمية، يقع على عاتقنا التوجيه التربـوي والعقلي والديني، حتى يفيق هذا الجيل من غفلته ويثوب إلى رشـده ويرجع إلى التمسك بدينه وأخلاقه وقيمه التي هـي ثوابت لا يجـوز إهمالها بأي حال مـن الأحوال، مهما بلغ الإنسـان من التقدم والرقي، بل إن رقي المجتمعات يقاس بمدى احترامها للقيم والأخلاق الصحيحة والفاضلة، وهذه أول رسالة ينبغي أن نوجهها لأبنائنا وبناتنا.

كمـا أن علينا بيان معنى الحرية التـي نرتضيها لهم، فهي الحرية الواعية المسؤولة، وليسـت الحرية كلمة تقال على اللسان لتستعمل في سـياق التمرد على الأهل وعلى المعلميـن وغيرهم، ثم إن التقليد الأعمى يحجب فكر الإنسـان ويحجر عقله حتى يهلكـه، وهذا هو الذي أهلك من قبلنا، فكلما كان يجيء نبي إلى قومه كان جوابهم له: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَـالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ).

إن على الإنسـان أن يتخذ لنفسه ميزانًا يسـير عليه في أفعاله وأقوله، فإمـا الميزان الإلهي العادل الخيّر، وإما ميزانه الشـخصي الذي لن يكون ثابتًا بأي حالٍ، بل سـيبقى يتقلـب بتغير الأمزجة والرغبات، بـل وبتغير الموضات والصرعات.

إن على الإنسـان أن يحكم عقله أولاً قبل أي سلوك، قولاً كان أم فعلاً، ويرى مدى منطقية هذا السـلوك لديه، فإن عجز، فذلك طبيعي، لأن العقل البشـري سيبقى يتسـم بالقصور والضعف مهما بلغ من العلم والمعرفة، وحينها، عليه أن يحتكم إلـى ما تربى عليه من عقيدة وما تعلمه من قيم، وما تشربه من أخلاق، عندها فقط يسـتطيع أن يتخذ القرار المناسب في جميع مسلكياته.

أما من يلهث وراء أهوائه وشـهواته، فسيشـقى لأنه لن يصل إلى شيء مهم أو معتبر، سوى إشباع رغبات مؤقتة لهذه النفس التي لا تشبع، وفي الآخرة، سـيحرم مـن كل هذا المتاع الزائل، بل وسـيلقى الله تعالى بجبال من الذنوب، وحينها سيحاسـب ويسـأل عن تقديمه لأهوائه على هوى ربه تعالى الذي خلقه ورزقه وفي أفضل صورة ركبه، وحينها سيعجز عن الإجابة فيقال له: لقد نسيتني فكذلك اليوم تُنسى.

شاركت إلى جانب الرجل في النضال والبناء

المرأة الفلسطينية..

حضور فاعل يليق بـ"حارسة نارنا الدائمة"

نابلس- "ينابيع"- ديانا صلاح- جاء في إعلان الاستقلال الفلسطيني الصادر من المجلس الوطني في الخامس عشر من نوفمبر عام 1988م: "المرأة الفلسطينية الشجاعة حارسة بقائنا وحياتنا، حارسة نارنا الدائمة". ولم يكن هذا شعارًا للاستهلاك الإعلامي، بل كان فعلاً وممارسة على الأرض، فكانت المرأة الفلسطينية إلى جانب الرجل في شتى المجالات، عاملة ومبدعة وقائدة.

"مع بداية السلطة، كان هناك اهتمام وسياسة خاصة لمنح المرأة وإنصافها بإعطائها حقوقها التي تنص عليها القرارات والتشريعات الدولية والعربية وما صدر عن المؤسسات والهيئات الدولية بشأن حقوق المرأة، كما سعت السلطة الفلسطينية بعد نشوئها لإنصاف المرأة الفلسطينية بتشريعات وقوانين وسياسات بهدف تعزيز دورها ومساهمتها في عملية البناء والتنمية والتطوير للكيان الفلسطيني، حيث كان ذلك على الصعيدين الرسمي والأهلي"؛ يوضح مدير عام التخطيط والتطوير في محافظة نابلس أ. غسان المصري.

وتحدث أ. المصري عن دور المرأة، مبينًا أنه لم "يقتصر على بدايات نشوء السلطة الفلسطينية بعد عام 1994م، وإنما كانت المرأة الفلسطينية حاضرة ومشاركة بدور فاعل ومهم وجسدت حضورها في مرحلة الانتفاضة الأولى، حيث قامت بدور الأم والأخت والزوجة راعيةً أطفالها عند استشهاد آبائهم، وموفرة لهم جميع متطلبات الحياة من تعليم وصحة وثقافة؛ كما ساهمت في نشوء جيل وطني مثقف ومتعلم حيث حملت جميع الأعباء في هذه المرحلة إضافة إلى حضورها ودورها المميز في مواجهة الاحتلال خلال مرحلة الانتفاضة".

كان للمرأة الفلسطينية؛ الأم والمعلمة والممرضة والطبيبة والمهندسة، دور كبير في تجسيد حالة من التكامل مع الرجل، حيث أثبتت أنها قادرة وأنها تستطيع تأدية جميع الأدوار وتحمل المسؤوليات تجاه المجتمع في معظم المواقع.

الممثل الشرعي للمرأة الفلسطينية

على الصعيد الرسمي، فإن هناك تشريعات وقوانين جاءت نتاجًا لمؤسسات المجتمع الأهلي ومؤسسات المرأة التي عملت على مدار السنوات من خلال الفعاليات والأنشطة والمؤتمرات التي خرجت بتوصيات معظمها ينص على منح المرأة الفلسطينية المزيد من المسؤوليات، وإفساح المجال أمامها للوصول الى الشراكة الكاملة والمتساوية مع الرجل.

ويتابع أ. المصري قائلاً: "إن المستوى الذي وصلت إليه المرأة الفلسطينية في نيل حقوقها في المجتمع الفلسطيني أفضل من أوضاع المرأة العربية في الكثير من الدول الشقيقة"، ويتابع: "هناك حاجة إلى دراسة بنية مكونات النظام السياسي الفلسطيني وظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمعرفة الأسباب التي تحول دون تطبيق كل ما أعلن عنه حول حقوق المرأة، حيث يمكن أن يكون هناك بعض الحقوق التي خرجت إلى الإعلام ونشرت لكنها لم تخضع لدراسة وبحث، ولم يكن فيها نوع من الشراكة والإجماع لمعظم المؤسسات النسوية، وبخاصة الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية التي تمثل الإطار والعنوان الذي يطالب ويفاضل من أجل حقوق المرأة في النظام السياسي الفلسطيني، ويعتبر الجهة التي تمثل المرأة الفلسطينية في إطار القيادة السياسية العليا منظمة التحرير الفلسطينية".

تطبيق على الأرض

"طبقت الكثير من حقوق المرأة، حيث استطاعت المرأة الفلسطينية الوصول إلى الكثير من المواقع المتقدمة والمراكز الحساسة في النظام السياسي الفلسطيني مثل موقع وزيرة ومحافظ ورئيسة بلدية، كما كان لها حضور في عضوية المجلس التشريعي والمجالس البلدية القروية وذلك من خلال العملية الديمقراطية والانتخابات التي بينت للجمهور والشارع الفلسطيني أهمية دور المرأة في الشراكة الكاملة وفي جميع المجالات" يوضح أ. المصري.

ويضيف أ. المصري: "من الناحية الاجتماعية، هناك تقدم في حقوق المرأة باتجاه التوريث والتعليم وإشغال المناصب والعلاقات في قرارات المحاكم الشرعية التي عكست الكثير من الإنجازات في حصول المرأة من الحقوق التي تم الإعلان عنها".

وعي مجتمعي

ترى مديرة دائرة المرأة والطفل في وزارة الإعلام- مكتب نابلس ريما الوزني "أننا لا نطبق كل ما ننادي به لنصرة المرأة على الصعيد المجتمعي والعام، لأننا نُصدم بحواجز مصنوعة من العادات والتقاليد والأعراف التي تحد من ممارسة فكرة قد نقتنع بها ونعمل كل جهودنا من أجل تعميمها، لكنها تبقى تدور في دائرة النساء والجمعيات اللواتي قطعن أصلاً شوطًا كبيرًا في هذا المجال، وحققن الكثير على المستوى الشخصي، لكن على الصعيد العام، لم ترتق أدواتنا وأفكارنا لمرحلة نستطيع فيها محاصرة المجتمع وتقاليده البالية وكسرها بالحجه والمنطق، وأشعر أننا ندور في ذات الدائرة أحيانًا؛ وحتى لا أظلم كل النضالات التي تخوضها الحركة النسوية من عقود مضت، فقد حققت الكثير من التقدم للنهوض بقضايا المرأة، لكن هذا التقدم صُنف فقط تحت مسميات نضالية ووطنية، ولم يكسر حاجز القضايا الاجتماعية؛ وما زلنا نحتاج إلى وعي مجتمعي يتعاطى ويتلاءم مع التطور والتقدم نحو الأفضل فيما يتعلق بمستوى المرأة الفلسطينية.

ترجمة الأقوال إلى أفعال

يقول أ. هاني مقبول من وزارة التربية والتعليم العالي في مكتب نابلس إنه "إذا كان المرء مؤمنًا بشكل كامل بحقوق المرأة، وأنها فعلا تشكل نصف المجتمع، فعليه أن يترجم أقواله إلى أفعال في جميع مناحي الحياة، ابتداءً من زوجته وابنته، وصولاً إلى عمله؛ فهي شريكته في بناء الأسرة والمنزل، وهي زميلته في العمل التي تعينه على تحقيق الأهداف والنتائج المرجوة".

الدين وحقوق المرأة

من جانبه، يرى عضو الهيئة التدريسية في تخصص التربية الإسلامية في فرع "القدس المفتوحة" في نابلس أ. عصام بدران إن "تطبيق حقوق المرأة نسبي ويعود ذلك إلى عدة عوامل أهمها الوازع

الديني وسيادة القانون والعادات والتقاليد"؛ مقترحًا عمل وثيقة تشمل الحقوق الشرعية التي أقرها الإسلام للمرأة، لتكون مرجعًا لقضايا المرأة بشكل عام، وسن قوانين وتشريعات تضمن تطبيق هذه الحقوق في واقع الحياة، وخير مثال قول سيدنا علي رضي الله عنه إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن؛ إضافة إلى التوعية الدينية بحقوق المرأة وتقوية الوازع الديني في المجتمع، مثل الحق بالميراث. قال تعالى: "للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما قل منه أو كثر نصيبًا مفروضًا"، وأيضًا موضوع المهر، قال تعالى "وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا"؛ كما تناول العادات والتقاليد الموروثة التي تتعارض مع الحقوق الشرعية المقررة، مشيرًا إلى أنه ينبغي العمل على تعديلها بالتوعية بورشات العمل والمناهج التعليمية.

التكامل لا التنافس

تقول عضو الهيئة التدريسية في تخصص القانون في فرع نابلس أ. زيزي حسيبا إن التمييز الذي تتعرض له المرأة يمس كرامة المجتمع بصورة عامة لأنه يعكس الخلل الموجود في مفهوم الرحمة والأخلاق والإحسان، ليس تجاه المرأة فحسب، بل تجاه جميع فئات المجتمع الضعيفة.

وتضيف أ. حسيبا: "إن الرجل بظلمه للمرأة يظلم إنسانيته، كون المرأة هي الوالدة والأخت والابنة، لذا فالإساءة لها هي إساءة لنصف المجتمع"؛ مؤكدةً أنه مطلوب من المجتمع أن يدعم فكرة التكامل بين الرجل والمرأة بدلاً من التنافس، لأن الاثنين يكمل أحدهما الآخر، ولا يمكن أن تستقيم حياة أحدهما من دون الآخر".

الناحية القانونية

تؤكد أ. حسيبا أن "القوانين تحتاج إلى منظومة من الأخلاق لكي تفعل سلوك الأفراد إيجابًا نحو الالتزام بها، لا سيما أن الخلل بالإحسان للمرأة لا يكمن فقط بالقوانين، بل بالكثير من أفراد المجتمع، بمن فيهم المرأة نفسها، لأنها بسلوكها وتربيتها لأبنائها قادرة على ترسيخ الكثير من مفاهيم العدالة والإنصاف والإحسان للمرأة".

وتضيف أ. حسيبا: "ينبغي الانتباه إلى أن أوضاع المرأة في المجتمع لا تنفصل عن أوضاع المجتمع بصورة عامة، فالفقر مهين للمرأة والرجل، وترسيخ مفاهيم الإنصاف للمرأة يحتاج لمجتمع صحي تتسم سلوكياته بالإنصاف والعدالة الاجتماعية. فطرح الكثير من الحقوق المستوردة من الغرب تجاه المرأة هو حالة من العقم، لا سيما أن المرأة الفلسطينية أثبتت وجودها كشريكة فعالة للرجل في أزماته، فهي أم الشهيد والأسير، كما أن الأزمات التي عاشها مجتمعنا أثبتت تمتع المرأة الفلسطينية بصبر وصمود وتضحية لا يستطيع أحد أن يزايد عليها"، داعية إلى "دعم فكرة التكامل لا التنافس بين الرجل والمرأة، ولذلك علينا البدء بتفعيل كرامة الأفراد بصورة عامة في المجتمع، لأن الحديث عن الحريات والحقوق يجب أن يسبقه الكثير من المفاهيم الصحية التي تعالج أزمات المجتمع وأفراده بصورة عامة".

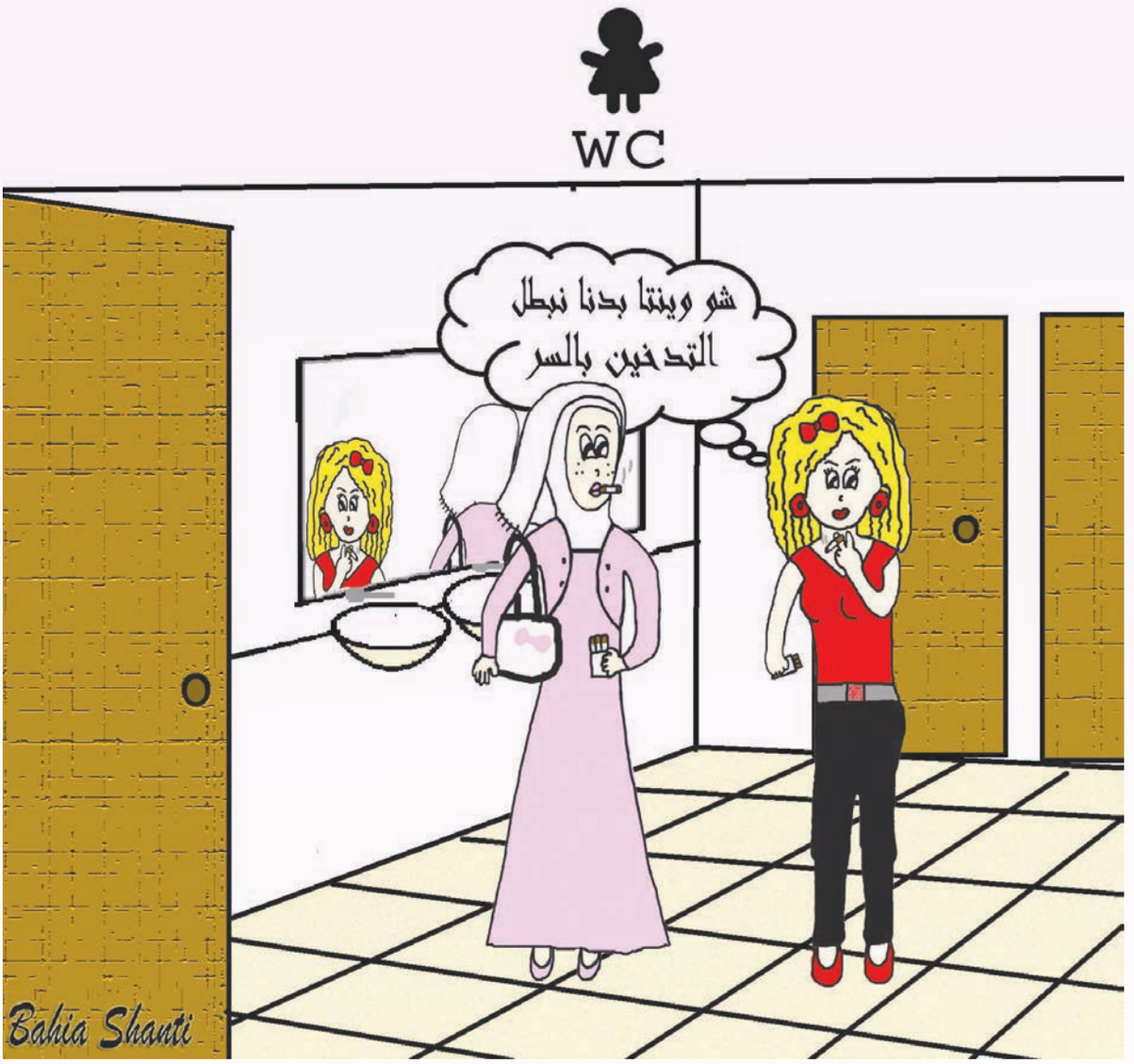

لا علاقة للأمر بمضاره الصحية والاقتصادية

تدخين الفتاة.. ممنوع بقرار مجتمعي

قلقيلية- "ينابيع"- عبيدة الأقرع- أضاءت شعلة عود الثقاب الحمراء سواد الليل، وبهدوء، سحبت نفسًا عميقًا وزفرت، فراح الدخان يتغلغل بالظلام والخوف من أن يكتشف أمرها؛ فرغم أن سيجارتها حليفة لها ضد العالم الخارجي وضغوطه، إلا أنها ممنوعة ومنبوذة إلى أن يشاء المجتمع.

هــذه الصورة جزء من مشــهد يتكرر كثيرًا فــي مجتمعنا، تحت ذرائع وأسباب عدة. "ينابيع" تحاور في هذا التقرير مدخنات في الخفاء، وأخصائيين اجتماعيين ونفسيين، للوقوف على أسباب هذا التصرف ومعرفة دوافعه وسبل التعامل معه.

تبرر الطالبة في تخصــص اللغة العربية أ. غ. من مدينة قلقيلية، تعلقها بســيجارتها قائلةً: "أدخن بســبب الضغوط النفســية التي أتعــرض لها في حياتي، فالتدخين وســيلتي للهــرب أو التفريغ؛ أنا مطلقــة، ولدي ولدان، وواجهت الكثير مــن الضغوط خلال فترة زواجي وانفصالــي وما زلت؛ وهذا دفعني لإيجاد وســيلة للتفريغ عن النفس، وجدتها في هذه السيجارة" مشيرة إلى سيجارتها.

وتتابع: "طبيعة المجتمــع الذي نعيش فيه والبيئة التي ترعرعنا فيها تفرض علينا عادات قد تكون مجحفة بحق النســاء، لذا أدخن سرًا في الجامعة، لأن مجتمعنا وبيئتنا لم تعتد رؤية امرأة تدخن في العلن؛ لقد فرضنا ذلك في بيئتنا بالتزامنا وخوفنا من معارضة المألوف".

لم يُخترع للمرأة

تقول الطالبة بتخصص الخدمة الاجتماعية أ. أ. من قلقيلية: "أدخن خفية، وأدرك أنني ســأتعرض للتوبيخ إذا علم بي والداي، لكني لا أجد في تدخيني عيبًا يتعلق بكوني امــرأة، لكن الخوف من كلام المجتمع الذكوري الذي نعيش فيه يضع تصرفي هذا في فئة (الممنوع)".

وتوضح: "ما زلت أعتمد في مصروفي الشخصي على أهلي، فأوفر منــه ثمن علبة ســجائر من غير علمهم؛ وأشــعر أن التدخين يزيد من تركيزي الذهني أثناء الدراسة".

ثورة ضد الواقع

يعد البعــض تدخين الفتيات نوعًا من التمــرد على الواقع الذي يكون في أحيان غير عادل. تتابع أ. أ.: "إن والدي يعيل أســرة من ســبع أخوات وصبي واحد، لذا، فهم يميزون بشــكل واضح بيننا وبين أخينا، ويعطونه الحق في ممارســة تصرفاته الخاصة بما فيها التدخين، لذا سأدخن وأدخن وأدخن حتى لو كان سرًا". لكن هذا لا يلغي وجود وجهة نظر منافية ترى في هذا مبررًا واهيًا يتذرع به المدخن، ســواء كان ذكرًا أو أنثى.

لماذا يختبئن خلف الستار؟

د. عماد اشــتية عميد كليــة التنمية الاجتماعية والأســرية في جامعــة القــدس المفتوحة يوضــح أن "تدخين المرأة فــي كثير من المجتمعات العربية يعد سلوكًا غير مقبول اجتماعيًا، فثقافة المجتمع لا تقرّه ولا تعترف به؛ لذا تلجأ بعض النساء المدخنات إلى ممارسة هذا الإدمان بعيدًا عن أعين المجتمع خشية من الانتقاد".

وتوافقــه الرأي الباحثة الاجتماعية نــور منصور من فرع "القدس المفتوحة" في قلقيلية، وتقول: "نسبة تقبل المرأة المدخنة في العلن تختلف حسب ثقافة كل محافظة، وانفتاحها".

وبشــكل عام، يجمع المختصون على أســباب كون تدخين المرأة بشــكل معلن محرمات لا يمكــن الخوض فيها. الأخصائي النفســي بفرع ســلفيت أ. مصطفى عقل يقول: "لأننا نعيش في مجتمع شرقي ذكوري، يســامح الرجل على ارتكاب تجاوزات، لا يغفرها للمرأة". ويعلق الأخصائي بالفرع أ. محمد أبو علبة بالقول: "يعود ذلك إلى نمط التنشئة الأســرية والمجتمعية، والعادات والتقاليد التي أعطت الرجل هامشًــا أكبر يتحرك به في المجتمع، على عكس المرأة التي تقيدت تصرفاتها وحركتها مجتمعيًا وأسريًا". ويضيف: "في المجتمعات الشرقية، ينظر إلــى تدخين الرجل على أنــه ملامح الرجولة والبلــوغ، بالتالي لا يعنف الرجل المدخن، فيبدو أمرًا طبيعيًا غير شــاذ، أما للمرأة، فينظر إليه على أنه نوع من الانحدار الأخلاقي والقيمي".

وتعتقــد الأخصائيــة النفســية بفرع نابلــس أ. إيمان اشــتية أن "المجتمــع العربي محكوم بعــادات وتقاليد وأعراف تفيــد بأن التدخين مقتصــر على الرجل، فيما تختلف النظرة في بعــض الدول العربية التي تتيح للمرأة التدخين جهرًا. أما فلسطينيًا، فينظر المجتمع للمرأة المدخنة بأنها سيدة منفتحة وجريئة وسلوكها غير مقبول، وأنها تمارس التدخين كمفهــوم خاطئ للتحرر والمدنية وكمظهر قوة واســتقلالية شــخصية، وأنها كائن ضعيف لا يحتمل الأضرار المصاحبة للتدخين".

وتشاركها الرأي الأخصائية علا النوري، موضحة أن المرأة العربية "تمارس العديد من الســلوكيات بالخفاء، بسبب الثقافة السائدة التي تحد مــن حريتها، وقد تنبع هذه الحمايــة المفرطة من نظرة المجتمع العربي للنساء، فهو في كثير من الأحيان يقدس المرأة ويعتبرها ذات مكانة اجتماعية راقية، لذا يحتم عليها ســقفًا عاليًا من التوقعات عند ظهورها أمام الناس".

خلل اقتصادي

وهناك نقاط اختلاف جوهريــة عندما نتحدث عن تدخين المرأة والرجل. يــرى مدير فرع "القدس المفتوحة" في قلقيلية د. يحيى ندى أن "للتدخيــن أضرارًا كبيــرة على الأبناء في فتــرات الحمل والرضاعة، وهو أمر تؤكده الدراســات الطبية والعلمية، كما ينظر للمرأة على أنها عماد الاقتصاد في البيت، وأي خلل اقتصادي غالبًا يعزى إليها، وبما أن التدخين بحد ذاته يعد خللاً اقتصاديًا، فعلى المرأة أن تحاول تجنيب الرجل التدخين من أجل تقليل خسائره المادية؛ وغالبًا ما يكون المؤنّب للمرأة بســبب التدخين هو المرأة نفســها، وبخاصة تلك التي تقع في موقع المســؤولية الأســرية، بدعوى الحرص على الأسرة أو الأبناء، وهذا يدلل على خطر يصيب الأسرة جراء التدخين.

أ. إيمان اشــتية تنوّه إلى أن "المجتمع العربي يرى المرأة المدخنة مثيرة للشــهوات، ما يدفعه إلى رفض تدخينها بشكل علني"، من هنا تنبع فكرة المدخنة الجريئة ذات الخلق الشاذ.

المدخنات في الغرب

ويصف د. عماد اشتية وضع المدخنات في الدول الغربية، موضحًا أن "الثقافات ومنظومة القيم تختلف من مجتمع لآخر ولو جزئيًا، فالمرأة في المجتمعات الغربية لديها هامش من الحرية تستطيع من خلاله القيام ببعض الممارسات كالتدخين علنًا، لأن مثل هذا السلوك ليس مرفوضًا، وبالتالي لا تحتاج النساء إلى إخفائه، ولا يجدن حرجًا في ممارسته بالعلن".

ويضيف د. ندى: "يعد التدخين في الغرب أمرًا طبيعيًا، وهو من مظاهر الحرية، فلكل إنسان في الدول الغربية القدرة على ممارسة السلوك الذي يريد دون ضوابط ولا مرجعية، حيث يستقل الإنسان سواء ذكرًا أم أنثى بمفرده، ويكون مسؤولاً عن نفسه، وهذا ينطبق على التدخين".

ويوافقه أ. عقل قائلاً: "المجتمعات الغربية تنظر بطريقة مختلفة لموضوع تدخين المرأة، فيعد حرية شخصية فردية، لكنها لا تميز بين الرجل والمرأة من باب مضاره الصحية".

نصائح وإرشادات

يشير د. عماد إشتية إلى أنه يحكم على سلوك أفراد المجتمع بناءً على منظومة القيم والثقافة السائدة في المجتمع، لذا يتحتم على أفراد المجتمع من الجنسين الابتعاد عن أي سلوك لا يقره المجتمع حتى نظل مقبولين اجتماعيًا ومنسجمين في محيطنا الاجتماعي.

وتوجهت الباحثة نور منصور إلى النساء المدخنات غير الراغبات في الإقلاع عن هذه العادة، قائلة: "لقد خلقت رقيقة وشفافة فحافظي على صحتك، وإذا تهاونت فيها، فلا تتهاوني في صحة أولادك".

ودعت الأخصائية إيمان اشتية إلى تنفيذ حملات توعية في المجتمع تبين أضرار التدخين. فيما اقترح الأخصائي محمد أبو علبة الاهتمام بتوعية المرأة بضرر التدخين على صحتها وبخاصة خلال فترة الحمل، وتشجيع الأزواج على الإقلاع عن التدخين كونه سلوكًا إدمانيًا قد يقتدي به الأولاد.

كما يرى د. ندى أن التخلص من التدخين يحفظ هدر الأموال، مشددًا أن على الأسرة أن تبدأ بالذكور والإناث معًا من حيث النصيحة والردع والتعنيف، لكي تكون النتائج إيجابية بإبعادهم عن الإدمان على الدخان.

ويوافقه الرأي الأخصائي مصطفى عقل، منوهًا إلى أنه علينا عدم الاستهجان عند رؤية المرأة المدخنة والنظر إليها نظرة سلبية، وعلى المجتمع والإعلام وباقي المؤسسات إعطاء أولوية للموضوع، وألا يكون التنويه مقتصرًا على الفتاة فقط، بل على الرجال أيضًا.

وترى الأخصائية علا النوري أن علينا تنظيم ندوات هادفة لتمكين المرأة من ناحية اجتماعية، وزيادة ثقتها بنفسها، للحصول على قناعة أن التدخين لا يحقق الذات.

أيتها الأم الحامل:

تحدثي إلى الجنين، غني له إن شئت..

ولا تبالي بأحد

أ. ردينة يونس
فرع جنين

يؤكــد أحــد الأطباء أنه لكي يكون أطفالنا يقظين ونشــطين وأقوياء، يجب أن نتحــدث إليهم قبل ولادتهم. والطبيب الهولندي فليدمان يوافق على هذا، ومن بعده الطبيب النفســي الفرنســي الدكتور برنار تهيس، الذي يمتدح مزايا الاتصال بالجنين قبل الولادة، فالأب والأم يســتطيعان الاتصال بطفلهما قبل ولادته بواسطة الحركة وبواسطة الصوت خاصة، وهذا ما أكده باختصار الدكتور تهيس في مؤتمر دولي نظم في باريس. الهدف من ذلك هــو الحصول على أطفال يقظين منذ نعومة أظفارهم وأكثر تحملاً للمــرض والتعب. صحيح أن هذه النظريات لم تثبت صحتها علميًا بشــكل نهائي حاســم، غير أن العديد من الأطباء يعترفون أنها أغرتهم حقًا، لا سيما أن هذه المحاولات للاتصال بالجنين لا تعرض طفل المســتقبل لأي خطر، بل بالعكــس تمامًا، يمكنها أن تخدمه وتحميه، فضلاً عن أنها بالنسبة للوالدين بمثابة تدريب ممتاز على واجباتهم الأبوية.

وفي كتاب "سيكولوجية الأمومة ومسؤولية الحمل" من تأليف عدنان السبيعي، يرى (تهيس) أن الجنين سريع التأثر ببعض العوامل الخاصة بالحواس (اللمسية أولاً، ثم السمعية) التي ترد إليه من العالم خارج بطن أمه.

فوائد الاتصال بالطفل

سيدتي، نذكر لك الفوائد التي تجنينها باتصالك بطفلك حينما يكون في بطنك:

أولاً: إنك تبعثين الطمأنينة في نفسه وتنمين الرفاهية التي ستغمره، ذلك أنه بعد ولادة طفلك تزداد رغبته، من جراء ذلك، في الاتصال بالعالم الذي يحيط به.

ثانيًا: إنك تعملين على تقوية نموه الحركي بإثارتك له، كما تعملين على تفتح عقله وإدراكه، وتدل بعض الملاحظات على أن بعض المواليد الجدد الذين استفادوا من استخدام "الترويض" في بطون أمهاتهم يتمتعون بحيوية أعلى من المتوسط، وبخاصة عند مستوى العمود الفقري، فهم قادرون على البقاء جالسين منذ ولادتهم.

ثالثًا: تتوافر لطفلك شروط التنفس بشكل أفضل.

آثار الاتصال على الوالدين

باتصالكما المبكر "المسبق" بولدكما، وبإعطائكما شكلاً للتعبير عن حبكما، تُحدِثان عنده الشروط اللازمة التي تساعدكم "فيما بعد" أنتم الثلاثة على عقد صلات عاطفية أوسع وأعمق، وبعد أن تكونا قد ألِفتُماه، سوف تعلمان كيف تتصرفان معه، وتجدان متعة في إحاطته برعايتكما، هذه المتعة سوف تحس بها الأم بالتأكيد في فترة "الحمل"، كما يحس بها الوالد أيضًا، لا تكون هذه الفترة بالنسبة للأم، مجالاً للكبت والحرمان، بل هي تعتبر فرصة مناسبة للتعرف بلطف إلى طفلها، أما الأب، فليس مستبعدًا، بل هو يجد في هذه الطريقة دورًا يقوم به، وهو دور فريد في نوعه، ذلك أن الجنين وهو "داخل الرحم" يميز الصوت تمامًا، وقد ثبت أنه يعرف صوت أبيه.

ويعود هذا الحمل "الذي يشترك فيه الزوجان" بالخير عليهما وعلى الجنين معًا، إذ هو ينطوي على الشروط اللازمة لاستقبال يسوده التآلف والانسجام.

لاعبي طفلك كما لو كان مولودًا

بالأمس كانت المرأة الحامل تكتفي بصورة سلبية، بوضع يدها على بطنها ريثما "يتحرك الجنين". أما اليوم فنحن نعلم، كما يؤكد ذلك الدكتور تهيس، أن بوسعها أن تثير وتنبه النشاط الحركي لطفلها. تُرى كيف يتم ذلك؟ أولاً يتوجب عليك أيتها الأم أن تتمددي وأن تسترخي تمامًا بقصد العمل على إسقاط "الجدار العضلي" الذي يشكل حاجزًا بينك وبين طفلك. وبعد أن يصبح بطنك أكثر ليونة واسترخاءً، تستطيعين أن تبدأي "التسلية" مع طفلك. خذي بطنك بين يديك بصورة محكمة، وحافظي عليه على هذا النحو حتى يتكوّن لديك إحساس بضغط خفيف ثم اضغطي بإصبعك قليلا، وبعد ذلك توقفي عن الضغط بهدوء، فالطفل سوف يتحرك، وسوف "يجيبك" إذا صح التعبير.

متى يمكنك البدء بهذه التسلية؟ في وسعك أن تفعلي ذلك حالما تحسين بأولى حركاته، ويكون ذلك إجمالاً بين الشهرين الثالث والرابع، لاعبيه كل يوم، وفي الساعة ذاتها إن أمكن. ويفضل أن يتم ذلك في نهاية النهار، بدلاً من أن يتم في ساعة متأخرة من الليل. وتستطيعين الاستمرار في هذه التسلية ما دمت تجدين متعة فيها أنت والجنين، على ألا تبالغي في ذلك. فيجدر بك أن تكتفي بجواب واحد أو بجوابين من الجنين في البداية. واعلمي أنه إذا كانت هذه لا تروق له، فإنه سيعلمك بعدم موافقته، فيضرب حينذاك بطنك برجليه ضربًا عنيفًا. في الفترة الأولى، يكتفي بالاستجابة لطلبك، ولكنه على مر الأسابيع سوف يأتي لملاقاة يديك ليطالب "بتسليته"، وفي الشهر السادس أو السابع، يصبح في وسعك أن تميزي أشكاله، بل في مقدورك أن "تذهبي معه في نزهة" في بطنك، وأن تلاطفيه.

وفي الشهر الثامن، يمكنك أن تتبيني رأسه وظهره وأن تحسي بأنه "يشد عضلاته ناحية الظهر" لدى ملامسة يدك. وخارج هذه التسلية التي تدوم عادة حوالي ربع ساعة، تستطيعين على هذا النحو أن تهدئيه حينما يبدأ بضرب بطنك برجليه لسبب من الأسباب، وذلك في أي وقت من النهار أو الليل.

كلميه ولا تخشي سخرية أحد

طبعا ستشعرين بالميل إلى التحدث معه أثناء "رياضته البدنية" اليومية. واعلمي أنه لن يسمع شيئًا قبل الشهرين السابع أو الثامن، ويستطيع أن يميز الأصوات الخفيضة من الأصوات المرتفعة، فيكون صوت الأب بالنسبة له أفضل من صوت الأم.

ينصح الدكتور تهيس بالتجربة التالية:

1. أسمِعُوا الجنين بانتظام ابتداء من الشهر الثامن مقطوعة موسيقية خفيضة توضع قريبًا جدًا من بطن أمه، وإذا بالطفل يستجيب لهذه المقطوعة الموسيقية بقيامه ببعض الحركات. ولكنه بعد الولادة ما إن يُسمَّع هذه المقطوعة حتى يتوقف عن الصراخ وتعلو الابتسامة شفتيه، ذلك أن هذه المقطوعة تذكره بالطمأنينة التي كانت تغمره وهو داخل الرحم، فتبعث البهجة والسرور في نفسه.
2. في مقابل ذلك، فإن تسجيلاً لصوت الأب أعطى الأثر نفسه الذي أحدثته الموسيقى الخفيضة، فما عليكم إلا التحدث مع طفلكم، استخدموا الكلمات نفسها التي تتألف من مقاطع ذات رنين خفيض، وأسمعوه مقطوعة موسيقية تختارونها له تكون لها نوعية صوتية مماثلة، فيضرب الجنين البطن برجليه، وأخيرًا غنوا له أغنية لتنويم الأطفال لتحصلوا على ما تبتغون. وهكذا فإنكم تبعثون الطمأنينة في نفسه وهو داخل الرحم، وتشنفون أذنيه في أوقات رقاده. ويستحسن تنويع النغمات خوفًا من الملل، وحينما يحين دور الأم في الغناء، يجب أن تحرص على تقديم الأغنية نفسها التي كانت تسمعه إياها وهو داخل بطنها، فإذا بالمولود الجديد يخلد إلى الهدوء والسكينة. ومن المستحسن أن يؤدي الأب هذه الأغنية بصوته الخفيض لأن الطفل يفضلها على غيرها ويرتاح لسماعها فيستغرق في نوم عميق.

التقليد سياسة إسرائيلية هدفها تهويد الأرض والهوية

إنـهـم يسـرقـون تـراثـنـا!

الخليل- "ينابيع"- آية السيد أحمد- عندما يصعد المسافر إلى طائرة شركة "العال" الإسرائيلية، يظـن أنـه أخطأ العنوان ظانًا أنـه صعد إلى طائرة فلسـطينية. فها هي مضيفة الطيـران ترتدي ثوبًا فلسـطينيًا مطرزًا كانت ترتاده الجدات قبل سـنوات خلت. هذا المشـهد لم يكن سـوى واحد من عدة ممارسـات إسرائيلية يلجأ فيها الاحتلال إلى تقليد شـعب يرزح تحت سيطرته في محاولة منه لطمس الهوية وسلب التراث.

تراث يتعرض للتزييف

من خلال تراثهم، تتعمق صلة الفلسطينيين بأرضهم ووطنهم، ويتعزز صمودهم وبقاؤهم، غير أن هذا التراث بمجالاته المختلفة يتعرض للتزييف والاعتداء والإهمال بفعل كثير من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهو هدف رئيسي لمحاولات الطمس والإيذاء والتعتيم والمسح. يقول الدكتور نعمان عمرو مدير فرع الخليل أستاذ التاريخ وصاحب العديد من الأبحاث في مجال حماية التراث الفلسطيني: "الاحتلال يهدف إلى بناء هوية إسرائيلية للتراث من خلال إضافة مسحة على التراث الفلسطيني، في محاولة لتدميره ومسح عروبته من خلال إضعاف الصلة بين الشعب الفلسطيني وأرضه، وخلق هوية إسرائيلية قادرة على صهر الجماعات اليهودية المتنافرة في مجتمع موحد"، مشيرًا إلى أن إسرائيل لتحقيق هذا الهدف تحتاج إلى السطو على تاريخ الفلسطينيين وتراثهم ونسبته إليها.

ويتعرض التراث المادي بشكل مستمر لأشكال مختلفة من الممارسات التي تستهدف ضياعه وتشتيته، وحول ذلك يقول د. عمرو: "تعرضت مئات القرى الفلسطينية للهدم والتدمير عامي 1948 و1967، حيث دُمر أكثر من (470) موقعًا كي لا تبقى شاهدًا على الوجود الفلسطيني في هذه الأرض، كما بعثت إسرائيل الأسماء التوراتية وأطلقتها على المواقع الفلسطينية مثل: (سهل يزراعيل بدل مرج ابن عامر، ونهر اليركون بدل نهر العوجا، ونهر قيشون بدلاً من نهر المقطع، و"كدوميم" بدلاً من كفر قدوم)، كما تعرضت كثير من المواقع الفلسطينية إلى التزوير والتضليل مثل الادعاءات حول مقام يوسف ومسجد بلال بن رباح وغيرها، فضلاً عن الاعتداء على المقدسات الإسلامية والمسيحية كالأقصى وكنيسة المهد، فضلاً عن أن إسرائيل تسيطر على الأوقاف، سعيًا إلى تفريغها من مضمونها وإزالة كل الرموز والمؤسسات الإسلامية".

سرقة عادات وتقاليد

أما في مجال التراث غير المادي، فقد سرق الاحتلال عادات وتقاليد فلسطينية وعمل على تقليدها ونسبتها إليه، حيث يقول المهندس وليد أبو الحلاوة مدير العلاقات العامة في لجنة إعمار البلدة القديمة في الخليل: "بات التقليد والسرقة من التراث الفلسطيني نهجًا وسياسة إسرائيلية تهدف إلى تهويد الأرض والهوية، حيث اقتبست من عاداتنا وتقاليدنا الاجتماعية تقاليد وعادات لهم، فمثلاً، كانت هناك عادة فلسطينية هي زفة العروس من بيت والدها إلى الحرم ثم إلى بيت عريسها، أما في الوقت الحاضر، فإن اليهود هم الذين يمارسون هذه المراسم الشعبية، وكذلك الحال في الجنائز، حيث اعتاد الناس قديمًا أن تقام الصلاة على الميت في الحرم الإبراهيمي الشريف ويشيع الجثمان إلى مقبرة المسلمين في البلدة القديمة، غير أنه الآن، وبفعل الأوضاع السياسية والإجراءات السياسية، فإن الناس يشيعون جثامين الموتى من أي مسجد، أما اليهود حاليًا، فيشيعون الميت من باب الحرم، حيث تقف سيارة الموتى على باب الحرم وتتجه بعدها إلى مقبرة اليهود، مدعين أن تلك طقوس دفنهم لموتاهم".

التراث تسجيل لتاريخ الشعوب

ويشكل التراث بكافة أشكاله وأنواعه تاريخ الأمم والشعوب، فهو تسجيل وتوثيق للعادات والتقاليد والموروث المادي وغير المادي، أما تراثنا الفلسطيني، فله دور بارز في حماية الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني بكل مكوناتها. ويتذكر محمود جبارين مدير عام الإدارة العامة للتنقيب والتقنيات والمتاحف في وزارة السياحة كلمات للشهيد الراحل ياسر عرفات في تقديمه للعدد الخاص الذي أصدرته وزارة السياحة والآثار بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو" حول آثار فلسطين: "إن الشعوب مهما قسا عليها الدهر وامتد بها السير نحو الحرية والكرامة، لا تشعر بوجودها إلا إذا أيقنت أنها وريثة تاريخ يبوئها مكانة مرموقة بين الأمم، ويبرز استمرارية هويتها واستمرار كينونتها".

وتتلخص أهمية حماية التراث لما له من تأثيرات اقتصادية واجتماعية وثقافية في الحياة العامة للأمم والشعوب. وتزداد أسباب هذه الأهمية للشعب الفلسطيني الذي ما زال يبحث عن الحرية وحقه في تقرير مصيره لا بل حقه في الوجود على أرضه، فيقول أ. محمود جبرين: "إن التراث ذاكرة الأمة المادية والمرئية لماضيها وتاريخها ومدى مساهمتها في الحضارة الإنسانية، والمكون الأساسي للهوية الثقافية والحضارية للأمة، وهي الدليل والشاهد على الوجود الفعلي والتاريخي للشعب الفلسطيني على مر العصور والأزمان على أرض فلسطين المقدسة وكل ما هو موجود عليها ينتسب إليها، ويُعد ثروة قومية مهمة في عماد السياحة التي تمثل أهم مصادر التنمية المستدامة".

دعوة إلى اتخاذ خطوات وطنية جادة

ولأن التراث الفلسطيني أحد المكونات الرئيسية للهوية الوطنية الفلسطينية ومورد مهم للتنمية المستقبلية، فلا بد من اتخاذ خطوات

وطنية جدية للحفاظ على هذا التراث، حيث يقول الدكتور نعمان عمرو: "بعد أن تعرضنا لسنوات طويلة للتشريد ومحاولة إلغاء الهوية، غير أنه لم يتم توثيق التراث الفلسطيني المادي وغير المادي، ولا يتم توثيق ما يدمره الاستيطان، ولا يتم ترميم وتوظيف المباني الأثرية للحفاظ عليها وتأهيلها لخدمة المجتمع". ويتساءل: "لماذا توقفنا عن إعداد كوادر متخصصة بما يخدم التراث الحضاري، وعن العمل على تأسيس أرشيف وطني موحد للتراث الشعبي الفلسطيني، وتوفير الإمكانيات الفنية والعلمية والمالية له للقيام بمسح ميداني شامل لكافة أنواع التراث الفلسطيني؟".

ويقول أ. محمود جبارين إنه يجب تضافر الجهود الرسمية (مدنية وأمنية) ومؤسسات المجتمع المحلي والأهلي الدولي والمواطنين لتوفير الحماية للموروث الثقافي والطبيعي والحفاظ عليه وتنميته وتطويره ورفع مستوى الوعي القانوني بأهميته بما يخدم هذه الأهداف وصولاً إلى مجتمع يحترم تاريخه وماضيه ويستنير به لفهم حاضره وتطويره لمساعدته في التخطيط السليم والواعي لمستقبله ومستقبل أبنائه وأحفاده.

وحول سبل حماية التراث، أضاف أ. محمود جبارين: "يجب توعية المجتمع المحلي بأهمية التراث الثقافي وخاصة طلاب المدارس والجامعات، وتوفير كوادر بشرية مؤهلة متخصصة في التوثيق والتسجيل والمسح والتنقيب الأثري وأساليب العمل الأثري وتطوير الكوادر البشرية العاملة وتجهيزها بالاحتياجات اللوجستية اللازمة للعمل"، مؤكدًا ضرورة توثيق وتسجيل وحصر التراث الثقافي والحضاري في أرجاء الوطن وتأهيل إدارة المواقع وتطويرها، لا سيما التي تمتلك مقومات التأهيل كمواقع جذب سياحي، وتأسيس المتاحف وتطوير الموجود منها.

وكخطوة نحو حماية التراث الفلسطيني، فقد بذلت العديد من المؤسسات الأهلية جهودًا كبيرة لتسجيل المدن والممتلكات الأثرية على قائمة التراث العالمي التابعة لليونسكو، حيث سُجلت كنيسة المهد على قائمة التراث العالمي، ويتم حاليًا العمل على تجهيز طلب بلدية الخليل في تسجيل البلدة القديمة في الخليل على قائمة التراث العالمي كذلك.

يقول أ. علاء شاهين من قسم تخطيط المدن في بلدية الخليل: "إن بلدية الخليل وعددًا من المؤسسات الأكاديمية والخبراء في العمارة والتاريخ والمدن، يعدون طلبًا كاملاً سيقدم إلى اليونسكو لتسجيل البلدة القديمة على قائمة التراث العالمي".

ويضيف شاهين أن تسجيل الممتلكات الأثرية بقائمة التراث الدولي له بعد سياسي، حيث تُعد هذه المدن والممتلكات إرثًا دوليًا وبعدًا تاريخيًا يحمي الممتلكات الفلسطينية من عبث وتدمير الاحتلال، أما فيما يتعلق بمدينة القدس، فيقول د. نعمان عمرو: "بناء على طلب الحكومة الأردنية عام 1981، اتخذت لجنة التراث العالمي قرارًا بإدراج القدس ضمن قائمة التراث العالمي".

وأخيرًا، يمكننا القول إن توثيق موروثاتنا المادية والشعبية والفنية وتدوينها في سجلات تابعة للدولة يُعد أمرًا واجبًا، لأن حفاظنا على تراثنا أقوى أسباب وجودنا وبقائنا على أرضنا، وإن سرقوا ونهبوا، ستبقى جذور أصحاب هذه الديار ممتدة في أعماقها كجذور شجر الزيتون.

مَنْ لا يعلم أنه لا يعلم

أ. حسام عبد المعطي الطباخي
جامعة القدس المفتوحة/ الخليل

لله في خلقه شــؤون، وله في هذا الكون مشيئة، يقف أمامها المتأمل طويلاً، يحار أحيانًا، ويســكن أخرى، يحزن تارة، وينشــرح أخرى، يصدم هنا، ويرق شــعوره هناك، حياة كالبحر المضطرب، فيها كل عناصر البشرية، من قوة وضعف، كمال ونقص، فقر وغنى، علم وجهل، فطنة وحمق، صحة وسقم، تفاؤل وتشاؤم وتشــاؤل، ثنائيات لا تبرحنا، لتصنع لنا حياة عجيبة، عجيب ما فيها.

الأعجــب أن يتخلى أفضل مخلوق على هذه البســيطة أحيانًا عن ســجية الفطرة، وأن يتمرد على صفاء الســريرة، وأن يشــاكس سلامة الضمير، وهنا تبدأ المعركة الحقيقية، وتشتد ضراوة المدافعة، فتطفو المتناقضات والمتداخلات والمتقاطعات، في قوس مختل التناســق، متأرجح التوازن.

قديمًا قالوا: الناس أربعة: رجل يعلم، ويعلم أنه يعلم، فذاك عالم فتعلموا منه؛ ورجل يعلم، ولا يعلم أنه يعلم، فذاك نائم فنبهوه؛ ورجل لا يعلــم، ويعلــم أنه لا يعلم، فذاك جاهل فعلمــوه؛ ورجل لا يعلم، ولا يعلم أنه لا يعلم، فذاك أحمق فاجتنبوه.

ألوان منطقية في التقسيم البشــري، ومقبولة نسبيًا لدى العقل الإنســاني، لكن المدهش والمقلق والمحرك لكثير من الخيال، المصور للحيــرة والتأمل، الصنف الرابع ذاك، ويثيــر هذا الصنف عند المتدبر،

شاعرية الشعراء، حيث قال أحدهم:

لكل داءٍ دواءٌ يستطب به *** إلا الحماقة أعيت من يداويها

فالحماقــة -جلَّ القدر، وحُفظ الخلق- داهية من الدواهي. وللحمق عند العــرب معانٍ، ومــن ذاك أن الحماقة مأخوذة من حمقت الســوق إذا كســدت؛ فكأن الأحمق كاســد العقل والرأي، فلا يُشاوَر، ولا يلتفت إليه في أمر حرب، وســميت البقلة الحمقاء؛ لأنها تنبت في سبيل الماء وطريق الإبل، وسمي الرجل أحمق؛ لأنه لا يُميز كلامه من رعونته.

وأنعِــم بقول أبي حاتم بن حيــان الحافظ، في علامات الحمق، من ذلك قال: ســرعة الجواب، وترك التثبت، والإفــراط في الضحك، وكثرة الالتفات، والوقيعة في الأخيار، والاختلاط بالأشرار، والأحمق إن أعرضت عنه أعتم، وإن أقبلت عليه اغتر، وإن حلِمْت عنه جهل عليك، وإن جهلت عليه حلم عليك، وإن أحســنت إليه أســاء إليك، وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإذا ظلمتَه أُنصفت منه، ويظلمك إذا أنصفته، فمن ابتلي بصحبة الأحمق؛ فليكثر من حمد الله على ما وهب له، ما حرَمَهُ ذاك.

وقال أحدهم: يعرف الأحمق بست خصال: الغضب من غير شيء، والإعطاء في غير حق، والكلام من غير منفعة، والثقة بكل أحد، وإفشــاء السر، وألا يفرق بين عدوّه وصديقه، ويتكلم ما يخطر على قلبه، ويتوهم أنه أعقل الناس.

ومما قيل: لسان العاقل بعد فكره، ولسان الأحمق قبل فكره.

وللحمق عنــد الأعراب مضــاربُ للأمثال، فقالوا في الأشــخاص: أحمق من هبنقة (وهو هبنقةُ القيْســيّ)، رجل كان يضرب به المثل في الحمق، وأحمق من حذنة (الرجل صغيرُ الأذنين، خفيفُ الرأس) لاعتقاد بعضهــم، أن ذلك من علامات الحمق الجســدية. وقالوا في الحيوانات أحمق من الضبُع، وأحمق من أم عامر (الضبُع)، وأحمق من نعجة، وأحمق من ذئبة، وقالوا في الطيور أحمق من حمامة، وأحمق من نعامة، وأحمق من رَخمة (نوع من الطيور)، وأحمق من عقعَق (نوع من الغربان)، وأحمق مــن كَــرَوان، كل ذلك لأفعال وقعــت على غير هدى، أو ســلوك مثير للاستغراب والتناقض واللامعقولية.

وللعربية جمال آخر، فقد وَسِــعت للأحمق مسميات تثير وتثري، منها: الأحمق، الرقيع، المائــق، الأزْبق، الهلباجة، الخطِل، الخرِف، المَلِغ، الماج، المســلوس، المأفون، المأفوك، الأعفك، الفقاقــة، الهَجَأَة، الإلق، الخَوْعَم، الألفت، الرَّطِئ، الباحر، الهجرع، المِجْعُ، الأنوَك، الهبنك، الهبنق، الأهوج، الأخرق، الداعِــك، الهداك، الهَبنْقع، المَدْله، الذَّهول، الجُعبُس، الأوْزه، الهُوف، المُعْضِل، الفدْم، الهَتور، عياياء، طباقاء.

ولطيف ما قيل: لو لم يكن من فضيلة الأحمق إلا كثرة أسمائه، لكفى.

وأخبــار الحمقى والمغفليــن، لا تكاد تنقطع لا فــي الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المســتقبل، فأخبارهم قديمًا من مثل كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين" لابن الجوزي. أما أحوالهم في حاضرنا، فقد أزكمت الأنوف، وأعلت الأسماع، وكلت الأبصار.

قال الحسن البصري: صلة العاقل إقامة دين الله، وهجران الأحمق قربة إلى الله، وإكرام المؤمــن خدمة لله وتواضع له، وكان يقال: إذا تم العقل نقص الكلام، وهذا يتسق مع قول أحدهم:

وليس عتابُ المرء للمرء نافعا *** إذا لم يكن للمرء عقلٌ يعاتبه

قال الأوزاعي: قيل لعيسى عليه السلام: يا روحَ الله، أنت تبرئ الأكمهَ، والأبرصَ، وتحيي الموتى بإذن الله. فما دواء الأحمق؟ قال: ذلك أعياني.

وقال زيد بن أســلم: قال لقمان لابنه: يا بني، لأن يضربك الحليم، خير من أن يداهنك الأحمق.

ســمع الأحنف رجلاً يقول: ما أبالي أمدحــت أم هجيت، فقال له: استرحتَ من حيث تعب الكرام، وقالت العرب: استراح من لا عقل له.

ومن غريب المفارقات، أن يكون التحامق مطلبًا أخلاقيًا في بعض المواقف، أو علاجًا لبعض الأخلال الخلقية، فمن تمام الحكمة والتعقل والتفطن، إتقــان فن التحامق أحيانًا، وهو فــن صعب المراس، يحتاج إلى دُربة ورياضة خلاقة، فالمجادل يناســبه الصمت، والمتكبر يناسبه التواضع، والغضبان يناســبه الهدوء، وبذيء اللســان يناسبه التظاهر ببعد الفكرة، والشــتَّام دواؤه عدم الالتفات، والطمــعُ علاجه التعمية، والتوريــة جماع ذلــك كله، فالتحامــق في بعض المواقــع، منجاة من الزلل والخلل، وترفع عن السفاســف، وتنزه عن الهوابط، ولله در الإمام الشافعي رضي الله عنه لقوله:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلا تُجِبْهُ *** فَخَيرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُكُوتُ

فَإِنْ كَلَّمْتَهُ فرَّجْتَ عَنْهُ *** وَإِنْ خَلَّيتَهُ كَمَداً يَمُوتُ

ولقوله:

فالصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ *** أَيْضًا وَفِيهِ لِصَوْنِ الْعِرْضِ إِصْلاحُ

فقد أجاد وأبدع، فهو صاحب حكمة رقيقة، وتجربة مع الخلق دقيقة.

ومن قال:

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم *** ولا تلقهم بالعقل إذا كنت ذا عقل

فإني رأيتُ المرءَ يشقى بعقله *** كما كان دون اليوم يسعدُ بالعقل

فالخســيس من الرجال، خفيف العقل، فــي تصرفه رعونة، وفي لســانه أذى وفحش، صغيــر النفس، مغرور، متكبر، يشــعر بالعظمة، واســع البطن (أي الشــهوات)؛ فمن تمام التعقل في بعض الأحايين مداراته، والتصرف معه بلامبالاة، وأناة.

وعجيــب قول عميد الأدب العربي، طه حســين، فــي كتابه "جنة الشوك"، حين قال: "سلِ الله يا بُني، أن يعصمك من صغر النفس الذي تضخم له الأجسام، ومن ضيق العقل الذي تتسع له البطون..."

عافانا الله من كل نقص، "فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين".

التوتر في الامتحانات.. تشخيص وتدخل

أ. د. يوسف ذياب عواد
أستاذ الصحة النفسية - مدير فرع نابلس

تواجــه العملية التعليمية- التعلمية في مختلف مراحلها بعض المشــكلات التي تعيق أداء رسالتها وتحقيق أهدافها على الوجه الأكمل، ومن هذه المشكلات الاضطراب والقلق الذي يصيب الطلبة أثناء تقديم امتحاناتهم، وقد حظيت هذه الظاهرة باهتمام المربيــن والآباء والباحثين على حد ســواء، لما لها من آثار ســلبية خطيرة على المجتمع تتمثل في إهدار الطاقات المادية والمعنوية.

ويلاحظ مع نهاية كل فصل دراسي دخول المجتمع موسمًا أقل ما يمكن أن يطلق عليه أنه موسم مقلق تتغير فيه الأحوال، وتنقلب برامج الأسرة، وتشد أعصاب الناس. ويرى بعض التربويين أن الامتحانات في أغلب دول العالم لا تشكل إزعاجًا إلا في مجتمعنا العربي، نتيجة خلفيات كثيرة وأسباب تداخلت بين الأنظمة التعليمية وأنظمة الاختبارات نفسها، وبين أسلوب ممارسة الحياة وثقافة التسويف والتأجيل.

ويستطيع كل من مارس مهنة التعليم أن يقرّ بوجود مشكلة قلق الامتحان في كل فصل دراسي، حيث توجد مجموعة من الممتحنين الذين يصعب عليهم إجراء امتحاناتهم دونما توتر أو اضطراب، بل من الملاحظ أيضًا أن يمتد توترهم ليؤثر في إجابات الآخرين.

ويظهر كثير من الطلبة أنماطًا من السلوك غير التكيفي الذي يؤثر على تحصيلهم العلمي، ولا يعد هذا السلوك مشكلة بحد ذاته إذا قام به الطالب بشكل نادر وبسيط، لكنه يعد مشكلة إذا كان يمارس بدرجة شديدة وبأسلوب يتسم بالاستمرارية.

يدرك الأفراد الذين يعانون من درجة عالية من الاضطراب والقلق في الامتحان أنها مهددة لشخصياتهم، ما يولد لديهم التوتر والخوف، ويجعلهم في حالة من الإثارة الانفعالية، كما أن استقلالهم الذاتي يصبح في حالة سلبية جراء خبراتهم المؤلمة، ولهذا يتشتت انتباههم وتركيزهم في أثناء الامتحانات، كما ينعكس إحساسهم هذا ويولد لديهم ضعفًا عامًا أو شعورًا بعدم الكفاءة والعجز.

منذ وجدت الامتحانات ولها سطوتها النفسية، وقد كثرت التفسيرات في هذا الشأن بين خبراء التعليم وعلماء الاجتماع والنفس، لكن المؤكد بين كل هذه الظروف والتداخلات أن أنظمة التعليم الرئيسة كانت بطيئة التغيير والمواءمة مع التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تفرض حتمًا في كل أمة تغيرًا في الأنظمة والقوانين، وإلا ستبقى الامتحانات الشبح المسيطر على ذهنية أطراف العملية التعليمية جميعًا.

ومما لا شك فيه أن التحصيل الدراسي يتأثر بما يعانيه الطالب من توتر واضطراب في حياته وبجملة من الأسباب التربوية المؤثرة سلبًا في تحصيل الطلاب، ومنها: سوء التوافق مع المؤسسة التعليمية، وبعد المقررات الدراسية عن الواقع، وقلة ملاءمة نظام الامتحانات ونقص الإرشاد التربوي أو انعدامه، وضعف الدافعية ونقص المثابرة.

ويعد الطالب المصدر الأول في حدوث قلق الامتحان جراء ما يعتريه من شعور بأن دراسته لم تكن كافية أو غير فعالة، فيتولد لديه الشعور بالذنب، وبخاصة إذا تزامن ذلك مع اهتمام الآباء الزائد بمستقبل الأبناء، ما يفقدهم (الطلاب) الثقة بأنفسهم ويخلق الحاجز النفسي لديهم خلال الامتحان. كما تلعب صعوبة المادة التعليمية دورًا مهمًا في العلاقة بين توتر الطالب واضطرابه وبين التحصيل المدرسي، حيث تبين أن القلق المرتفع يحسن الأداء في المواد السهلة ويعيقه في المواد الصعبة.

تبين أيضًا أن من بين العوامل التي تزيد من قلق الطالب واضطرابه في الامتحان مجموعة من الأعراض الفسيولوجية والنفسية، كارتفاع نبضات القلب وسرعة التنفس وجفاف الحلق والشفتين، وبرودة الأطراف وآلام البطن والغثيان والحاجة إلى التبول والدوار، وفقدان الشهية، وتوارد بعض الأفكار اللاعقلانية والتوتر وقلة النوم والتفكير المستمر بالامتحان ونتيجته.

لقد بات من المؤكد أنه كلما ازدادت أهمية الامتحان الذي

يتقدم لـه الفرد، ازدادت لديه مظاهر الخوف، وقد تؤدي بالبعض إلى خوف مرضي من الامتحان، وهذا ما يفسر غياب بعض الطلبة عن الامتحانات، بالرغم من استكمال جميع الاستعدادات لها، أو فقدان بعضهم للذاكرة المتعلقة بمادة الامتحان، أو الشعور بالمرض قبل الامتحان مباشرة، وكلها في الواقع وسائل تكيف دفاعية عصبية تهدف إلى الدفاع عن الذات أمام هذا الموقف الخطر الضاغط.

لقد أشارت نتائج بعض الدراسات إلى أن الرغبة في الحصول على علامة لتحقيق قبول في كلية أو جامعة، أو المحافظة على معدل تراكمي جيد يبعث على إثارة القلق لدى الطالب ويدفعه للغش في الامتحانات.

تعمل تهيئة الجو المناسب والظروف المريحة أثناء تأدية الامتحان على خفض درجة التوتر والقلق الذي يصيب الطلبة، ما يؤثر بالإيجاب على رفع مستوى أدائهم، كما أن الحاجة إلى تحسين المهارات الدراسية ودوامها أمرٌ في غاية الأهمية، وبخاصة لأولئك الذين يعانون من مشكلات التعلم المتنوعة، إذ يساعد ذلك على دوام التعلم مدة أطول ويحقق استيعابًا أفضل للمادة الدراسية المراد استذكارها، عدا عن سهولة الربط بين أجزائها، وهذا بحد ذاته مدعاة لخفض مستوى القلق والتوترات المصاحبة له، حيث إن التمكن من المادة الدراسية سيعزز من ثقة الطالب بنفسه ومن ثم الصمود أمام التحديات الشخصية بصورة أفضل.

تجدر الإشارة إلى أن هنالك قواعد عامة تعمل على تخفيف التوتر من الامتحانات، منها: تحديد موعد الامتحان ومدته وموضوعاته مسبقًا، وإخضاع الطلاب لاختبارات تجريبية لعلها تسهم في إرساء معالم الألفة بين الطالب والمعلم، كما ينبغي إعلام الطلبة بالوسائل المسموح استخدامها وإرشادهم إلى كيفية التعامل معها، مع ضرورة أن يتأكد الطالب من حيازته مستلزمات الامتحان من أقلام وأوراق وأمور أخرى.

ويعد أخذ قسط وافرٍ من الراحة والنوم في الليلة السابقة للامتحان مهدئًا للأعصاب، ما يبعث على التركيز، كما ينبغي تناول وجبة خفيفة من الطعام لأن ذلك يزوده بالطاقة اللازمة لتركيز الدماغ، متجنبًا المأكولات الدسمة، كما ينبغي تجنب القهوة والشاي والاستعاضة عنهما بكوب من الحليب أو العصير الطازج.

ومن شأن التمارين الرياضية البسيطة قبل تأدية الامتحان إلى جانب الاستحمام الدافئ صباحًا، أن تؤدي إلى تنفيس المشاعر السلبية والشعور بدلاً منها بالنشاط والحيوية.

إن الثقة بالنفس والقدرة على التعامل مع الموقف تعزز من شخصية الطالب، فيكتفي حينها بقراءة العناوين والمعلومات الرئيسة كرؤوس أقلام لما قبل الامتحان، وينبغي عدم الاطلاع على المادة الدراسية كاملة لئلا تتطاير الأفكار.

كما يفترض أن يبدأ الطالب الإجابة عن الأسئلة التي تسهل الإجابة عنها لتعزيز ثقته بنفسه والتخلص من التوتر، مع الانتباه إلى عدم نسيان أي من الأسئلة أو العبارات، وضرورة عدم مقارنة الطالب نفسه مع آخرين سبقوه في تسليم الإجابة أو أبدوا تذمرًا ما. وتقتضي الحاجة التعامل مع هكذا أمور بارتياح واسترخاء مع محاولة إغماض العين وفتحها.

إن الالتزام بما ورد مدعاة لتحقيق أقصى درجة ممكنة من النجاح التي تتعزز بمقدار ثقة الطالب نفسه وما أنجزه من مذكرات سابقة، داعيًا الله بتوفيقه ورعايته.

تفتقر إلى خطة وطنية لتنظيمها والاستثمار فيها

مشاريع التخرج في الجامعات تُدفن بين رفوف المكتبات!

رام الله- ينابيع- أحلام حمد: يشكل مشروع التخرج الحلم الوردي للطالب منذ يومه الدراسي الأول، حيث يعتبره الطلبة سبيلاً لتتويج ما تم اكتسابه من خبرات ومهارات أثناء دراستهم، وعادة ما يقدم الطلبة أفضل ما لديهم لتحقيق نجاح أكاديمي، وللانطلاق الى سوق العمل بخطى واثقة للنهوض بالمجتمع ومكانته الدولية، ومن تلك المشاريع ابتكارات يمكن أن تسهم في تطوير بلادنا. لكن في المقابل، هل تلقى تلك المشاريع الاهتمام المطلوب من الجهات المختصة؟ أم أنها تبقى حبرًا على ورق وتدفن مع الزمن؟

يؤكد الخبراء إمكانية استثمار مشاريع التخرج لتحقيق تنمية اقتصادية تؤثر إيجابًا في المجتمع، إلا أنهم يتذمرون من افتقار واقعنا لأسس هذا الاستثمار، ما يشكل صدمة للخريجين ونكسة للاقتصاد.

ويشير الخبراء إلى أن هذا الوضع ناتج عن نوعية المشاريع أولاً، فهي ليست بالمستوى المطلوب، وما ندر منها يعد إبداعًا ويمكن استثماره، وهو ناتج عن عدم وجود خطة وطنية للاهتمام بهذا الحقل.

نوعية مشاريع التخرج

يقول عميد البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة القدس المفتوحة أ. د. حسن السلوادي، إن المشاريع النوعية تتطلب توافر ثلاثية الإنتاج التي تتمثل: بالمشرف الأكاديمي المتمكن، والطالب المبدع، والموضوع المناسب.

في المقابل، يرى مدير مؤسسة النيزك للتعليم المساند والإبداع العلمي م. عارف الحسيني، ومدير مركز أبحاث المعلوماتية في الجامعة العربية الأميركية د. خالد رابعة، أن إنتاج مشاريع نوعية يتطلب دعم التفكير الإبداعي، حيث تفتقر الأهداف التربوية والمنهجية المتبعة في المدارس والجامعات إلى المعايير والأسس المطلوبة لتنمية التفكير الإبداعي، وما زالت تنتهج أسس التلقين وقياس حجم المعرفة بالاستذكار والحفظ.

في السياق ذاته، أضاف مدير عام التعليم المهني والتقني في وزارة التربية والتعليم العالي د. زياد جويلس أن هنالك العديد من الأفكار الإبداعية التي قد تعود بالفائدة الكبيرة على سوق العمل وتقليل نسبة البطالة، إلا أن عدم تخصيص ميزانية خاصة بمشاريع التخرج يعد سببًا لمنع هذا الاستثمار.

عوائق تحول دون الخروج بمشاريع ابداعية

أكد الخبراء انعدام البيئة البحثية في الواقع الفلسطيني، والعوائق الاقتصادية التي تقف أمام النهوض بمستوى البحث العلمي وما تتمخض عنه من مشاريع تخرج، وانعدام التنسيق بين الجامعات، وسوق العمل المحدودة، ما يؤدي الى تخريج أفواج بتخصصات مشبعة في هذه السوق، ونقص في التخصصات التي قد تكون السوق بحاجة ماسة إليها.

ويعتقد هؤلاء الخبراء عدا السلوادي أن الجامعات تقدم الخدمات الأساسية فقط، ويجب عليها توفير المزيد من الإمكانيات التقنية والمادية والخبراء لدعم الطلبة لإنجاز مشاريع بالمستوى المطلوب ولربطهم بواقع العمل.

ودعا الحسيني ورابعة إلى رفع مستوى الخبرة العملية والتطبيقية لدى الأكاديميين أنفسهم.

واشتكى رابعة من أن الطلبة أنفسهم يفضلون الجانب النظري على العملي. وفي هذا الصدد، أكد الحسيني أن الإنسان مسير كالماء، يختار السبيل الأيسر، منوهًا إلى أن فلسطين تفتقر لحاضنات التكنولوجيا والأعمال التي تستثمر المشاريع التي قد تكون قابلة للحياة وقد تكون لها فائدة على المستوى الوطني، مؤكداً وجود حاضنة واحدة في فلسطين هي الحاضنة الفلسطينية للأعمال التكنولوجية "بيكتي" بالمقارنة مع إسرائيل التي تحتوي 24 حاضنة أعمال.

العائق الأكثر خبثًا

وتعد الفترة الزمنية المحددة لإنجاز مشروع التخرج محور اختلاف، ويتمركز الاختلاف في طبيعة التخصص، حيث إن مشاريع التخرج التي تتعلق بتخصصات العلوم الإنسانية تتطلب أبحاثًا علمية نظرية، في حين أن التخصصات العلمية تتطلب مشاريع تطبيقية، أي فترة زمنية أطول.

ويؤكد السلوادي أن الفترة الزمنية المحددة كافية لإنجاز مشروع تخرج، ويتفق معه جويلس في ذلك، إلا أنه يطالب في إيجاد نظام أكاديمي يتصف بالمرونة في التعامل مع الطلبة الخريجين، كما يؤكد ضرورة تخفيف العبء الأكاديمي في هذه الفترة، بينما يدعو الحسيني إلى التركيز على التخصصية لأنها مفتاح الإبداع؛ ويجب أن يقترن المشروع التطبيقي ببحث علمي يوازيه بالأهمية، بينما يطالب رابعة بإعادة النظر كليًا في طريقة طرح مواضيع التخرج ومدتها الزمنية وتطوير آلياتها.

وهذا ما أكدته الخريجة من كلية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ICT) في جامعة القدس المفتوحة، عام 2010 رنا فؤاد أحمد عاليه، التي قدمت منتجًا مميزًا كمشروع تخرج وهو "جهاز التشويش على موجات الموبايل"، حيث إن إنتاج مشروعها استغرق عامين كاملين، وساعدها في بداية التطبيق قبل عام كامل من عام التخرج.

ماذا بعد التخرج؟

أكد رابعة انتهاء معظم مشاريع التخرج على رفوف المكتبات، أو كملف ضمن قاعدة بيانات إذا كانت نظرية، أو في المستودعات إذا كانت تطبيقية، والهدف من ذلك هو ضمان عدم سرقتها لا أكثر!

وفيما يتعلق بالمشاريع الإبداعية التي تعتمد على الطفرات، فأكد جميع هؤلاء الخبراء أنه "يتم الاهتمام بها؛ بتخصيص مكان لها في مكتبات الجامعات، وترشيحها لمسابقات محلية أو دولية، وقد يتم تبنيها من قبل الجامعة أو مؤسسات ذات صلة".

وردًا على هذا التأكيد، أشارت الخريجة عالية الى أنها لم تجد الداعم الحقيقي لمنتجها، وواجهت الكثير من الصعوبات، حيث قلة المراجع، وصعوبة الاتصال مع المهندسين والخبراء، وصعوبة الحصول على القطع وإيجاد البديل لها بسبب عدم وجودها داخل الوطن، والأهم من ذلك كله عدم وجود دعم مادي.

وقالت إنها شاركت من خلال جامعتها في العديد من المسابقات المحلية والمؤتمرات العلمية، وتلقت عالية العديد من العروض والوعود ووقعت اتفاقًا لتأسيس شركة لإنتاج ابتكارها، إلا أن ذلك بقي حبرًا على ورق، حيث إنها عاطلة عن العمل حتى الآن.

خطة وطنية لاستثمار مشاريع التخرج

يرى السلوادي أن العائق الأساسي أمام توظيف البحث العلمي بالشكل الصحيح، هو وجود هوة بين الباحثين العلميين وأصحاب اتخاذ القرار، وبالنسبة لوجود خطة وطنية لتنظيم مشاريع التخرج والاهتمام بها، يقول ربايعة إنه لا توجد خطة وطنية لذلك، كون القضايا التي تتعامل معها السلطة تترتب حيث الأولويات، وتعتبر قضية الرواتب والمفاوضات أولويات السلطة الوطنية.

من جانبه، أكد الحسيني أن وزارة التربية والتعليم ليست لها أي برامج للاهتمام بمشاريع التخرج، مشيرًا إلى بدء تأسيس المجلس الأعلى للإبداع والتميز كهيئة مستقلة، بقرار من السيد الرئيس محمود عباس، ويهدف هذا المجلس لربط مشاريع التخرج الإبداعية وغيرها من المشاريع الرائدة كحاضنات التكنولوجيا وحاضنة الأعمال بلجنة تحفيز واستكشاف في المدارس والكليات والجامعات على مستوى وطني.

وفي المقابل، ذكر جويلس أن دور وزارة التربية والتعليم العالي هو دور إشرافي لا شأن له بالتنظيم الداخلي للجامعات، واصفًا الجامعات الفلسطينية باللامركزية، وتنفرد كل مؤسسة منها بوضع إستراتيجية بأهداف مختلفة احترامًا للحرية الأكاديمية، ويتوجب على كل مؤسسة تعليمية وضع سياسة وبرنامج إداري لمشاريع التخرج بحيث يحوي خطة تهتم بنوعية ومواضيع مشاريع التخرج.

جهود مبعثرة

وذكر جويلس أن إدارات الجامعات لامركزية، كما شدد ربايعة على أن كل مؤسسة تعليمية تقوم بجهود فردية وقد تتلقى التجاوب الإيجابي، ومن هنا، يستنتج الباحث أن هذه الجامعات تغني كل على ليلاها، فالجهود مبعثرة لعدم وجود تنسيق بين الجامعات الفلسطينية ذاتها، نقلاً عن الحسيني، ولا حتى بين المجالس الإبداعية والمؤسسات التي تهتم بهذا القطاع.

وحسب السلوادي، ستخصص إدارة جامعة القدس المفتوحة لجنة للمسابقات والجوائز البحثية، وستوزع هذه اللجنة جوائز مادية لمشاريع التخرج المتميزة وغيرها من الأبحاث.

وأشار ربايعة إلى شراكة الجامعة العربية الأمريكية مع مؤسسة أي كونيكت، وتطرق جويلس إلى التعاون الذي يجري بين وزارة التربية والتعليم والغرف التجارية الصناعية لدعم التعليم والتدريب المهني والتقني في فلسطين.

وتبقى الآمال معلقة على حديث الحسيني عن مجلس الإبداع الأعلى الذي يُعدّ مشروعًا وطنيًا شاملاً؛ وأوضح أنه سيتم ترشيح شخص علمي كمندوب عن كل جامعة في هذا المجلس، كما سيتم تأسيس لجنة أكاديمية للمجلس لتضع معايير جديدة تنقل من خلال المندوب إلى جامعته.

وانطلاقاً من الإيمان بأهمية البحث العلمي ودوره في ريادة التنمية المستدامة، طالب جميع الخبراء بإنشاء صندوق استثمار وطني يعنى بالارتقاء بمستوى مشاريع التخرج وتوظيفها على الصعيد الوطني، وتخصيص ميزانية جامعية تهتم بمشاريع التخرج تساعد الطلبة وتذلل الصعاب وتخفف العبء على الطلبة وذويهم.

ظاهرة تعاطي عقار الترامال بين الشباب في غزة

د. بسام الزين
عضو هيئة التدريس في فرع شمال غزة

تنبــع أهمية هذا المقال من درجة الخطورة التي تشــكلها ظاهرة من أخطر الظواهر التي أخذت تنتشر في قطاع غزة في السنوات الأخيرة، ألا وهي ظاهرة الإدمان على الحبوب المهدئة (الترامال).

لقد عاش أبناء قطاع غزة نحوًا من ثلاثين عامًا تحت الاحتلال، عانى فيها شــتى أنواع القهر والظلم والحرمان، وأرخى له العنان لينزلق في مســتنقعات الإدمان على المخدرات، ولكنــه تحــدى كل ذلك وحافظ علــى هويته العربية الفلســطينية وصمــد في وجه كل التحديات التي هدفت إلى النيل منه، وحرص على التمســك بالعادات والتقاليد الأصيلة، وخرج من كل معاركة شعبًا صحيحًا سليمًا قادرًا على العمل والعطاء والتضحية. ولا نعرف أو ربما نعرف عن طريق البحث والاســتقصاء لماذا بدأت ظاهرة الإدمان على الحبوب المهدئة تتسلل إلى كثير من بيوت أبناء قطاع غزة في السنوات الأخيرة.

نعم، ربما تبين لنا البحوث الاجتماعية والنفسية وغيرها أسبابًا لهذه الظاهرة، ولكن يبقى البحث العلمي لمدى الضرر الحاصل من وراء الإدمان ومخاطره على الأجيال القادمة في مقدمة هذه البحوث، ومن هنا كان توجهي نحو تقديم رؤية تقريبية ألقي من خلالها الضوء على ماهية هذه الظاهرة.

الترامال هو عبارة عن عقار مسكن مركزي التأثير، من المسكنات الأفيونية التركيبية (المصنعة (الاسم العلمي له ترامادول، هذا العقار أصبح موضوعًا مثيرًا، خصوصًا بعد الانتشار الكبير له في قطاع غزة.

وقد ظهرت له أسماء متعددة، منها: اترمال، امادول، تراماكس، كونترامال، الترادول، تراموندين.

أما اسمه العلمي فهو اترامادول، وأنواعه أيضا تنوعت، منها الحقن، والنقط، والتحاميل، لذلك فإنه مسموح من عمر يوم إلى عمر غير محدد، وتعددت ألوانه، فمنها الحبوب الخضراء والبيضاء، وذات اللون الزهري.

الترامال المستخدم والمنتشر حاليا هو عبارة عن مسكن يحتوى على الهيروين والأفيون المخدر، وقد تم إجراء اختبارات في الجامعة الإسلامية أثبتت وجود الهيروين والأفيون المخدر في الترامال المنتشر حاليًا، لذلك فهو سبب الإدمان لدى كثير من الشباب. أما الترامال الأصلي، فهو صناعة ألمانية لا يسبب الإدمان ويزول تأثيره من جسم الإنسان بعد 72 ساعة من استخدامه. وهذه ظاهرة خطيرة جدًا تجتاح قطاع غزة بكامله، حتى إنها أصبحت تجارة رابحة، وتكاد لا تخلو صيدلية من هذه الحبوب التي تباع وكأنها حبوب أكامول أو بنادول.

وأوضح الدكتور محمد العفيفي مدير مكتب الأمم المتحدة المعني بالوقاية من الإدمان والجريمة أن هذا العقار الذي يؤخر عملية القذف عند ممارسة العلاقة الجنسية ويطيلها له مضاعفات خطيرة على جسم الإنسان، من ناحية أن هذا الشخص الذي يستخدمه باستمرار لا يستطيع أن يمارس العملية الجنسية إلا من خلاله، وهذا ينعكس سلبًا على نفسيته من جميع الجوانب، خاصة المتعلقة منها بالناحية الجنسية.

كما أشار في السياق نفسه إلى أن هذا العقار يستخدم في العادة كمسكن قوي للآلام، لأنه يحتوي على مجموعة من المركبات. ونتيجة لحالة الإحباط واليأس التي يعاني منها المواطنون، خاصة الأزواج، فإنهم يترددون على الصيدليات لشراء هذا العقار ظنًا منهم أنه سيخفف عنهم ويشعرهم بالسعادة ويطيل مدة الجماع، وبالتالي سيؤخر عملية القذف، دون وعي منهم بمدى خطورة هذا العقار ومضاعفاته على صحتهم.

وأكد العفيفي أن هذا العقار يحتوي على مركبات الأفيون المدمنة والمخدرة، ويجب ألا تتعدى الجرعة المسموح بها 400 مجم للفرد البالغ. ومن أعراضه الجانبية: الدوخة والصداع والدوار والنعاس والإمساك والغثيان والارتباك والهلوسة والعصبية والطفح الجلدي والزغللة في الرؤية، وفي حالات قد يسبب صعوبة في التنفس وقابلية للانتحار.

أصبحت ظاهرة تناول الترامال منتشرة بين الشباب والفتيات والأطفال أيضًا، فقد تأكد وجود حالات إدمان كثيرة بين الفتيات في قطاع غزة على الترامال، حيث قالت إحدى الفتيات في مركز غزة للصحة النفسية -رفضوا الكشف عن اسمها- إنها بدأت بتناول الترامال عندما أعطتها صديقتها حبة ترامال في الجامعة وشعرت بالراحة، فقد بدأت بتناول السم القاتل -كما وصفته- لدرجة أنها أدمنت عليه، وبدأت تظهر عليها علامات الضعف الجسدي والإرهاق، وأضافت الفتاة أنها أصبحت تشعر بحالة غير طبيعية، كما وجدت حالات كثيرة من الإدمان في المدارس بين الأطفال. لذلك نستطيع أن نجزم أن هذا هو مرض العصر الجديد.

وقال كثير من الشباب إن سبب إدمانهم هو المشاكل بين التنظيمات السياسية على الساحة الفلسطينية والحرب الإسرائيلية على غزة، وأضافوا أيضًا أنهم لجأوا إلى تناول الترامال للهروب مما تعرضوا له من ضغوطات وتعذيب، بعد عملية الانقسام المعروفة، فمنهم من فقد أطرافه وتعرض لإصابات كثيرة في جسده جعلته يصبح مدمنًا للهروب من جراحه، وكذلك استعمله للهروب من الضغوطات النفسية الصعبة نتيجة الحصار المفروض على قطاع غزة. ومن الملاحظ أن مناسبات الأفراح تشكل في الأغلب الأعم بؤرًا لانتشار

هذا العقار عند كثير من الشباب.

كما تعد الأنفاق بين مصر وقطاع غزة المصدر الأساسي لدخول الترامال إلى القطاع، وأن الأنفاق هي سبب الانتشار الهائل له، ويشكل فارق السعر بين الترامال المخدر والترامال الأصلي إغراءً لدى كثير من الشباب للإقبال عليه، حيث إن سعر الترامادول الأصلي 35 شيقلاً، أي ما يعادل تسعة دولارات، أما الترامال المصري، فسعره 7 شواكل، أى ما يعادل دولارين، وهذا الفرق في السعر أغرى كثيرًا من الشباب لشرائه، لدرجة أن الأطفال أيضًا أصبح بإمكانهم الحصول على النوع المصري من مصروفهم الخاص.

وتتحمل الحكومة الحالية الدور الكبير والمسؤولية الأساسية لانتشار الترامال في قطاع غزة، فمن المفترض أنها تراقب الأنفاق وتمنع دخول الترامال إلى القطاع بهذه الصورة غير المنضبطة، ولكن من المؤسف أن تغفل أعين الرقباء، وينتشر هذا الوباء في قطاعنا الحبيب، فتزيد من آلام هذا الشعب ومعاناته، وتشكل عبئًا إضافيًا فوق ما يحمله من أعباء.

المسؤولون في غزة لا يريدون الاعتراف بوجود هذه الظاهرة، ظنًا منهم أن هذا يسيء إلى طريقة إدارتهم لقطاع غزة، ولذلك يحجمون عن تناول هذا الموضوع في وسائل الإعلام، وكأن الحديث فيه من الترف الذي لا لزوم له! وإذا كانت الأسباب هنا معروفة، فإننا نتساءل عن موقف الفصائل الوطنية التي تمتلك وسائل إعلام متعددة، وتصدح إذاعاتهم ليل نهار بالإعلانات والأغنيات كيف لا يخصصون مساحة في إعلامهم لإلقاء الضوء على هذا الوباء الملعون الذي يتسلل إلى قلب الأسرة الفلسطينية في غزة فيدمرها من الداخل!

إن هناك قصورًا إعلاميًا واضحًا تجاه تناول هذه القضية والكثير من القضايا المهمة التي تشغل الشارع الفلسطيني، فرجال الإعلام يركزون جل اهتماماتهم على الجانب السياسي والأمني وتبعاته والصراع المستمر، وهذا الاهتمام يقودهم نحو الإعلام القائم على الخبر، فيتشكل ذوق المتلقي على المادة الإعلامية السريعة، وبالتالي يفتقد هذا المتلقي إلى الثقافة الإعلامية القائمة على المقال والتحقيق والرأي، ولذلك نرى أن الغالبية العظمى من المؤسسات الإعلامية لا تضع في أجنداتها ثقافة التحقيقات الصحافية.

إن الترامال ظاهرة منتشرة في الشارع الغزي منذ ثلاث سنوات تقريبًا، ولم يتم التطرق إليها بالشكل المطلوب الذي يعمل على معالجتها، رغم ما لهذه الظاهرة من أخطار صحية ومجتمعية لا تحمد عقباها. وأستغرب من عدم وجود الاهتمام الكافي لدى الإعلاميين بالمشاكل المجتمعية، وصب جل اهتماماتهم على الأحداث اليومية، بالرغم من أن فلسطين -وقطاع غزة خاصة- تعد أرضًا خصبة للمواد الإعلامية التي من خلالها يمكن للصحافي أن يثبت ذاته، وهناك العشرات، بل المئات -إن لم يكن أكثر- من تلك المواد الإعلامية التي لم تطرح إلا بشكل سطحي.

وقبل أن ننهي هذا المقال، لا بد أن نشير إلى رأي الدين في هذا الموضوع. ونحن نعرف أن الشرائع السماوية ما نزلت إلا لصلاح الأمم، من هنا رأينا علماء الدين يحرمون تناول الترامال لاحتوائه على الهيروبين والأفيون، وقد برر العلماء ذلك بأن ما يسكر كثيره فقليله حرام، غير أن فريقًا آخر من العلماء رأوا إمكانية تفعيل الاجتهادات للاستفادة من المواد المسكنة الموجودة في هذا العقار عند الضرورة، مهتدين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار"، وذلك إذا أقر الأطباء وجود الضرر الفعلي في حال كثر استعمالها دون سبب، فتكون الحرمة هنا أكيدة، وذلك لما يترتب عليه من آثار وأضرار خطيرة، منوهًا إلى أنه لا بأس من استخدامها للتداوي من الآلام.

إن تجاهل هذه الظاهرة المرضية التي تجتاح قطاعات من شبابنا فتتركهم صرعى لا يقوون على القيام بدورهم المنوط بهم تجاه الوطن لا يسهم في علاجها، بل على العكس من ذلك، فهذا التجاهل يغري مزيدًا من الشباب بالوقوع في دائرة الإدمان، ثم لا يصحو المسؤولون إلا وقد استفحل الأمر واستعصى على الحل.

إن دفن الرؤوس في الرمال لا يعني غياب الصورة، فعلى الجميع أن يتحملوا مسؤولياتهم، ولا عذر لأحد، فالسياسي ورجل الدين والإعلامي عليهم أن يقفوا مع أنفسهم وقفة جادة وصادقة، وأن ينحوا خلافاتهم السياسية جانبًا لتنصب جهودهم في مواجهة هذه الظاهرة المدمرة قبل أن يندم الجميع، ولات حين مندم.

كيف نتناول طعامًا صحيًّا؟

دورا- "ينابيع"- خالد العواودة- لقد أدرك الإنسان منذ بدء الخليقة أن هناك مستلزمات محددة وضرورية لإدامة حياته ومزاولة نشاطاته اليومية، وكان الغذاء على رأس قائمة المستلزمات، فالعلاقة بين صحة الجسم والغذاء كانت معروفة منذ القدم، وبخاصة عند أطباء اليونان والعرب القدماء على السواء.

ما هي التغذية؟

يمكن تعريف التغذية بأنها سلسلة من العمليات التي بواسطتها يستطيع الجسم امتصاص وتمثيل الغذاء ليحفز النمو ويستهلك الطاقة لتعويض الأنسجة التالفة ويمنع ظهور بعض الأمراض، ومع أن الإنسان يستجيب للجوع غريزيًا فيأكل، إلا أن ما يختاره من طعام يتأثر بأمور كثيرة كالعادات والتقاليد الشعبية والخبرات المكتسبة والدين والعقيدة والظروف الاقتصادية.

والتغذية السليمة هي إحدى الدعائم الأساسية للصحة في المجتمع، فالغذاء الصحي المتوازن يساهم بشكل كبير في توفير العناصر الغذائية اللازمة لنمو الجسم والعقل السليم لدى الأطفال والكبار على السواء، حيث لا يستطيع الإنسان أن يتمتع بصحة جيدة ما لم يحصل على التغذية السليمة والمتوازنة، وعليه أن يكون على معرفة بالطرق الصحيحة والسليمة لاختيار وإعداد وجباته الغذائية، لضمان الحصول على العناصر الغذائية الضرورية للجسم في الغذاء اليومي.

ومن الجدير بالذكر أنه لا توجد مادة غذائية واحدة تزود الجسم بالاحتياجات الأساسية من العناصر الغذائية التي يحتاجها الجسم بشكل يومي، لذلك، يجب التنويع في الأغذية التي يتناولها الفرد بحيث تشمل كافة المجموعات الغذائية التي تشمل الكربوهيدرات والبروتينات والدهون والعناصر المعدنية والماء.

ويبقى السؤال المهم: هل وجباتنا اليومية متكاملة من حيث هذه الاحتياجات الضرورية اللازمة؟

يؤكد المهندس الغذائي عمر أبو فارة الموظف في مديرية صحة الجنوب أن الإنسان يحتاج إلى الغذاء في جميع مراحل حياته، ويحدد الغذاء، إلى حد بعيد، مقدرة الإنسان على مواكبة كل مرحلة من تلك المراحل، كما

يحدد أيضًا مقدرته على استيعاب دروسه أو أداء عمله بشكل مناسب.

وعرفت منظمة الصحة العالمية الشخص السليم بأنه الذي يتمتع بسلامة الصحة الجسمية والنفسية والاجتماعية، وليس فقط خلوه من الأمراض. لذا، فإن التغذية السليمة يجب أن تراعى في جميع مراحل عمر الإنسان، ولكل مرحلة من مراحل حياة الإنسان متطلبات غذائية تختلف عن الأخرى حسب احتياج الجسم.

كما يجب الاهتمام بجودة الغذاء، سواء الطازج أو المعلب أو المبستر، والتأكد من خلوه من المواد المسرطنة والهرمونات والمضادات الحيوية والمبيدات والمواد المضافة التي تؤثر تأثيرًا سلبيًا على خلايا الجسم، وتسبب بعض الأمراض الخطيرة على صحة الإنسان.

الوجبة المنزلية تبقى الأفضل

ولتحقيق ذلك، يجب اتباع السلوك الغذائي الصحيح بالاعتدال في كمية الطعام المتناولة والتنويع في اختيار الأغذية السليمة، والابتعاد عن العادات لغذائية الخاطئة. ويؤكد أبو فارة أن الوجبة المنزلية هي أفضل وجبة غذائية على الإطلاق لأنها تتميز بعدة أمور أهمها :

1. التنويع في محتواها من العناصر الغذائية.
2. اختيار أفضل نوعية وأحسن جودة.
3. سلامة الوجبة من الملوثات ونظافتها صحيًا.
4. تناولها طازجة وخلوها من عوامل سوء الحفظ والتخزين.
5. التعرف على مكوناتها وطرق إعدادها.
6. أكثر اقتصادًا إذا قيست بالوجبات الخارجية.

كما تجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من الأهمية الكبيرة لطبيعة الغذاء الذي نتناوله كمًا ونوعًا، إلا أن طريقة تناول هذا الغذاء، لا تقل أهمية عن الغذاء نفسه.

ويشير أبو فارة إلى أنه يجب تقسيم وجبات الطعام خلال النهار بين الفطور والغداء والعشاء، لتجنب التأثيرات السلبية لاختزال هذه الوجبات في وجبة واحدة.

ما هي تأثيرات اختزال الوجبات على وجبة واحدة كبيرة؟

- قد يؤدي انخفاض مستويات السكر في الدم للشعور بالتعب، والصداع، واضطرابات في التركيز.
- عند تناول وجبة واحدة كبيرة في اليوم، تبقى كميات فائضة من المواد الغذائية في الجسم، وسرعان ما تتحول إلى دهون.
- ينطوي تناول وجبة واحدة كبيرة في اليوم على الحاجة لإمداد الجهاز الهضمي بكمية أكبر من الدم لإتمام عملية الهضم، الأمر الذي يسبب شعورًا بالإرهاق الشديد.
- يؤدي تناول وجبة واحدة في اليوم إلى رفع مستوى السكر والدهون في الدم، بينما عند تناول عدة وجبات صغيرة، تنخفض هذه المستويات بشكل كبير.
- عند تناول وجبة واحدة كبيرة في اليوم، يتم إفراز كميات كبيرة جدًا من الأنسولين، بهدف موازنة نسبة السكر في الدم. لكن ما تبقى من كميات الأنسولين، يساهم بتحفيز الشعور بالجوع مجددًا.

علاقة وثيقة بين التغذية والتحصيل العلمي

وتوجد علاقة وثيقة بين التغذية والتحصيل العلمي للطلبة، حيث يؤثر نقص التغذية على التركيز والانتباه للدروس، ويكون الاستيعاب ضعيفًا، ما يؤثر على درجاتهم وتفوقهم.

ونظرًا لأن التلاميذ في السن المدرسية (6- 18) يمرون بأهم مراحل حياتهم من ناحية النمو، وهم يشكلون نسبة عالية من المجتمع، فإن توفير الغذاء المتوازن الكامل الذي يحتوي على جميع العناصر الغذائية اللازمة للنمو وتوليد الطاقة أمر بالغ الأهمية لاستمرار هذا النمو بالشكل الصحيح، فالطلبة يقضون أكثر من ثلث يومهم في المدرسة، ويجب أن يحصلوا على ثلث احتياجاتهم الغذائية اليومية في هذه الفترة، وبالتالي، فإن احتياجاتهم الغذائية يجب أن تغطي هذه الفترة حتى نستطيع أن نتفادى المشكلات الغذائية المتعارف عليها، كفقر الدم وأمراض سوء التغذية. والسمنة والنحافة المفرطتان سمتان لا يخلو منهما طلبة المدارس.

النحافة والسمنة وعادات غذائية سيئة

ومن الجدير بالذكر أن النحافة والسمنة نتيجة طبيعية لعادات غذائية سيئة أدت إلى تلك الأمراض الخطيرة، وجعلت بعض طلابنا وطالباتنا يظهرون بصورة جسمية محرجة وحالة صحية متهالكة.

ويدعو أبو فارة إلى التركيز على التغذية السليمة، التي تحتوي على جميع العناصر الغذائية التي يحتاج إليها الإنسان منذ نعومة أظفاره، والتي تلعب دورًا مهمًا في مراحل النمو والتطور، لكي تنشأ أجيال تتمتع بجسم سليم وعقل ناضج له المقدرة على الاستيعاب والتفكير والعطاء. وللتغذية السليمة وعدم إهمال الوجبات المتوازنة والحرص على البعد عن الأغذية غير الصحية والمنبهات، دور كبير في الحد من التشويش عند الطلاب، كما أن للطعام المناسب والمتكامل دورًا في زيادة التفكير والتركيز والمذاكرة بشكل جيد والحصول على الدرجات الجيدة.

ويخلص أبو فارة إلى القول إن الإنسان يحتاج إلى غذاء صحي ومتوازن ليحافظ على حياته واستمرار نموه وزيادة قدرته على الإنتاج والعمل، مؤكدًا أنه لا يوجد جسم سليم من دون غذاء صحي قادر على سد حاجات الجسم كافة.

مـاذا نـفـطـر؟

غـزة- "ينابيـع"- معيـن العيلة- من منا لم يشــعر أن معركــة صغيرة تبدأ مع انطلاق ســاعاتنا المنبهّة، التي تصرخ كأنها تقول "يكفيك كسلاً وهلم إلى العمل!"؛ لذا، فلا شــيء أفضل من أن نبدأ نهارنا بإفطار صحي يعيد نسبة السكر في أجسامنا، وبالتالي القدرة على مواجهة روتيننا اليومي.

محتويات الإفطار الصحي

عند ســؤال "ينابيــع" المتخصص في علــم التغذية عضو هيئة التدريــس في جامعــة القدس المفتوحــة د. محمد فريــح المصري، أشــار إلى أن "وجبة الفطور المثالية يجب أن تحتوي على النشــويات المركّبة وبطيئة الامتصاص، وبعض الفيتامينات والبروتينات والفواكه المفيدة، ما يؤمّن للشخص النشاط طيلة النهار".

ويُنصــح أن يحتــوي الفطور الصحــي والمثالي علــى: كوب من الحليب، وقطعة من الخبز المُحمص، وبيضة مسلوقة، وقطعة من الجبن، وشــرائح من الطماطم والخيار وورق الخس، وتفاحــة أو موزة أو قطعة كيك صغيرة.

الفطور والأطفال

وخــلال مقابلة مع الخبيــرة في الصحة النفســية عضو هيئة التدريس بالجامعة أ. د. آمال جودة؛ أكدت أن "وجبة الفطور الصباحي لها عدة فوائد على الصحة الجســمية والنفســية للأطفال، أهمها أنها تنعكس إيجابًــا على قدرة الطفل في التركيز والاســتيعاب، لأن الغذاء الصحي الســليم له تأثير كبير على الســلوك النفســي للأطفال، حيــث إن الجوع الذي يعتبر من الحاجات الفســيولوجية الأولية يسبب التوتر وعدم التوازن، لذلك، يجب إشباع الدافع الأولي الفسيولوجي قبل إشباع باقي الحاجات الأخرى، الذي يتحقق بتناول وجبة الفطور الصباحي".

تحذيرات الموت على علب السجائر في انتظار من يقرأها

القدس المحتلة-ناصر جعفر-ينابيع: "تحذير: التدخين قد يقتلك"، "الدخان يسبب الشيخوخة المبكرة.. العجز الجنسي.. السرطان..."؛ عبارات تكتب ببنط عريض على علب السجائر، تبرئ شركات التبغ من أرواح الملايين، ولا تجد من يقرأها.

وعند سؤالنا حول أسباب عدم الاستجابة للتحذيرات الموجودة على علب السجائر، علّل الطبيب في وزارة الصحة د. رياض عباس ذلك موضحًا "أن التقليد وحب الاستطلاع سببان رئيسيان للتدخين، ثم تبدأ المواد التي يحتويها الدخان مثل (النيكوتين) وبعض المواد المضافة من قبل شركات السجائر كالمنكهات والطعم، بالتسلل إلى الجسم، محدثة ما يؤدي إلى إدمان الشخص عليها، وعليه، يبقى مدمن التدخين متعلقًا في نفس منتج هذه الشركة ولا يستطيع التغيير إلى نوع آخر؛ وما لا يعلمه الكثيرون أن إدمانه قد يكون على هذه الإضافات إلى جانب تعلقه بمادة التبغ نفسها، وهذا يعود بالفائدة على الشركة المنتجة لهذا النوع".

غياب القدرة على اتخاذ القرار

يضيف د. عباس أنه "في مرحلة الإدمان هذه، يصبح المدمن خاضعًا للمراكز الصحية المسيطرة في الدماغ إلى درجة العبودية، حيث إن مركز المتعة والسعادة الإرادية التي سيطرت في بدايات التعاطي تختفي بسبب ظهور الخلايا فيها؛ أي أن حالة المدمن تصبح مسيرة من قبل هذه المراكز القهرية ولا يستطيع التغلب عليها لعدم مقدرته على اتخاذ القرار، حيث إن مراكز الإدراك والإرادة تكون شبه مغيبة من قوة المراكز القهرية والسيطرة في دماغ المدمن، وعليه فإنه يكون في حالة ضعف عقلي شديد ولا يستطيع اتخاذ القرارات، وحتى في وفاة عزيز أو صديق بسبب التدخين مثل حالة سرطان الرئة التي تدعوه إلى ترك التدخين، فهو فاقد الإرادة والإدراك، وإن اتخذ قرار ترك التبغ (التدخين) بسبب الخوف الشديد، فسوف يعود بعد فترة بسيطة لتعاطي التبغ بسبب سيطرة المراكز القهرية الموجودة في دماغه، وعليه فإن مدمن التبغ غير قادر على اتخاذ القرار في ترك التدخين عند رؤية التحذيرات المكتوبة على علبة السجائر مهما كانت رادعة للآخرين غير المدمنين على التبغ، أي أن المدخن هو مدمن على التبغ وغير قادر على اتخاذ القرار السليم، وهو بحاجة لمساعدة لإعادة التأهيل وتغيير السلوك من أجل الابتعاد عن هذه العادة السيئة حتى يستطيع ترك الدخان".

ضرر على مدى طويل

من جانبه، يبيّن عضو الهيئة التدريسية في جامعة القدس المفتوحة في القدس أ. إسماعيل الأفندي أن "المدخن يعتقد أن الضرر المتضمن ضمن التحذير لا يقع ولا يحصل في الحاضر وإنما على المدى البعيد، لذلك فإن المدخن يترك ذلك للمستقبل على أمل ألا يقع هذا الضرر الموجود ضمن التحذير، وبالعادة، فان المدخن يعلم أن ضرر التدخين يكون بعد وقت طويل وليس في اللحظة، كما حصل لمدخنين آخرين".

ويعتقد أمين النجدي الموظف في "القدس المفتوحة" أن "الإدمان على التدخين عند كثير من الناس هو إدمان على العادة السلوكية بحد ذاتها، ورغم التحذيرات التي توضع على علب السجائر والخلفية الثقافية الواسعة عند كثير من المدخنين بأضرار التدخين، نجدهم لا ينجحون في الإقلاع عن هذه العادة الضارة بالصحة والجيب أيضًا".

هل نجحت فلسطين في تطبيق الاحتراف؟

خان يونس- "ينابيع"- رائد دحلان- حقق الاتحاد الفلسطيني لكرة القدم إنجازات كبيرة داخليًا وخارجيًا على أكثر من صعيد، بشهادة الاتحاد الدولي لكرة القدم، الذي رشح الاتحاد الفلسطيني كأفضل اتحاد متطور في وقت قصير عام 2008م، ولم يأتِ هذا النجاح من فراغ، بل كانت وراءه قيادة حكيمة.

وعمل الاتحاد الوطني على استغلال الطاقات الوطنية للنهوض بالحركة الرياضية، فشهدت الضفة توافد لاعبي قطاع غزة، ومن ضمنهم سعيد السباخي وعبد الحميد أبو حبيب وأحمد كشكش، حيث ظهروا بشكل جيد ومميز، ما دفع الاتحاد إلى التفكير الجدي في عملية الاحتراف، وذلك من خلال توفير مجموعة من المؤسسات تعمل على دعم المشروع الرياضي الذي يعتبر أيضًا مشروعًا وطنيًا بامتياز.

وبــدأ الاتحاد في تطبيــق دوري المحترفين عــام 2009م بعد إنجاز الــدوري التصنيفي عــام 2008م، كما نجح الاتحاد فــي جلب مجموعة من الخبراء الرياضيين في شــؤون الاحتــراف والتحكيم والتدريب والإدارة من أجل تطوير المؤسســة الرياضية ككل، وتأهيــل الطواقم الإدارية والفنية والإمكانات والمتطلبات المادية.

ولعــل من أهم مقومات نجاح الاحتراف توفيــر الدعم المادي والرعاية الكلية أو الجزئية للأندية المشاركة فيه، إلى جانب ما يقدمه الاتحاد للأندية المشاركة من دعم، وهذا ما وجده الاتحاد من شركة جوال من خلال مسؤوليتها الاجتماعية والوطنية، حيث قدمت الشــركة مليون دولار سنويًا لدعم ورعاية دوري المحترفين بشكل كامل منذ انطلاقته وحتى نسخته الحالية.

وقد أشــاد الفيفا والاتحاد الآســيوي بنجــاح دوري المحترفين على صعيد التطبيــق الدقيق للكثير مــن المعايير، وكذلــك التطور الحاصل علــى الصعيد الفني والإداري والتنظيمي على مســتوى الأندية واللاعبين والطواقم المهنية المختصة وتنظيم الأحداث والبطولات المحلية والدولية باحترافيــة ونجــاح منقطــع النظير، مقارنــة مع ما نواجهه مــن معوقات وتحديات أبرزها ممارســات الاحتلال وشــح الإمكانات وقلة الخبرة وحداثة التجربة، كما كان له مردود إيجابي على النشاط الرياضي الخارجي والداخلي.

ونجحت الأندية الوطنية في المشاركة في بطولات الاتحاد الآسيوي، حيث شارك نادي المكبر ونادي الأمعري ونادي الظاهرية في بطولتي دوري الاتحاد الآسيوي وبطولة كأس الاتحاد، ونجح الأمعري في تحقيق إنجاز بارز بعد احتلال المركز الثاني في بطولة رئيس الاتحاد الآسيوي لكرة القدم.

سلبيات تهدد الاحتراف

رغم ذلك، ظهرت مجموعة من الســلبيات التي تهدد مشروع الاحتراف الفلســطيني، منها ما هو ذاتي متعلق بالحاجة للوقت الكافي لترسيخ ثقافة ومفاهيم الاحتراف على مســتوى اللاعبين والأنديــة ودوائر الاتحاد، وكذلك تنمية وتجسيد ثقافة الاستثمار في الجهد والوقت والمال على هذا الصعيد، خاصــة من قبل القطاع الخاص الذي ما زال مقصرًا في واجباته، حيث إن العجز المالي لبعض الأندية التي لم تنجح في سداد مستحقات اللاعبين والمدربين يمثل أكبر العقبات التي تواجه الأندية واللاعبين على حد سواء.

كما ظهرت أزمة شراء اللاعبين ووجود المزايدات المالية بين الأندية الغنيــة أمام الأندية الأقل حظًــا بالمال، ما هدد اســتقرار بعض الأندية، كما خلق الاحتراف فجوة بين أنديــة الصف الأول والصف الثاني التي لم تســتفد من رعاية بعض المؤسســات لها، حيث لم تستطع أندية الدرجة الأولى شراء بعض اللاعبين المميزين بأموال باهظة بسبب العجز المالي.

وفي هذا السياق، أشــاد الإعلامي الرياضي أشرف مطر بإقامة دوري المحترفين، مؤكدًا أن هذه التجربة كانت مهمة للغاية وساعدت على الرقي بالكرة الوطنية، بعد قيام الاتحاد بإعادة النشــاط الرياضي إلى الصورة من جديد بإقامة الــدوري التصنيفي ومن ثم دوري الدرجــات الأولى والثانية والثالثــة، وبعدها إقامــة دوري المحترفيــن، موضحًا أنهــا تجربة مميزة احتاجــت لكثير من العمل خاصة في تطبيق مواصفات الاتحاد الآســيوي والدولي التي أتاحت للأندية والمنتخبات المشاركة في البطولات الآسيوية.

وأكد الإعلامي الرياضي في الضفة منتصر العناني، أنه لا يرى الدوري في المحافظات الشــمالية دوري محترفين إذا نظرنا لحجم سلبياته مقارنة بإيجابياته، مشــيرًا إلى أن الضرر الأكبر وقع على الأندية بسبب المصاريف الكبيــرة التــي أغرقتها بالديون، ما أثر على مســتوى أداء الأندية، كما أنه أفقد اللاعبين الروح التي كانوا يتمتعون بها، وأصبح اللاعب لا ينظر ســوى للمقابل المادي الذي سيحصل عليه، موضحًا أن مجرد إجراء تجربة الاحتراف نجاح بحــد ذاته، في ظل الظروف الصعبة التــي تعاني منها المحافظات الشــمالية، كما أن المشاركات الخارجية لعدد من الأندية نجاح آخر يحسب لتطبيق دوري المحترفين.

من جانبه، رأى الإعلامي الرياضي عضو رابطة الصحافيين الرياضيين مصطفى صيام، أن فكرة الاحتراف التي تم تنفيذها نجحت بشكل جزئي، لأن تطبيق الاحتراف بشــكل كلي يحتاج للكثير مــن الإمكانيات المادية وغير المادية، مشــيرًا إلى أن رعاية شــركة جوال ساهمت بشكل كبير في تطبيق الاحتراف بالمحافظات الشمالية.

«القدس المفتوحة» تنظم في الخليل دوري لكرة القدم بعنوان «إعلان الدولة الفلسطينية»

نظم في ساحة فرع الخليل دوري في خماسيات كرة قدم " دوري إعلان الدولة الفلسطينية" شـــاركت به فرق من جميع الكليات فـــي الفرع، بالإضافة إلى فريق مجلـــس اتحاد الطلبة، وذلك بحضور الدكتور نعمان عمرو مدير فرع الخليل، والدكتور ماجد ملحم المساعد الأكاديمي، وأ. عبد القادر الدراويش المساعد الإداري، والدكتور شاهر حجةعميد كلية الزراعة، وأ. وسام الأطرشرئيس قسم شؤون الطلبة وأعضاء هيئة التدريس والموظفين في الفرع.

وافتتـــح الدوري الدكتور نعمان عمرو مدير فرع الخليل، معربًا عن ســـعادته بما يحمله هذا الدوري من عنوان بإعلان الدولة الفلســـطينية عضواً في الأمم المتحدة، وبين أن الثروة البشـــرية هي المورد الوحيد للشـــعب الفلسطيني فيجب الاهتمام به وتنمية قدراته ورفع الروح المعنوية له من أجل أن يكون مجتمعنا الفلسطيني مجتمع سليم تسوده الروح الرياضية، وبين أن تنظيم النشـــاطات اللامنهجية وخاصة الرياضية منها تشـــكل عامل إيجابي في تعزيز الثقة بالنفس لدى الطالب وصقل شـــخصيته، وتعمل على تعزيز تواصله مع الجامعة، كما بين أن النشـــاطات الرياضية هي وسيلة تربوية هادفة إلى إدارة الوقت والاستفادة من وقت الفراغ لدى الطالب.

وقد فاز بالمركـــز الأول فريق برنامج العلوم الإدارية والاقتصادية – تخصص إدارة الأعمال، وفـــاز بالمركز الثاني فريـــق برنامج العلوم الإدارية والإقتصادية – تخصص المحاســـبة، كما فاز الطالب يحيي تايه بجائز أفضل لاعب، وكان حكم الدوري هو يحيي الطويل.

وكرم مدير الفرع الفرق الفائزة والمشـــاركة بالدوري، مشـــيدًا بالروح الرياضية التي سادت أجواء المباريات، مؤكدًا أن النشـــاط الرياضي هو صقل للشخصية وتفريغ للطاقات السلبية لدى الطالب والهدف من ذلك هو تعزيز السلوك الإيجابي لدى الطالب.

فرع طولكرم يحرز لقب بطولة الشهيد ياسر عرفات لكرة القدم

توج فريق فرع طولكرم بلقب بطولة الشـــهيد ياسر عرفات لكرة القدم الذي نظمته مديرية التربية والتعليم والارتباط المدني وشاركت فيه مؤسسات المحافظة.

وبعـــد عدد من اللقاءات التي خاضها فريق الفرع، تأهل إلى المباراة النهائية التي جمعته مع فريق التربية والتعليم ليدك شباكه بخمسة أهداف ويحرز لقب البطولة.

وســـلم الســـيد نصر مفلح مدير الارتباط المدني في المحافظة والإعلامي الرياضي الأستاذ منتصر العناني كأس البطولة لمدير فرع طولكرم د. فيصل عمر.

من جانبه، شـــكر د. عمر باســـم رئيس الجامعة أ. د. يونس عمرو الوفـــد على هذه الخطوة، مشددًا على عقد المزيد من اللقاءات لما لها من أثر إيجابي على صحة الإنسان، مؤكداً أن الجامعة على استعداد للمشاركة في أي بطولات قادمة تجمع المؤسسات في إطار العلاقات الطيبة.

فرع أريحا يشارك في بطولة الانطلاقة والاستقلال لكرة القدم

شاركت جامعة القدس المفتوحة فرع أريحا ببطولة الانطلاقة والدولة لكرة القدم لفرق المؤسسات الوطنيـــة والأهلية التي نظمتها الإدارة العامة للمعابر والحـــدود وجمعية قدامى اللاعبين على ملعب نادي شباب أريحا الرياضي.

وشارك في البطولة عدد من المؤسسات الأهلية والحكومية، وهي جامعة القدس المفتوحة- فرع أريحـــا، والإدارة العامة للمعابر والحدود، وحركة فتح منطقة عقبة جبر، ومركز عين الســـلطان الرياضي، واتحـــاد المعلمين، وبلدية أريحا، ووكالة غوث وتشـــغيل اللاجئين الفلســـطينيين "الأونروا"، وتفاهم الأمن الوطني ومحافظة أريحا، ونادي شباب أريحا الرياضي، وحركة فتح منطقة عين السلطان.

وقـــد حضر الحفل الختامي محافظ محافظـــة أريحا والأغوار المهندس ماجـــد الفتياني وأعضاء المجلس البلدي خضـــر الولجي وإبراهيم عواجنة ومدير من الإدارة العامة للمعابر والحدود عبد الرحيم أبو ريا ورئيس نادي هلال أريحا الرياضي عبد القادر خشـــان جلايطة، ورئيس جمعية قدامى اللاعبين فتحي براهمة وســـالم جلايطة منسق الأنشطة في جامعة القدس المفتوحة- فرع أريحا وممثل اتحاد كرة القدم يوســـف لافي. وكرمت الفـــرق الحائزة على المراتب الأولى والثانيـــة والثالثة والرابعة لكرة القدم، والفائزان الأول والثاني لبطولة التنس، حيث فازت في المرتبة الأولى في بطولة التنس جامعة القدس المفتوحة.

وأوضح الدكتور باســـم شلش مدير جامعة القدس المفتوحة فرع أريحا أن مشاركة طلبة الجامعة في البطولات الرياضية تأتي بناء على توجيهات الأســـتاذ الدكتور يونس عمرو رئيس جامعة القدس المفتوحة وفي إطار مشـــاركة طلبة الجامعة في الفعاليات الرياضية التي تنظمها المؤسســـات كافة لدعم المسيرة الرياضية للشباب في المحافظة وتجسيدًا لذكرى الانطلاقة والدولة والاستقلال.

«القدس المفتوحة» في أريحا يفوز في بطولة الانطلاقة والاستقلال لتنس الطاولة

فاز فرع جامعة القدس المفتوحة في أريحا بالمرتبة الأولى ببطولة "الانطلاقة والاستقلال لتنس الطاولة لفرق المؤسسات الوطنية والأهلية"، التي نظمتها الإدارة والمعابر والحدود وجمعية قدامى اللاعبين.

وشارك في البطولة 24 لاعباً يمثلون عددًا من المؤسسات: "القدس المفتوحة"، وشرطة أريحا، والإدارة العامة للمعابر والحدود، وحركة "فتح" منطقتي عقبة جبر وعين السلطان، ومركز عين السلطان الرياضي، ومديرية التربية والتعليم، وبلدية أريحا، والأمن الوقائي، واتحاد العاملين في وكالة الغوث، والأمن الوطني، ونادي شباب أريحا الرياضي.

وشهدت البطولة منافسة ضارية، وأقيمت أدوارها الأولى بطريقة خروج المغلوب من مرة واحدة وفق نظام الأشواط الثلاثة وصل لدور الأربعة؛ وأما المباراة الختامية كانت من خمسة أشواط، تمكن خلالها لاعب جامعة القدس المفتوحة من الفوز على نبيل الهرش من المعابر والحدود بواقع 3/ صفر.

وحضر افتتاح البطولة محافظ محافظة أريحا والأغوار المهندس ماجد ألفتياني ورئيس بلدية أريحا الأستاذ محمد عبد جلايطة ومدير الإدارة العامة للمعابر والحدود العميد نظمي مهنا ورئيس الغرفة التجارية تيسير حميدي ورئيس جمعية قدامى اللاعبين فتحي براهمة والأستاذ سالم جلايطة منسق الأنشطة في "القدس المفتوحة" في أريحا.

وأوضح مدير الفرع د. باسم شلش أن مشاركة طلبة الجامعة في البطولات الرياضية تأتي بناءً على توجيهات رئيس الجامعة أ. د. يونس عمرو، وفي إطار دعم المسيرة الرياضية في المحافظة وتجسيدًا لذكرى الانطلاقة والدولة والاستقلال.

التغيير عندنا: لماذا؟ ومتى؟ وكيف؟

د. إبراهيم الشاعر
مدير فرع بيت لحم التعليمي

يمكن أن يكون التغيير دراماتيكيًا ثوريًا كردة فعل على ظلم فاحش كما يجري الآن في ثورات الربيع العربي، وغالبًا ما يحدث ذلك بصورة عفوية ودون مرجعية واضحة ولا يكون مضبوطًا ومضمون النتائج، كما يمكن أن يحدث التغيير بتحكم جهة ما انطلاقًا من رؤية واضحة وأهداف دقيقة وآليات محددة لتحقيق نتائج مرغوبة وأهداف محددة سلفًا.

في سياق منظومة العمل الداخلي الفلسطيني، فإن النوع الأول من التغيير غير معهود في الحياة الفلسطينية، عوضًا عن أنه غير واقعي لأسباب موضوعية كثيرة لا مجال لذكرها هنا، ولكن ونحن في خضم بناء أنوية مؤسساتنا الوطنية، يحدونا الأمل جميعًا أن نلمس نوعًا من التغيير الإيجابي، خصوصًا بعد حقبة من التعثر التي عشناها وعايشناها في الماضي والتي تلت مرحلة من الأحلام والرهانات الكبيرة التي راودتنا جميعًا.

نطالع منذ فترة بعض مشاريع تغيير في مجالات مختلفة، وكوني على تواصل مباشر مع المؤسسات التعليمية، سأذكر على سبيل المثال مشروع تغيير المقررات الدراسية في المدارس، فمع تقديرنا البالغ لجهود القائمين على هذا المشروع ولنواياهم الحسنة، يبقى المعيار الأساس لتحديد مدى جدوى هذا التغيير هو النتائج لأن الأمور كما يقال تقاس بنتائجها. والواقع أننا لا نرى تحسنًا في تحصيل طلبتنا.

أي أننا لا نشعر أن هناك تغييرًا حقيقيًا يجري بالرغم من تغيير بعض المسميات وتغيير الكثير من الأمور هنا وهناك.

وهذا لا يقتصر على النظام التعليمي، فمن خلال التواصل مع بعض العاملين في مؤسساتنا الفتية، يشعر الإنسان بالمرارة لوجود ظروف تحتم كتابة هذا المقال، ففي كل جلسة أو ندوة، يهمس المواطن العادي وحتى المسؤول بالتذمر من مستوى التغيير ونتائجه الملموسة، وحتى الطعن بما يجري في مؤسساتنا، وهناك من يتجرأ أو ينتقد علانية دون طرح البدائل!!

ورب قائل يقول: "إننا ما زلنا في مرحلة غامضة تتداخل فيها الأمور ومعطيات كثيرة مثل سلطة الاحتلال على أرض الواقع وتحكم الدول المانحة ماليًا.. إلخ، وأن مثل هذا الكلام ما هو إلا مغالاة أو محاولة تشهير إلى غير ذلك". ولأكون منصفًا لأولي الأمر، سأنوه فقط إلى قضية مهمة وهي أن التغيير في فلسطين يتأثر بشكل واضح بالأحداث السياسية ومرتبط بالواقع السياسي، ما يجعله يتميز بعدم الاستقرار والتباين والتشتت، وهو ما يصعب تحديد معالمه وفلسفته واتجاهاته بسهولة. وحتى اليوم فإن فلسطين لم تتمتع بالاستقلال والسيادة التامة ولم تكن لها فلسفة مستقلة.

ومــع إدراكي لتأثير هــذا الجانب ولضرورة عــدم إغفاله، إلا أنني ســأناقش قضية التغيير عندنا من وحــي الواقع، منوهًا إلى أن معركة البنــاء الفلســطيني الحالية تتأثــر بمعطيات يمكــن تصنيفها في اتجاهيــن: أولهما داخلي والثاني خارجي. تتداخل وتتشــابك فيهما قوى خارجية وعوامل يســتحيل ضبطها، ومــا يزيد الوضع صعوبة هو أننا لا نتحكم بمفاعيل التوقيت وحدنا ولا نتحرك في الحلبة وحدنا.

ولكن مــا يمكن ضبطه فــي هذا الســياق هو محاولــة التخطيط والتنظيم والتنسيق والتوجيه للتخفيف قدر الإمكان من تأثير المستوى الخارجي غير المضبوط على المستوى الداخلي الذي يمكن ضبطه نوعًا ما، وحــال بناء أنوية دولتنا لا يختلف كثيرًا في كل حال عن كل محاولة أولى في تجارب شعوب الأرض، حيث يبدأ البناء من الأسس المعنوية والمادية ثم بعد ذلك يجري الانطلاق. ولنا في تجربة رســولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وســلم) عبرة عندما بدأ بالبناء الداخلي فبنى المساجد والأسواق والجيش ورتب البيت الداخلي جيدًا ثم انطلق إلى الخارج.

وفي هذا السياق ســأحاول هنا متواضعًا إعطاء بعض الإضاءات التي ربما تفيد في تفكيك هذه المعضلة:

أولاً: طالما أننا نشــعر بعدم الرضــى من عدم فعالية أمور كثيرة في حياتنا، فالتطلع إلى التغيير أمر طبيعي وحتمي، والتغيير والتطور، إن جاز ربطهما، من الظواهر الضرورية في الحياة الإنســانية بالرغم من أن حدوث التغيير لا يعني بالضرورة حدوث التطور أو تحقيق النجاح المنشود.

وثبت تاريخيًا أن المحاولات الدائبة لتغيير سلوك الإنسان بالقوة أو من خلال فرض أشــياء معينة عليه قد فشــلت فــي إحداث التغيير المنشــود، حيث يمكن القول إن طبيعة الإنســان تميــل إلى مقاومة التغييرات الخارجية بشكل أو بآخر، إلا إذا كان التغيير نابعًا من قناعات الفــرد ومرتبطًا بأهدافــه واحتياجاته ومتطلباته، وعليــه فإن التغيير الحقيقي الذي يتطلع إليه شــعبنا لا يمكن أن يحدث إلا من خلال خلق دوافع وقناعــات لدى الجماهيــر والأفراد بأهمية التغييــر في تلبية احتياجاتهم وتحقيق أهدافهم، وإلا فســتبقى كل محاولات التغيير شكلية لا تغني ولا تسمن من جوع.

ثانيًا: بالرغم من الأهمية القصوى للعامل الأول، إلا أنه لا يمكن ترجمة القناعات والأهداف الجماهيرية على أرض الواقع إلا إذا توفرت السياســات والإجراءات الإدارية القوية وشــبكات وقنوات الاتصال المنظمة بين قاعدة الهرم الاجتماعي ورأســه، وهذه الناحية الإدارية بالــذات بحاجة إلى وقفة حقيقية وصادقة في المجتمع العربي بشــكل عام والفلســطيني بشــكل خاص، وذلك لوجود خلل واضح في الفهم والأداء الإداري عندنا، ويؤســفني القول إن هناك قصورًا في توظيف الناحية الإدارية على أساس أنها عملية ذهنية وســلوكية تسعى إلى تجميع الموارد البشــرية والمادية والفكرية والمعلوماتيــة المتوفرة وتضمن الاســتخدام الأمثل والفعال لهذه الموارد بأقل تكلفة وأفضل جودة بغرض تحقيق الهدف المنشود.

ومــن خلال خبرتــي المتواضعة، فإن هذه الصفــة مع وجود بعض الاستثناءات، تنطبق منهجيًا حتى على المدير العربي الذي أكمل دراسته العليــا في المجال الإداري واســتوعب الكثير مــن النظريات والمفاهيم الإدارية وكتب الأبحاث والمقالات في هذا المجال، إلا أنه وفي الممارســة الفعليــة غالبًا ما يتعامل بذهنية وســلوكية المديــر العربي التقليدي، مقلــدًا الطريقة التــي أدار والداه بها البيت الذي عــاش فيه طفولته، أو الطريقة التي اتبعتها معلمة الصف الذي درس فيه.. إلخ.

وهذا بــدوره يدفع إلى اعتمــاد التعريف الإنســاني للإدارة، لأن جوهرها الإنســان القائد أو المدير أو العامل، وبالتالي فهي مبنية على مجموعة من القيم الإنسانية والاجتماعية والمهارات الفكرية التي تنبع من التنشئة التربوية والاجتماعية والإدارية السوية في البيت والصف والشــارع قبل قيامها علــى الأدوات العلمية أو وســائل التكنولوجيا. وبالتالي، فإن أردنا التغيير المطلوب، فإن هذا يســتوجب أن نركز على التربيــة الوطنية والدينية والاجتماعية في الأســرة وفي الروضة وفي المدرسة وفي الجامعة لنضمن ســبر أغوار نفس الإنسان الفلسطيني واختــراق عمقه السوســيولوجي حتى نتمكن من خلق أســاس إداري واجتماعــي متيــن، ونتعامل مع ذلك على أنه نقطة البداية الرئيســة للانطلاق في الفكــر والتطور، والانعتاق من ثقافــة التقليد المتوارثة المتناقضة مع طبائع الأمور والأشياء والنفس الإنسانية، وذلك انسجامًا مع قوله تعالى "إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم".

ثالثًا: إن أي عملية تغيير تقتضــي توفر قناعة جماهيرية وآلية إدارية تنفيذية مناسبة تستند إلى عناصر القوة الايجابية والبناءة في العقليــة العربية الإدارية التي يفترض أن تمتلك رؤيةً واضحة محددة وتتبنى التخطيط الإســتراتيجي والشمولية في النظرة، والواقعية في الطرح، والجماعية في اتخاذ القرار وتنفيذه، واســتغلال الفرص حيثما كانت، ولكن قبل الشــروع في هذه المرحلة، يتوجب طرح عدة أســئلة ووضع إجابات محدودة لها بشكل واضح ودقيق وهي: هل هذا التغيير ضــروري؟ هل هو مبرر ومقبول لدى النــاس المتأثرين به والمنخرطين فيــه على أرض الواقــع ؟ هل هو قابل للتنفيذ؟ هــل كان فعالاً عندما طبق على نطاق ضيــق؟ ما هو الدعم والتقييم المســتمر والمتواصل الذي أوجده المسؤولون عن هذا التغيير لمشروعهم على أرض الواقع؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة بموضوعية وشمولية، يمكن أخذ مسار لتنفيذ التغيير والتطور يرتكز إلى ثلاثة أطوار:

الطور الأول: تحديد المشكلة المراد علاجها من خلال التشخيص والتحقيق المبني على الاستطلاع المنهجي العلمي.

الطور الثاني: المشــاركة الجماهيرية في العملية التجديدية من خلال إيجاد قنوات اتصال تفاعلية.

الطور الثالــث: التنســيق والتوجيه والعمل للشــروع في بداية المرحلة التنفيذية لمشروع التجديد أو التغيير.

بهذا نســتطيع الحديث عن ضمانات أولية فــي عملية التغيير والتطــور، وحيث إننا لأول مرة نمســك رأس الخيط وتتــاح لنا الفرصة لإثبــات قدرتنا في البناء، من المهم الحــرص على عدم إضاعة الفرصة وتجنب الفشل الذي ستكون نتائجه مدمرة- لا سمح الله.

دور «القدس المفتوحة» في نشر المفاهيم الصحيحة للخدمة الاجتماعية

أ. نظمية حجازي
فرع طولكرم التعليمي

يمكـن النظر إلـى مهنة الخدمـة الاجتماعية علـى أنها مهنة إنسانية (تعمل مع الإنسان) حديثة نسبيًا بالقياس لغيرها من المهن الإنسـانية العريقة، حيث نشأت الخدمة الاجتماعية رسميًا في نهاية القرن التاسـع عشـر وبداية القرن العشـرين كنتيجة مباشرة لتطور نظام "الرعاية الاجتماعية" في المجتمعات الغربية بعامة، وفي كل من المملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأميركية بوجه خاص.

وقد نشـأت الخدمة الاجتماعية كمهنة (واختراع مجتمعي) أول ما نشـأت رسـميًا في المجتمع الأميركي (الذي يوصف بأنه مجتمع ما بعد الصناعـي)، متأثرة بظروفه التاريخية والاقتصادية والسياسـية والاجتماعيـة والثقافية، ثم انتقلت المهنة من مجتمع "المنشـأ" إلى كافة المجتمعات الأخرى تقريبًا، سواء المتقدمة منها أو النامية، ضمن عملية "الانتشـار الثقافي" تلبية لحاجة المجتمعات الإنسـانية عمومًا إلـى جهـود المهنة ووظائفها ودورهـا الحيوي مع الإنسـان، أيًا كان وحيثمـا كان، وفي شـتى صور تواجده في الحياة (فـردًا كان أو عضوًا في جماعـة أو مواطنًا في مجتمع). ودخلت مهنـة الخدمة الاجتماعية مجتمعاتنـا العربية في مراحلها المبكـرة منذ العقود الأولى من القرن العشـرين، حيث دخلـت مصر عام 1935م بإنشـاء مدرسـة الخدمة الاجتماعية بالإسـكندرية على يد بعض الجاليات الأجنبية، ثم تطورت المهنة وانتشـرت في مصر ومنها إلـى العديد من الدول العربية ومن ضمنها فلسطين.

ولا بدّ للقائمين على الخدمة الاجتماعية من العمل على تطويرها لتناسـب المتغيرات التي تحدث للبشر نتيجة اختلال البيئة أو الذات، ولكـي تواجه المشـكلات التي تحـدث في عالمنا المعاصـر وتتزايد وتتفاقم باسـتمرار، والتطويـر ضرورة حتمية حتـى لا تندثر المهنة الحديثة، حيث لم يمض على تكوينها على يد ماري ريتشـموند سوى أقـل من 100 عـام، والتطوير لا بد من أن يشـمل الأدوات القادرة على التدخل المهني (العلاج) وإحداث التغيير المنشـود، ولا بد من تطوير مهارات الممارسـين للخدمة الاجتماعية والعمـل على تطبيق البحث

العلمي المستمر في العمل لمواجهة المشكلات الطارئة والجديدة، التي لم تقابلها الخدمة الاجتماعية ولم تواجهها قبل ذلك.

وبما أن نطاق عمل الخدمة الاجتماعية من السعة بمكان طبقًا لغرضها العام والاستراتيجي والمتمثل في "تحسين نوعية الحياة الإنسانية للمواطنين من خلال مساعدة الناس على التفاعل بإيجابية أكثر مع العالم المحيط بهم"؛ فالأخصائي الاجتماعي كمتخصص مهني في الخدمة الاجتماعية يهتم أساسًا بالتفاعلات الاجتماعية (الجوانب التفاعلية)، ذات الصلة بالمشكلات الإنسانية (فردية كانت أو اجتماعية) التي تظهر بين الناس أو بين الناس وبيئاتهم الاجتماعية. إن تركيز الخدمة الاجتماعية على الإنسان والبيئة معًا والتفاعل بينهما هو ما يميزها عن غيرها من المهن الإنسانية الأخرى، وتلك هي بؤرة اهتمامها، لذا، فإن نشاط الأخصائي الاجتماعي يوصف أحيانًا بأنه (عمل تخومي)، بمعنى أن بؤرة اهتمامه تنصب على التفاعل والتشابك بين النسق والأنساق الأخرى التي تشكل في مجملها المجتمع الذي تمارس فيه هذه المهنة. وبما أن الهدف الرئيس للخدمة الاجتماعية هو تنمية المجتمعات عن طريق البحث عن القوى والعوامل المختلفة التي تحول دون النمو والتقدم الاجتماعي مثل الحرمان والبطالة والمرض والظروف المعيشية السيئة التي تخرج من نطاق قدرة الأفراد الذين يعانون منها، والتي تعمل على شقائهم، كما تبحث عن أسباب العلل في المجتمع لكي تتصدى وتكافح هذه الأسباب والتقليل من آثارها السلبية إلى أدنى حد ممكن.

ونظرًا لطبيعة التغيرات التي طرأت على المجتمع الفلسطيني بسبب السياسات الإسرائيلية المبرمجة التي هدفت إلى هدم النسيج الاجتماعي الفلسطيني، وتفاقم مشكلتي البطالة والفقر داخل المجتمع الفلسطيني، باتباع سياسات مبرمجة تهدف لتدمير الاقتصاد الوطني وإبقائه ملحقًا بالسوق الإسرائيلية من جهة، ومن جهة أخرى زيادة عدد الإعاقات الموجودة في المجتمع الفلسطيني، حيث بينت العديد من تقارير المؤسسات الحقوقية أن نسبة المعاقين في الأراضي الفلسطينية تعد الأعلى على مستوى دول العالم.

ومن هنا برز دور جامعة القدس المفتوحة في إحداث تغير نوعي في الخطة التابعة لبرنامج التنمية الاجتماعية والأسرية، بما يتناسب مع احتياجات الأفراد والمؤسسات المهنية التي تمارس الخدمة الاجتماعية بمختلف طرقها. وقد ارتكزت جملة التغيرات التي تم إحداثها في خطة التخصص على احتياجات المجتمع، والمؤسسات المهنية العاملة في مجالات الخدمة الاجتماعية، وتمثلت هذه التغيرات في إضافة عدد من المقررات النظرية الحديثة ذات الصلة المباشرة بالخدمة الاجتماعية في كافة مجالاتها، ليصبح عدد الساعات المعتمدة للمقررات الأساسية والمقررات التخصصية حوالي (98) ساعة معتمدة من أصل (133) ساعة معتمدة، بما فيها المقررات التطبيقية التي زادت من مقررين اثنين يقضي الطالب المتدرب في المؤسسة التدريبية (32) ساعة تدريبية لكل واحد منهما، إلى أربعة مقررات يقضي الطالب المتدرب في المؤسسة التدريبية حوالي (120) ساعة تدريبية لكل مقرر. أما على مستوى الكادر الأكاديمي، فقد تم إلحاق كافة أعضاء هيئة التدريس المتفرغين، بدورة متخصصة لتطوير كفايتهم المهنية في مجالات الخدمة الاجتماعية المختلفة.

كما فتحت الجامعة آفاقا أمام طلبتها الخريجين المتفوقين، حيث تم انتقاء ثمانية عشر طالبًا وطالبة من كل فروع الجامعة الممتدة من رفح حتى جنين لإكمال دراستهم العليا، ضمن مشروع خاص تتبناه الجامعة لاحتضانهم بعد الانتهاء من مرحلتهم الدراسية "العليا"، للعمل أعضاء هيئة تدريس في تخصص الخدمة الاجتماعية.

ولعل أبرز ما يمكن التطرق إليه هو أهمية مقررات التدريب الميداني التي تعود بالفائدة على جميع المشتركين في التدريب، فهو يعمل على إعداد طلاب مؤهلين تأهيلاً سليمًا يملكون الخبرة والمهارة، وقادرين على ممارسة المهنة بكل كفاءة وفاعلية. أما عن أهمية التدريب بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس، فتتمثل فيما توفره هذه العملية من فرص جيدة للاتصال بالعالم الخارجي والتعرف على طبيعة المشكلات الموجودة في المجتمع، والمعوقات التي تواجه عملية الممارسة. وفيما يتعلق بمشرفي المؤسسات، فإن التدريب الميداني يساهم في تواصلهم وتعاونهم مع برنامج الخدمة الاجتماعية واستفادتهم أو اكتسابهم لكل ما هو جديد في مجال التخصص، والاستفادة من جهود الطلاب في إنجاز بعض الأعمال والمهام. كما يتيح التدريب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية فرصًا لاكتساب المهارات والخبرات العملية الحقيقية من الميدان، وتحويل المعارف النظرية إلى مهارات يمكن من خلالها حل مشكلات المجتمع بما يتفق مع ثقافاته وقيمه. وأخيرًا فإن التدريب يسهم في خدمة المجتمع من خلال دراسة المشكلات التي يواجهها دراسة علمية وتقديم الحلول المناسبة لها.

التائب من الذنب

د. ضيف الله عثمان
فرع بيت لحم

جلســت كعادتي على شرفة بيتي وقد أرخى الليل سدوله، لأسرّح النظــر والخيــال فيما حولي، متأمــلاً التلقائية والانسـيابية العجيبة التي كانــت تنتظم عناصر الوجــود من حولي، فمن نأمــاتٍ، وحفيف أوراق، وشــذى يتضوّعُ فــي الأجواء، ورفيف وصقصقــات تصدر بين الحين والآخر، وانعكاســات من أضواءٍ من هالةٍ قمريةٍ في سماءٍ صافية لازوردية، وحالة من الانسجام لا ترى فيها نشازًا، ولا عوجًا ولا أمتًا، وكأنك تســتمع إلى ســيمفونيةٍ لم تبدعها عبقرية فنان في عالمنا البشري، وتذكرت في حالة التأمل تلك، عبارة كنت حفظتها غيبًا ولم أزل، للأديب محمود الزيات، يصف فيها أمينة مع صديقاتها، إذ يقول: "وكان صوت أمينة الوتري الرخيم يموج لذيذًا في مسمع الليل المقمر الساجي، وكان أترابها من حولها يردّدن عليها اللحن، فكنت تسمع من خلال ذلك كله خشخشة آلية موسيقية غريبة".

ثم فجأة ولا أدري كيف، مرّت بخاطري آية قرآنية ارتعدت فرائصي مــن هولها: "**إنّ لدينا أنكالاً وجحيمًا، وطعامًــا ذا غصةٍ وعذابًا أليمًا**"، فتملكتنــي رهبة من نوع آخر، وبدأت أتفكر فــي الآية، وأحاول أن أعود بنفســي إلى أجواء الجلسة والحالة التأملية التي كنت عليها قبل ذلك، وأســائل نفســي كيف خطرت لي هذه الآية؟ ثمّ خلتُ، وأنا بين النائم واليقظان، أنني أسمع وقع أقدامٍ تطرق المكان، وأنني أرى طيف صديق يناديني، فأســتقبله وأتبادل معه التحايا المألوفة عن الصحة والعائلة والأخبار، ولكن كان في صوته تهدُّجٌ غير مألوف، وتعلو وجهه قسماتٌ تنبئُ بهمومٍ كالجبال، فقلت متسائلاً: ما بك؟

فقال: لقد وقعت في مصيبة.

قلت: يا ساتر، ما هي؟

قال: لقد ارتكبت ذنبًا وإثمًا عظيمًا.

قلت: إن الله يغفر الذنوب جميعًا، ويقبل التوبة من عباده.

ردّ قائلاً: ولكن ذنبي خطيئة كبيرة.

فقلت منفعلاً: لقد أفزعتني يا رجل، ما هذا الذنب العظيم؟

أجاب: أفكر في الانتحار تكفيرًا لما فعلت.

فقلت: لكن هذه خطيئة أكبر، وهذه ليست توبةً.

قال: أتدري يا أخي! لقد دنّســت طهارة عــذراء، وأنا في صراع واضطراب، وعذاب نفســي لا يحتمل، إننــي أفكر في مغادرة البلاد، فعذابــي الذي أكابده لا يوصف، وشــعوري بالإثم يقتلني كل يوم ألف مرة.

فقلت: الإنســان خطّاء، ولعلها كانت ســاعة ضعــف، والمهم أن تتوب إلى الله مخلصًا، عد إلى الله واســتغفر لذنبك، وعاهده ألا تعود إلى تلــك المعصية أبدًا. وكنت أتحدث إليه والآية القرآنية تســتحوذ على مشاعري لما فيها من صور العذاب والوعيد.

ثم غادر صديقي وهو يتمتم: رب اغفر لي.

وخلت الأيام تمضي، ووجدتني ذات مســاء أتذكر ذلك الصديق، فوقع في نفســي أن أزوره، فقصدت بيته. نظرت إليه من بعيد، فإذا به "**يغرق في هالةٍ من نور**".

وبيْنــا أنا كذلك، وإذ بزوجتي تقول وهــي تربت على كتفي: "نايم على الكرســي! الدنيا نصّ الليل!" حينها عادت إليّ حالة الوعي، وإذا بالليل قد انتصف فعلاً!

فقلــت: الحمد لله أنها كانت سِــنةً من نوم، فذهبت لأنام وصدى تلك الآية ما زال يتردد في أعماق نفسي ووجداني!

أنظمة العلامات الجامعية

د. خالد سليمان كتلو - فرع الخليل

تحظى العلامات وأنظمة إعطائها باهتمام كبير، وهي من القضايا الشائكة التي تواجه العاملين في مجال التربية والتعليم، وبشكل خاص المختصون في مجال القياس والتقويم. ولا يوجد نظام لإعطاء العلامات يحظى بإجماع كافة الجامعات والمؤسسات التربوية، لذلك لا بد أن يستند نظام العلامات في المؤسسات التربوية إلى أهداف كل مؤسسة ويلبي حاجاتها وظروفها.

وأنظمة العلامات التي تعمل بها المؤسسات الجامعية يتم تطويرها بما ينسجم مع واقع وحاجات كل جامعة، ما يجعلها تختلف وتتباين من جامعة لأخرى، وينظر لنظام العلامات باعتباره نظامًا للاتصال يستخدم به رموزًا لها معان واضحة، فمعيارية العلامات ووضوح ودقة الأسس التي تعطى بناءً عليها تجعله نظامًا للاتصال ونقل المعلومات عما تحقق للمتعلم من نواتج عملية التعلم، فمعنى العلامة لا يعتمد على المقيم (المعلم والأستاذ الجامعي) الذي يضعها، ولا على المساق الذي تعطى به، ولا ينتهك حقوق المعلم في تقرير العلامة، والهدف منه تحسين ممارسات العاملين في الجامعات والمؤسسات التربوية في إعطائهم للعلامات.

وعملت أنظمة العلامات الترتيبية التي سادت القرن التاسع عشر على ترتيب الطلبة حسب تحصيلهم في قوائم، وكانت تعطى للطالب الذي يرد اسمه فيها سمعة حسنة واحترامًا من المجتمع، واستمر العمل بهذه الأنظمة في الجامعات حتى مطلع القرن العشرين، وقد ظهرت انتقادات كثيرة لهذا النظام كونه يوجد مشكلات انفعالية ونفسية لدى الطلبة. ورغم هذه الانتقادات، بقي العمل بنظام الرتب في جامعة كامبردج حتى عام 1910م، وبقي يستخدم في الجامعات الألمانية حتى عشرينيات القرن الماضي.

في بداية القرن العشرين، استخدم نظام العلامات المئوي المطلق كنتيجة للنمو والتطور في مجال القياس النفسي والتربوي وزيادة الاهتمام بالفروق الفردية، وظهور النظرية الكلاسيكية في القياس، ويتم في هذا النظام التعبير عما تحقق للطالب من إتقان لمحتوى وأهداف عملية التعلم والتعليم بعدد يقع بين (صفر ومئة)، وهذا النظام يربط التحصيل بدرجة الإتقان للمادة ولا يراعي الموقع النسبي للطالب ضمن المجموعة التي يدرس معها. ولهذا لم يسلم النظام من النقد، فالفارق بين العلامتين (85 و86) يتطلب دقة تمييزية لا يستطيع المعلم العادي تحقيقها، ويفشل هذا النظام من العلامات في تحقيق مقاييس حقيقية مستقرة وذات معنى، وهي التي تتأتى من خلال تحديد الكمية التي يجب على الطالب أن يتعلمها في مادة معينة والكمية التي تعلمها.

واستمر المختصون في القياس والتقويم بالعمل على تطوير أنظمة علامات جديدة تعالج نقاط الضعف في النظام المئوي المطلق واستحداث نظام العلامات المعيارية المرجع بدلاً من النظام المطلق لحل الضعف في دقة عكس العلامة المطلقة لدرجة الإتقان المتحققة للطالب من المعرفة أو المهارة التي تسعى الأنظمة التربوية إلى تحقيقها، إضافة إلى ضعف الخصائص السيكومترية لأدوات القياس المستخدمة، إذ لا تصل إلى المستوى المتوقع لإعطاء مؤشرات دقيقة وصادقة وموضوعية عما تحقق للطالب من معارف ومهارات ومن أجل استيعاب التباينات في طبيعة المواد والتخصصات المختلفة والفروق الفردية بين المتعلمين، وتعكس درجة الإنجاز والجهد الذي بذل من قبل الطالب مقارنة بزملائه الذين مروا في نفس الخبرة، والمتخصص والمطلع على ما تحقق لطلبته من الإنجازات، والظروف التي أحاطت بالعملية التعليمية، بحيث تغدو العلامة أكثر عدالة ودقة.

بسبب التباين في نظام العلامات في الجامعات والمؤسسات التربوية جعل كل واحدة منها تضع نظامًا خاصًا فيها، وهنالك اتفاق بين العاملين في مجال القياس والتقويم على بعض القضايا التي تشكل أساسًا يجب أن يتم الانتباه إليها عند تبني أو بناء أي نظام للعلامات في أي مؤسسة تربوية، وهي تتمثل فيما يأتي:

1. تقرير المعنى الذي ستعبر عنه العلامة، وهل ستعبر بشكل مطلق عن التحصيل أم ستعبر عن موقع الطالب النسبي في مجموعته أم الاثنين معاً؟ (التقييم محكي المرجع أم معياري المرجع أم المزج بينهما).
2. تقرير المحكات التي ستعطى العلامة بناء عليها، هل ستعطى العلامة بناء على التحصيل الأكاديمي الذي حققه الطالب فقط، أم بناء على جوانب وعوامل أخرى من مثل الجهد وجوانب الشخصية والاتجاهات التي يحملها؟
3. هل ستعبر العلامة عن المستوى الذي حصله الطالب أم عن النمو والتطور الذي تحقق له خلال عملية التعلم والتعليم؟
4. هل سينظر إلى العلامة في نطاق نظام العلامات كمقياس أم تقييم؟
5. هل سيحصل الطالب في إطار نظام العلامات على علامة واحدة أم على علامات متعددة؟
6. هل نظام العلامات سيعبر عن التحصيل بعدد قليل أم كثير من فئات العلامات؟
7. هل سيعبر عن العلامات في النظام باستخدام نظام من الأحرف أم الأرقام؟

أما ثورندايك وهيجن، فقد أضافا مجموعة أخرى من المسائل الفنية التي يتوجب البت فيها وتحديد أسس لها عند بناء أنظمة للعلامات من قبل المؤسسات الجامعية التي تسعى لبناء نظام للعلامات خاص بها وهي تتمثل فيما يأتي:

8. ما نسبة الطلبة الذين يجب أن يحصلوا على علامات ضمن كل فئة؟
9. ما الأوزان التي يجب إعطاؤها للمحكات أو المكونات الجزئية التي تعطى العلامة الكلية بناءً عليها؟

ولعل المراجع لأنظمة العلامات المستخدمة يجد أنها توزع تبعًا لنمطين من الأنظمة أو المزج بينهما، وهذان النمطان هما:

أنظمة العلامات النسبية (Relative Grading Systems) أو ما يطلق عليه عمومًا أنظمة العلامات معيارية المرجع (Norm Reference Systems).

أنظمة العلامات المطلقة (Absolute Grading Systems) أو ما تسمى أنظمة العلامات محكية المرجع (Criterion Reference Systems).

ونظرًا لأهمية هذه الأسس والمحكات لبناء أنظمة العلامات في الجامعات بأنه يحسن توضيحها بشكل كامل في مقالة أخرى، حيث لا يوجد في هذه المقالة متسع لتوضيح كل نقطة منها.

ثلاثة طلاب من القدس المفتوحة يبتكرون طريقة لتحريك السيارة عبر هاتف محمول

رام الله-ينابيع: نجح ثلاثة من طلبة فرع جامعة القدس المفتوحة في رام الله بابتكار طريقة لتحريك سيارة باستخدام تطبيقات الهاتف المحمول الذكي، بشكل يمكن أصحاب السيارة من قيادتها دون الحاجة لوجود سائق داخلها.

ونفذ المشروع الذي أشرف عليه المحاضر في فرع رام الله د. م. إسلام عمرو، الطلبة زيد أبو زيد وغانم علقم ومحمود اليوسف.

وأوضح الطالب زيد أبو زيد أحد القائمين على المشروع أن الفكرة جاءت من وجود حاجة للتحكم بالسيارات عن بعد، مشيرًا إلى أن المشروع هو الأول من نوعه في الوطن، وقد بدأ بشكل بسيط بتحريك سيارة صغيرة باستخدام تطبيقات البلوتوث في الهاتف المحمول لخلق تواصل بين وحدة تحكم جرى زرعها في السيارة والهاتف المحمول، ومن ثم الاعتماد على وحدة التوازن (GYRO) والجهاز لتحريك السيارة حسب درجات ميل الجهاز.

ويقول أبو زيد: "في ظل التطور التكنولوجي وانتشار الهواتف الذكية، بحثت عن فكرة وليدة، ومشروع تخرج مميز، وبعد عمل لأشهر نجحت في تطبيق هذه التقنية، وسارت السيارة بنجاح باستخدام هاتفي المحمول "Samsung Galaxy SIII"، الذي وفرته لي الجامعة".

ويشير الطالب أبو زيد إلى أن المشروع عبارة عن تطبيق للهواتف التي تعمل بنظام "أندرويد"، ويقوم هذا التطبيق بتحريك سيارة لعبة عن طريق "البلوتوث"، وأن السيارة المستعملة في المشروع من صنع يدوي.

ويقوم التطبيق المبتكر من الطلبة الثلاثة على قراءة درجة ميلان الهاتف وإرسال هذه الدرجة عن طريق "البلوتوث" إلى السيارة التي تحتوي بدورها على قطعة "بلوتوث" لاستقبال القيم المرسلة من التطبيق، وتتحرك السيارة حسب الأوامر التي تم استقبالها.

وعن إمكانية تطوير المشروع، يشير الطلبة إلى إمكانية حقيقية بتطوير هذا المشروع، فيمكن تطوير السيارة بإضافة كاميرا لنقل الصورة التي أمام السيارة وإظهارها على الهاتف، ويمكن أيضا تحسين شكل السيارة وجعلها لعبة أطفال يتم اللعب فيها عن طريق الهاتف بدل جهاز التحكم عن بعد.

ويوضح الطلبة أن إعداد المشروع استغرق أربعة أشهر، واجهوا خلالها صعوبات لتكون برمجة التطبيق الموجود على جهاز الهاتف المحمول جاهزة للعمل، وأنه يمكن تطويره وتطبيقه على سيارة حقيقية، ولكن هذا التطوير يستغرق وقتًا أطول ليكون قيد الاستعمال.

من جانبه، قال د. م. عمرو المشرف على المشروع، أنه واحد من المشاريع الرائدة المقدمة في "القدس المفتوحة" لهذا العام، وأنه بالإمكان تطويره في المستقبل ليصبح أحد المشاريع الرائدة ويسجل كبراءة اختراع لفلسطين في حال تقديم تصور حول إنتاج المشروع كلعبة. مضيفًا أن طلبة "القدس المفتوحة" أبدعوا في المشاريع التي قدموها خلال الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي 2012-2013، وسجلت العديد من المشاريع المميزة على مستوى الوطن، ومنها التحكم بالسيارات عبر نظام (GPS)، حيث تقوم السيارة بالبحث عن الموقع المراد لها أن تذهب إليه، إضافة إلى مواد تعليمية خاصة بالجامعة يمكن تصفحها باستخدام الأجهزة المحمولة على شكل البطاقات الدوارة.

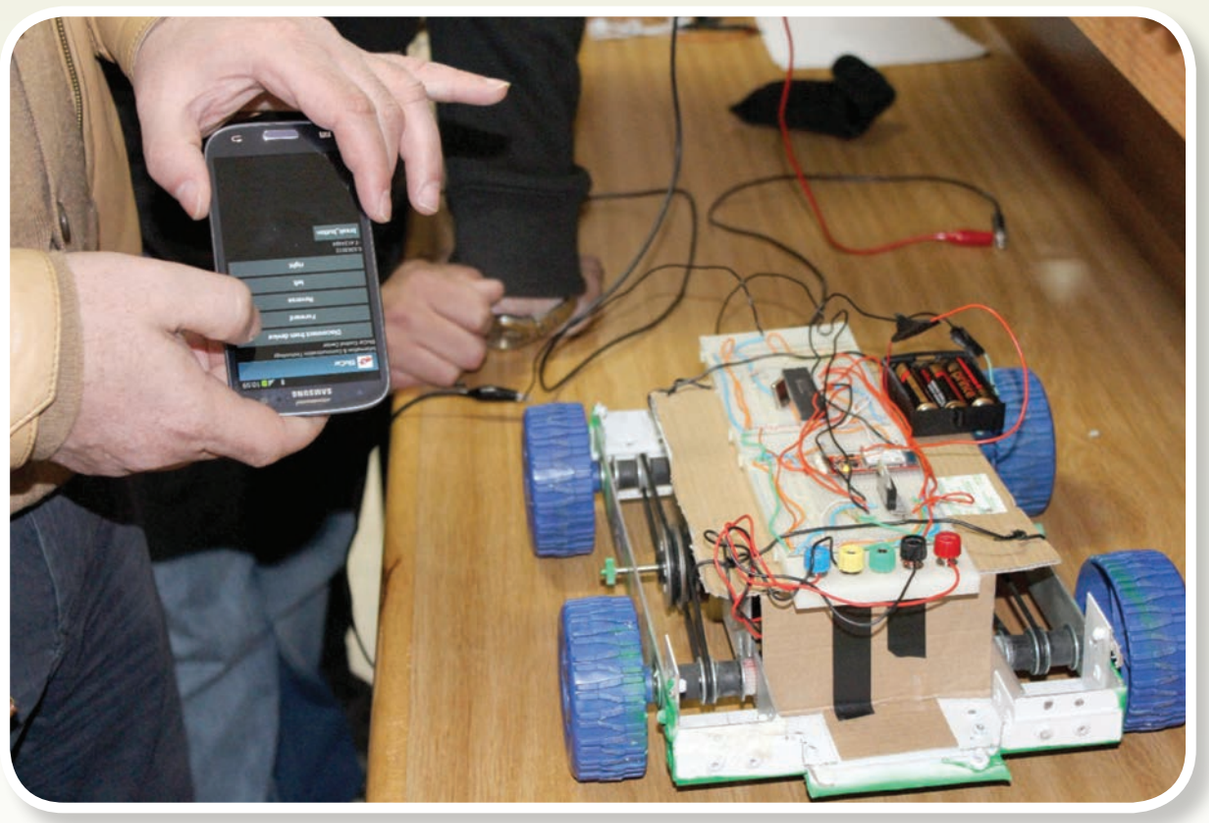

إنجاز مشروع في «القدس المفتوحة» بعنوان «التحكم بالروبوت من خلال شبكة الإنترنت»

الخليل-ينابيع: أنجزت الطالبة ريما نوح خضرة في فرع جامعة القدس المفتوحة بالخليل مشروع تخرجها الذي جاء بعنوان "التحكم بالروبوت من خلال شبكة الإنترنت"، وبإشراف عضو هيئة التدريس بالفرع أ. حمزة مجاهد؛ وذلك ضمن متطلبات درجة البكالوريوس في تخصص تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في كلية التكنولوجيا والعلوم التطبيقية في الجامعة.

وتتمحور فكرة المشروع حول استخدام تكنولوجيا الاتصالات في تصميم نظام التحكم عن بعد بالروبوت بواسطة تقنية الشبكات غير السلكية (Wi-Fi)، وقُسّم المشروع إلى قسمين رئيسين: الأول يتم فيه التحكم بالروبوت عن طريق إرسال أمر من جهاز الحاسوب إلى نظام التحكم الموجود عليه، الذي يقوم بدوره في تحريك اتجاه الروبوت (أمام، خلف، يمين، ويسار)، ويتم تناقل هذه الأوامر من الحاسوب إلى المتحكم عبر شبكة (Wi-Fi) عن طريق قطعة متوافقة مع الميكروكنترولر "المتحكم الدقيق" داخل النظام تسمى (Wifly Shield)، حيث يستقبل الإشارة القادمة من الحاسوب وينقلها إلى الميكروكنترولر ليقوم بدوره بالتحكم باتجاه الروبوت.

أما القسم الثاني من المشروع، فيستخدم كاميرا من نوع (Wireless IP Cam) لنقل الصورة مباشرة عبر الشبكة إلى شاشة الحاسوب الذي سيتم تصميم واجهة رسومية فيه لرؤية الصورة، وهكذا نستطيع رؤية حركة الروبوت واتجاهه عبر شاشة الحاسوب بكل سهولة ويسر.

وحول آلية عمل المشروع، تقول الطالبة ريما: "كان جل همي في هذا المشروع الاستفادة من تقنية الشبكات غير السلكية وتسخيرها في مجال التحكم عن بعد والتحكم اللاسلكي، ومن ناحية أخرى، هناك موضوع الروبوتات وتسهيلها لحياتنا، ومنها أنواع كثيرة، على سبيل الذكر لا الحصر الروبوتات الأرضية أو ذات العجلات المسننة، وهذا ما تم استخدامه في مشروعي الذي نفذته، وهو نموذج على شكل جنزير، وفي هذه الحالة يجب أن يكون الروبوت مزودًا بدارة أو واجهة لاستقبال الإشارة، ومن أجل التحكم بالروبوت عن طريق Wi-Fi، وبحاجة أيضًا إلى نقاط تقوية البث أو ما تسمى ACCESS POINT، أما الروبوت نفسه، فيحتاج لواجهة إرسال أو استقبال مصممة على الحاسوب تدعم بروتوكول TCP/IP. وهذه هي النقاط الأساسية التي قمت بتنفيذ مشروع التخرج على أساسها".

يذكر أن المشروع يساهم في الحل في الكثير من المشاكل اليومية والحياتية التي تواجه المواطن، يقول مشرف المشروع أ. مجاهد إن أهميته تكمن في الاستفادة منه في المجالات السلمية مثل الدفاع المدني والإنقاذ، حيث يمكنه الدخول إلى الأماكن الخطرة والضيقة التي لا يمكن للإنسان الوصول إليها، وبذلك يحمي الإنسان نفسه من التعرض للأخطار، كما أنها تسهل عمل الصحافيين في نقل الأحداث والحروب والكوارث دون التعرض للخطر، وفي مجال الترفيه وتطوير الألعاب، كما يمكن استخدامها في مواقع العمل الخطيرة كتفكيك الألغام والزحف بالقرب من البراكين واستطلاع الأماكن الملوثة إشعاعيًا وذلك لتقليل الضحايا بين من يقوم بهذه المهمات.

وحول الصعوبات التي واجهت الطالبة في تنفيذ المشروع، تذكر ريما أنها واجهت صعوبة في توفير القطع الإلكترونية في السوق المحلية وعدم قدرتها على توفيرها من السوق الخارجية ضمن الفترة المحددة لإنهاء مشروع التخرج، ما اضطرها إلى استبدالها بقطع اخرى، كما أن تكاليف تصميم الجهاز كانت مرتفعة.

وتشجع "القدس المفتوحة" الطلبة على الخروج بمشاريع تسهم في خدمة المجتمع، إيمانًا بأهمية دورها في المساهمة بحل الكثير من المشاكل اليومية التي تعترض عمل العديد من القطاعات، وهنا يقول د. نعمان عمرو مدير فرع الجامعة في الخليل: "أصبح العالم قرية صغيرة تحوي أشكالاً مختلفة من التطور التكنولوجي كالحواسيب وغيرها، وتعد الاتصالات والشبكات اللاسلكية من أهم المكونات الأساسية في هذه الحياة، وقد شهد عصرنا الحالي تطورًا كبيرًا في هذا المجال وتوسيع تقنياتها وتطبيقاتها واستخداماتها. وتحاول الجامعة من خلال هذه المشاريع أن تصقل مهارات الطلبة في مجال تخصصهم، إلا أن هناك دورًا رئيسيًا تلعبه الجهات الرسمية في تبني هذه المشاريع واستخدامها كتطبيقات ناجحة لتسهيل الحياة اليومية على المواطنين".

«القدس المفتوحة» في بيت لحم تصمم نظامًا محوسبًا لقسم صيانة الأجهزة الطبية في مستشفى العائلة المقدسة

بيت لحم-ينابيع: صممت ثلاث طالبات من فرع جامعة القدس المفتوحة في بيت لحم نظامًا محوسبًا لقسم صيانة الأجهزة الطبية في مستشفى العائلة المقدسة؛ حيث أهدي النظام لإدارة المستشفى، بحضور مدير الفرع د. إبراهيم الشاعر والمدير العام لمستشفى العائلة المقدسة دومنيك جاكمان وحسام وهاب مستشار مستشفى العائلة المقدسة والمشرف على المشروع د. محمد ذويب.

ورحب د. الشاعر باسم رئيس الجامعة أ. د. يونس عمرو بالضيوف؛ موضحًا أن "القدس المفتوحة" تهيئ الأجواء والفرص للطلبة بشكل عام وطلبة كلية التكنولوجيا والعلوم التطبيقية بشكل خاص للانخراط في الميدان من خلال تقديم مشاريع تطبيقية تفيد المجتمع المحلي، ما يسهم في المحافظة على المستوى النوعي الذي يمتاز به خريجو هذا التخصص، ويمكنهم من توظيف المعارف والمهارات المكتسبة من دراستهم الجامعية في خدمة المؤسسات المختلفة العاملة في محافظة بيت لحم.

وقال د. الشاعر: "من هنا يقوم طلبتنا اليوم بإهداء إدارة مستشفى العائلة المقدسة نظامًا محوسبًا من تصميمهم لقسم صيانة الأجهزة في المستشفى، مؤكدًا أن "القدس المفتوحة" لا تقتصر في مهمتها على التعليم الرسمي، وإنما رفد المجتمع المحلي في كل محافظة بالكفاءات والخبرات اللازمة لمواكبة التطورات والمستجدات. وعبر عن اعتزازه بالطلبة الخريجين الذين قاموا بهذا الإنجاز".

من جانبه، شكر جاكمان "القدس المفتوحة" وأثنى على الجهود المبذولة على المستوى الأكاديمي والتكنولوجي الذي تمتاز به جامعة القدس المفتوحة، وعبر عن استعداده للتعاون مع الجامعة في كل المجالات الممكنة.

ثم قدمت الطالبات صابرين شعلان وميسر ثوابتة ونادية نباهين عرضًا موجزًا عن النظام، وآلية حوسبة النظام الذي اختص بصيانة الأجهزة الطبية.

"السجلات الطبية الإلكترونية".. نظام إلكتروني جديد يبتكره طلبة من "القدس المفتوحة"

نابلس- ينابيع- نجح ثلاثة طلبة من جامعة القدس المفتوحة في تطوير نظام إلكتروني جديد لتسجيل المعلومات الطبية في المستشفيات، لتصبح أرشفة المعلومات وتداولها إلكترونية وليست ورقية.

وقال الطلبة: سليم دراوشة، وزيد فتيان، وعدي جناجرة، الذين أشرف عليهم الدكتور أسامة مرعي، إن المشروع يهدف إلى إنشاء موقع إلكتروني يختص بإنشاء سجلات طبية للمرضى، حيث يتم إدخال كافة المعلومات عن المريض من خلال الموقع وتخزينها على قاعدة بيانات موحدة، وتكون الجهة المسؤولة عن إدارة الموقع هي وزارة الصحة.

ويضيف الطلبة الثلاثة: من المعروف أن كثيرًا من المنشآت الطبية في مجتمعنا تعتمد على النظام التقليدي في تخزين وأرشفة السجلات والملفات الطبية للمرضى، وهو استخدام الأوراق المطبوعة وتخزينها في ملفات داخل كل منشأة طبية، وفي ظل التطور والتقدم التكنولوجي، أصبح هذا النظام غير فعال، حيث يتطلب تخزين الملفات مساحة كبيرة وأيضًا عند استخراج ملف ما يتطلب البحث عنه بين مجموعة من الملفات ويأخذ وقتًا، حيث تزيد حاجتنا للوصول إلى البيانات والمعلومات ما يتسبب في زيادة تكلفة الوقت والجهد والمال وعدم القدرة على الحفاظ على سرية المعلومات وعزل المعلومات والأمور الأخرى.

ويوضح الطلبة أنه لمواكبة التقدم التكنولوجي أصبح هناك ما يسمى "السجلات الطبية الإلكترونية" (Electronic Medical Records)، وهو نظام مبني على قواعد البيانات المتصلة بالحاسوب، حيث يمكننا من تخزين الملفات الطبية وتعديلها وصيانتها بشكل أسهل من النظام التقليدي، وهذا النظام يوفر السرية والحماية للملفات من العبث والتلف، حيث يتم تخزين الملفات بشكل مشفر على قاعدة البيانات، والعمل على إنشاء نسخة احتياطية لهذه الملفات، ويعتبر أكثر فعالية من النظام التقليدي.

ويقول الطلبة: "يمكن لأي شخص، سواء كان طبيبًا أو مريضًا الدخول إلى الموقع وتسجيل حساب عن طريق تعبئة نموذج بسيط بالمعلومات الخاصة بهذا الشخص، وعند إتمام عملية التسجيل، يجب على المستخدم التوجه إلى الجهة المسؤولة عن إدارة الموقع وإحضار وثائق شخصية مثل التأمين الصحي وصورة عن الهوية الشخصية، لكي يتم تفعيل حسابه في الموقع، وهذا يهدف إلى عدم إدخال حسابات زائفة".

ويشير الطلبة إلى أنه بموجب النظام الجديد، تختلف حسابات المرضى عن حسابات الأطباء، حيث إن المريض يمكنه فقط الاطلاع على سجله الطبي، وأيضًا حجز مواعيد عند طبيب ما، أما الطبيب، فيمكنه البحث عن مريض ما واستعراض تاريخه الطبي وإضافة سجلات جديدة وإصدار وصفات طبية وأيضا تنظيم المواعيد الطبية حيث الموافقة عليها أو رفضها.

ويقدم القائمون على النظام الجديد مجموعة من الفوائد للنظام أبرزها المساهمة برفع جودة الخدمات الصحية، وتقليل أخطاء الوثائق والملفات الطبية، وتقليل التعامل بالمعاملات الورقية، وتوفير رعاية صحية أفضل عن طريق توفير معلومات حديثة، وتحسين القدرة على الكشف المبكر للأمراض والإصابات، وتحسين القدرة على مراقبة وإدارة الأمراض والخدمات المقدمة للمرضى.

«جولة في أنحاء جامعتي»..
مشروع مميز لطالبة من قلقيلية

قلقيلية-ينابيع: تحت شـعار "تجول عن بُعد في المكان الذي تُحِب"، أنجزت الطالبة صفاء "محمد أمين" جعيدي، ضمن متطلبات درجة البكالوريوس في تخصص أنظمة المعلومات الحاسـوبية CIS فـي جامعة القدس المفتوحـة- فرع قلقيلية، بإشراف عضو هيئة التدريس بالفرع أ. علاء الدين جبر، مشروعًا برمجيًا حَركيًا ثلاثي الأبعاد، بعنوان: "جولة في أنحاء جامعتي".

والمشـــروع عبارة عن برنامج يسمح للمُســـتخدم بالتجول حاسوبيًا في أنحـــاء المبنى الجديد لجامعة القدس المفتوحة- فرع قلقيلية حيثما وكيفما يشـــاء مـــع مَنحِهِ الكثير مـــن أدوات التحكم؛ كإيقـــاف الفيديو المعـــروض على الشاشـــات التلفازيـــة والإعلانية داخـــل المبنى وإعادة تشغيله، والتحكم بمســـتوى الصوت، وتقريب المشهد، والتقاط الصور التي تعجبه وحفظها، وعرض دليل الاستخدام خلال التجول، وغير ذلك.

وقـــد اهتمت مُعِدة المشـــروع بإضافـــة التأثيـــرات التي تظهر الواقعيـــة وشـــيئًا من الحيـــاة داخل المبنـــى؛ كإدارة مـــراوح القاعات الدراسية، والشروحات والكتابات اليدوية على السبورة، وحركة وصوت الماء في النافورة، والتغييرات التي تحدث نتيجة اقتراب الشـــخصية من نقطة معينة في المبنى أو اصطدامها بها، وتوزيع الأثاث والسيارات والشـــخصيات، وتشـــغيل أصوات طلاب أو ضجة أو تصفيق في بعض القاعات.

وتم إخراج البرمجية على شكل ملف تنصيب (بالإضافة إلى الصِيَغ المباشرة الأخرى كملف exe لأجهزة PC وMac، وملف فلاشي، وWeb Player، وتطبيق Android) وتم تخصيص أيقونة تخرج تحمل شعار الجامعة واســـمَ الطالبة، وبالضغط عليها يتم فتح الواجهة الرئيسية للبرمجيـــة وهي عبارة عـــن محطة للباصات لتعبّر عـــن فكرة اصطحاب المُســـتخدم في رحلة، وكذلك كل الراغبين فـــي التعرف على الجامعة وأقسامها والتجول في أنحائها.

وفي محطـــة الباصات، تعرض كلمات ثلاثية البُعد بمرور مؤشـــر الفأرة فوقهـــا تحدث عدة تأثيـــرات كإصدار صـــوت زر وتغيير اللون واهتـــزاز الكلمة، وهي تتيح للمســـتخدم أن يُشـــاهد جولة تعريفية بأقسام الجامعة أعدتها الطالبة باستخدام البرمجية، وكذلك يستطيع المســـتخدم باختياره "دعني أتجول" أن يســـتخدم البرمجية ويتجول بنفسه وبحرية في أنحاء الجامعة، أما خيار "رافقني إلى"، فهو عبارة عن مقاطع فيديو أعدتها الطالبة للوصول إلى بعض الأقســـام في الجامعة من البوابة الرئيسية مباشرة.

وخيار "الجامعة.. خرائط وصُوَر" يفتح للمســـتخدم نافذة تحتوي عـــدة أزرار أهمها: موقـــع المبنى بالفيديو، وصور مـــن الواقع، ولقطات مـــن البرمجية، وبين الواقـــع والبرمجيـــة.. مُقارنة. بالإضافـــة إلى أزرار النوافذ ثنائية البُعد التي تظهر أعلى أو أســـفل كل نافذة ويســـتطيع المستخدم إخفاءها وإعادة إظهارها وقتما يشاء وهي تتيح له إمكانية فتـــح صفحات أو مواقع إلكترونية وعرض صُور كـ(حول الجامعة، وحول المشـــروع) وتحميل ملفات إرشـــادية، وبعض هـــذه الإمكانات متاحة بالضغط على مفتاح من لوحة المفاتيح أو زر من أزرار الفأرة بحســـب ما هو موضح في دليل الاستخدام.

وحرصت الطالبة على نشـــر فكرة المشروع وتعريف الآخرين على الجامعـــة وأقســـامها وخصصت لأجل ذلك: موقع "جولـــة" الإلكتروني، بالإضافة إلى مجموعة وصفحـــة "جولة" على موقع التواصل الاجتماعي

فيـــس بوك، وقد حظيَ المشـــروع بســـيل من المشـــاهدات والإعجاب والردود.

وتزامن إعداد المشروع مع توثيق خطوات العمل بالكتابة والصوت والصُورة حيث قامت الطالبة بتصوير الشاشة أثناء العَمل وأخذ لقطات متسلســـلة ثم قصها ودمجها وتســـريعها وإضافة بعض اللمســـات الفنية والتوضيحات والخلفيات الصوتية لإنتاج فيديو "حول المشروع" ثم اضافته إلى نوافذ البرمجية.

وعـــن البرامج واللغات البرمجية التي اســـتخدمتها الطالبة لإنجاز هذا المشروع، قالت: أهمها 3ds Max وUnity وJavaScript حيث إنها اســـتخدمت الأول لتصميم المبنى والموقع العام بشكل ثلاثي الأبعاد ثم تم استيراد ملفات المشروع إلى Unity بعد تهيئة البيئة المناسبة لاستقباله كإضافة الإضاءة وتركيب السماء ثم تمت برمجته باستخدام JavaScript حيث إن Unity يحتوي مُحَرّرًا لهذه اللغة.

وعن ســـبب اختيار هذا المشـــروع وفكرته، قالـــت الطالبة: "كنتُ أرغب بعمل دليل جامعي مُصور يُعرف الطلبة بالمبنى الجديد للجامعة وأقســـامه وقد كنتُ وقتها متشوقة جدًا لزيارة المبنى وبعد أن عرضتُ الفكرة على الأستاذ المشرف رحب بها واقترح علي تطويرها وأرشدني إلـــى برنامج Unity الذي لم أكن أعلم عنه أي شـــيء قبل ذلك، وشـــيئًا فشـــيئًا تم التعديل وتنفيذ اقتراحات الأســـتاذ المشرف حتى ظهر المشروع بحُلته النهائية.

وتضيف: "ناقشـــت أخيرًا المشـــروع بحضرة مدير الفرع د. يحيى ندى، ود. ماجد صبيح مساعد رئيس الجامعة لشؤون التخطيط والجودة، وم. مصطفى القاسم مستشـــار الجامعة الهندسي، ومن وزارة التربية والتعليم م. صاعد الجوهـــري، وم. خالد عُدوان، والمقاولين المتقدمين لعطاء تشطيب المبنى، ومجموعة من الإداريين، بالإضافة إلى الأساتذة المشرفين في لجنة مناقشة وتقييم مشاريع التخرج، وحضر المناقشة كذلك بعض الطلبة في التخصص.

واختتمت كلامها بالقول إن كلمتي حول المشروع أن أجمل ما فيه أنه قابل للتطوير فهو يتعامل مع البرمجة، والبرمجة عالم واسع، وأقترح أن يتم تعميم الفكرة على جميع مناطق الجامعة وفروعها بحيث تكون البرمجية في شـــكلها النهائي كدليل محوســـب ثلاثي الأبعاد يسمح للمســـتخدم بالتجول في أنحاء فروع الجامعة بحســـب الفرع الذي يتم اختياره، وآمل أن يُســـتفاد من برمجيـــة "جولة في أنحاء جامعتي" على مســـتوى قلقيلية في تعريف خريجي الثانويـــة العامة وكل الراغبين بالالتحاق بالجامعة بأقســـامها واصطحاب كل المتشـــوقين لزيارتها ليقومـــوا بجولة -عن بُعد- في أنحائها، مـــا يجعل بينهم وبين المبنى شيئًا من الألفة قبل زيارته.

وكلمتي للجامعة أبدأها بـ(شـــكرًا)، وأنهيها بـ(شـــكرًا)؛ فما كان اختياري لهذا المشـــروع إلا محاولةً لردّ الجميـــل، والتعبيرِ ولو بالقليل عن عميـــقِ انتمائـــي، وعظيمِ امتناني، وشـــكري ووفائـــي لجامعتي (جامعة القدس المفتوحة- فرع قلقيلية)، فإلى إدارتها، وكل العاملين والمدرسين فيها، والقائمين عليها كل الشكر والتقدير.

طالبان من «القدس المفتوحة» في جنين يصممان تطبيقًا لتحديد الأماكن على نظام تشغيل الأندرويد

جنين-ينابيع: نجح طالبان من فرع جامعة القدس المفتوحة في جنين في تصميم تطبيق لأجهزة الهاتف الذكية والأجهزة اللوحية التي تعمل بنظام التشـــغيل أندرويد (Android) وبنائه. وتتمحور فكرة الاختراع في أنه يمكّن المواطن من التعرف على مكان تواجده ومعرفة أهم المعالم في ذلك المكان، كما يستطيع البحث من خلال هذا التطبيق عن مكان ما داخل المدينة المتواجد بها أو تحديد مكانه وإرساله لشخص آخر عبر خدمة الرسائل القصيرة ليتمكن من ملاقاته لاحقًا.

ونفذ المشروع الذي أشرف عليه المحاضر في "القدس المفتوحة" م. رائد إدريس، الطالبان أحمد حسن عبد عمارنة ورهام عبد الرازق عبد الحميد الكيلاني.

وأوضح عمارنة أن فكرة المشروع تكمن في تحديد الأماكن في محافظة جنين بشكل خاص ولاحقًا في فلسطين بشكل عام، بسهولة، وتوفير الوقت والجهد، حيث يمكن استخدامه مثلاً من قبل أجهزة الدفاع المدني والإسعاف لتحديد أماكن الحوادث أو المشاكل التي تستدعي التدخل من قبلهم لحلها، ويتم ذلك ببساطة عندما يرسل أحد ما رسالة من داخل التطبيق لرقم الدفاع المدني أو الإسعاف تحتوي على بيانات خطوط الطول وخطوط العرض، لتتمكن طواقم تلك الأجهزة من الوصول للمكان المطلوب بأسرع وقت ممكن، وهذا المشروع يفتح الآفاق لمواكبة التطورات الحديثة في عالم برمجة الهواتف الذكية التي تستخدم نظام الأندرويد (Android).

وأشارت الكيلاني إلى أن المشروع مر بعدد من المراحل، تقول: "في البداية تعرفنا على نظام تشغيل الأندرويد (Android) بشكل موسع، ومميزاته، والبرمجيات التي يعمل بها وآلية عملها والتغير عليها؛ بعد ذلك، أنشأنا أول تطبيق صغير يقوم بطباعة أي شي نريده عن طريق لوحة مفاتيح الهاتف كتجربة لبداية العمل في مشروعنا الخاص، وكانت تجربة ناجحة".

وأضافت الكيلاني: "بعد النجاح في هذه التجربة، بدأنا العمل بمشروعنا عن طريق استدعاء خريطة لمحافظة جنين من موقع (Open Street Maps)، والسبب باختيار هذا الموقع أنه يعمل على تحديث الخرائط الموجودة فيه بشكل أسبوعي، وبدأنا برمجيًا باستخدام لغة (Java) ولغة (XML) لإنشاء الأيقونات الخاصة بالتطبيق: أيقونات التكبير والتصغير، وعملية البحث والإرسال، وقمنا بتحديد إحداثيات محافظة جنين لتظهر مباشرة عند فتح التطبيق، ويتم تحديد موقع المستخدم مباشرة بواسطة تقنية (GPS)، ويمكن أيضًا للمستخدم البحث عن طريق إدخال اسم مكان معين.

ونوه عمارنة إلى أن هذا التطبيق لا يقتصر على محافظة جنين فحسب، وإنما يمتد ليشمل كافة محافظات الوطن، ولكن يتوجب على المستخدم أن يعمل على تغيير الإحداثيات من محافظة جنين لأي مكان آخر يريده؛ مشيرًا إلى أن هذا المشروع يعتبر الأول على مستوى فرع جامعة القدس المفتوحة في جنين باستخدام نظام تشغيل الأندرويد (Android)، والسبب في اختياره يكمن في أنه أكثر انتشارًا من غيره من البرامج، بالرغم من حداثته، وأنه يعتمد على المصادر المفتوحة كبرمجيات (Open Source) بما يسمح بتطوير التطبيقات عن طريق المستخدمين للموقع الرسمي.

وأضاف القائمون على المشروع أنهم يسعون إلى تطوير البرنامج وإدخال تحديثات جديدة عليه بما فيها تحديد خطوط الطول ودوائر العرض، وتحديد القبلة، وتحديد مسار الملاحة وحفظه باستخدام قاعدة بيانات خاصة بالتطبيق. وأوضحوا أن فترة إنجاز المشروع استغرقت أربعة شهور، واجهوا خلالها صعوبات كثيرة أهمها ضيق الوقت في التعرف على نظام تشغيل الأندرويد (Android) بشكل موسع، وعدم توفر خريطة خاصة لمحافظة جنين، ما دعاهم للجوء لموقع (Open Street Maps).

من جانبه، أشار م. رائد إدريس المشرف على المشروع إلى أن "المشروع جاء تلبية للحاجة الفلسطينية الملحة المتمثلة بوجود نظام توجيه وملاحة يخدم المواطن الفلسطيني في وطنه، نفتقر لنظام موات لذلك الموجود في الدول المتقدمة".

وأضاف م. إدريس أن "المشروع جاء لإكساب الطلبة مهارات تخاطب سوق العمل بصورة مباشرة، بحيث يمتلك الطالب المهارة والمعرفة التي تؤهله للولوج إلى سوق العمل بصورة مباشرة دون الحاجة إلى أخذ دورات تدريبية والمرور بفترات اختبار بعد تخرجه من الجامعة".

ودعا القائمون على المشروع "القدس المفتوحة" للاهتمام بنظام تشغيل الأندرويد (Android) وتطبيقاته، وإدراج مقررات متعلقة بهذا النظام، بالإضافة لعقد دورات وندوات وورشات عمل للطلبة. كما تقدم الطلبة بالشكر والتقدير لأعضاء هيئة التدريس في كلية التكنولوجيا والعلوم التطبيقية على ما قدموه من دعم ومساندة طيلة فترة المشروع.

ثلاث طالبات من «القدس المفتوحة» يبتكرن قائمة الطعام الإلكترونية (E-menu)

جنين-"ينابيع"- ابتكرت ثلاث طالبات من فرع جامعة القدس المفتوحة في جنين، قائمة الطعام الإلكترونية (E-menu) التي تمكن زبون المطعم من الاطلاع على الوجبات المتوفرة في المطعم واختيارها إلكترونيا عن طريق جهاز الآيباد(IPad) .

ونفذت المشروع الذي أشرف عليه مدير فرع جنين د. عماد نزال، الطالبات: سوزان فخري جلال جرادات، وضحى هشام قاسم سليمان، وهبة فضل طاهر نزال، خلال استكمالهن متطلبات مشروع التخرج، ليقدمن عبر هذا الإنجاز نقلة نوعية حديثة إلى عالم خدمة الزبائن في المطاعم، وبذلك تكون القائمة الإلكترونية الأولى من نوعها في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وأوضحت الطالبة سوزان جرادات إحدى القائمات على المشروع أن الفكرة الأساسية من البرنامج هي استخدام جهاز (IPad)، في المطاعم بدلاً من قائمة الطعام الورقية، للسرعة في تأدية الطلبات وتعريف الزبائن بالوجبات المتوفرة بشكل إلكتروني يتضمن محتويات الوجبات وأسعارها، بالإضافة لإرفاق صور للوجبات المتاحة، حيث تم بناء قاعدة بيانات متعلقة بالمطعم، بما فيها الوجبات والأسعار والصور.

وأشارت الطالبة ضحى سليمان إحدى القائمات على المشروع من خلال الحديث عن مكونات البرنامج الأساسية إلى أن البرنامج يتكون من ثلاث شاشات رئيسة وهي: شاشة المدير (Administrator)، التي يقوم المدير من خلالها بإضافة المعلومات لقاعدة البيانات، ويعمل على مراقبة الطلبات وإصدار فواتير، وشاشة الزبون أو (IPad)، ويعرض من خلالها كافة الوجبات المتوفرة في المطعم، إلى جانب شرح مفصل عن الوجبات وأسعارها وصور لها، وهذه الشاشة تمكن الزبون من اختيار الطلب وإرساله مباشرة إلى المطبخ، وأخيرًا شاشة المطبخ، وتحتوي هذه الشاشة على أرقام الطاولات في المطعم، وفي حال تم إرسال طلب من قبل زبون ما، فإن الرقم الخاص بالطاولة التي صدر منها الطلب يصدر إشارة بذلك، وعند فتح الرقم يتم عرض الطلب والوجبات الخاصة به، وبتنفيذ الطلب من قبل المطبخ، يتم التأكيد من خلال أيقونة خاصة بذلك، وهذه الأيقونة تعمل على إصدار الفاتورة الخاصة بالطلب للمدير (Administrator).

وتحدثت الطالبة هبة نزال عن آلية عمل البرنامج قائلةً: "في البداية يجب توفير جهاز (IPad) أو أكثر داخل المطعم، ويقوم الزبون بتصفح قائمة الطعام الخاصة بالمطعم عن طريق (IPad)، ويختار الزبون رقم الطاولة في البداية، ومن ثم يبدأ باختيار وجباته، و(IPad) يكون موصولاً بشبكة لاسلكية مع شاشة المطبخ التي تظهر الطلبات التي اختارها الزبون، وعند تلقي الرسالة في المطبخ يبدأ الطاقم بتنفيذها، وعند التأكد من تنفيذ الوجبة عن طريق أيقونة خاصة، ترسل الفاتورة الخاصة بالطاولة للمدير (Administrator)".

وأوضحت الطالبات أن فترة إعداد المشروع استغرقت أكثر من أربعة أشهر، واجهن خلالها العديد من المصاعب والعقبات، وتم التغلب عليها بفضل الدعم والمساندة من أعضاء هيئة التدريس في كلية التكنولوجيا والعلوم التطبيقية، فيما قدمن شكرهن لإدارة جامعة القدس المفتوحة في سعيها الدؤوب في توفير جهاز (IPad) لإكمال العمل على المشروع.

من جانبه، قال د. عماد نزال، إن هذا المشروع من المشاريع المميزة المقدمة في فرع جنين لهذا العام، حيث إنه يعالج مشكلة واقعية يعاني منها الزبائن في كثير من الأحيان، بوجود أسماء غريبة لمأكولات لا يعرفون مكوناتها ولا شكلها ويخجلون من السؤال عنها، بالإضافة إلى أنه يستخدم تطبيقات حديثة تواكب التطورات الحاصلة في مجال تكنولوجيا المعلومات".

وأضاف أن الطالبات أنجزن المشروع وتغلبن على المعيقات والصعاب، وأن المشروع قد يتم اختباره عمليًا ليتم تحسينه وتطويره مستقبلاً، متمنيًا أن يكون هذا المشروع بداية لفتح آفاق جديدة أمام الطلبة للبدء بإنتاج مشاريع حديثة ومميزة.

يذكر أن البرنامج صمم بالتعاون مع مطعم أوتار في جنين، ويتم حاليًا تجريبه بشكل عملي داخل المطعم.